

السياسة في الاسلام

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة
ومشيخة الطريقة العزمية
السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة

002 022 3901030

مقدمة

السياسة في الإسلام

السياسة: تحمل معنيين اثنين معنى لغويًا ومعنى اصطلاحيًا.
المعنى اللغوي: السياسة : استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في العاجل أو الآجل.

وتعني: فن الحكم وإدارة أعمال الدولة الداخلية والخارجية؛ ومنها السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.

والسياسة المدنية: تدبير المعاش مع العموم على سَنن العدل والاستقامة.
والسياسة الاقتصادية: علم يعالج الثروات العامة وفن إدارة الأحكام.
والحقوق السياسية: هي التي يحق بمقتضاها لكل وطني أن يشترك في إدارة بلاده.
والسياسي: هو الذي يزاول السياسة أو يتخذها حرفة له.
المعنى الاصطلاحي: يختلف حسب العقيدة والمبدأ والنظرية التي يستفاد منها، أو يعتمد عليها.

مفهوم السياسة في الإسلام: كل عمل يتعلق برعاية الأمة والاهتمام بشئونها ومصالحها، يدخل فيها الكفاح والثورة ضد الحاكم الظالم، كذلك وجوب البيعة والطاعة لولاة الأمور الذين يقيمون الإسلام، وينفذون سياسة الحق والعدل والخير، ويدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشورى.

السياسة قداسة عند السلف الصالح...

والسياسة نجاسة عند السلف الطالح...

السياسة عند السلف الصالح: هي السياسة الحكيمة التي يراعيها أهل الرحمة في أخلاقهم، ومعاملتهم، لدوام الصفاء، ومداراة الناس، وإشعار القلب الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم.

والسياسة عند السلف الطالح: هي السياسة الغشيمة التي هي الخديعة والكيد، فهي من أخلاق الشياطين، وكم دمرت مدنا، وأبادت أمما، فهي فاتحة الشرور لبني الإنسان، ومصدر كل خراب وهوان، وصاحب هذه السياسة كالسبع الضاري على الرعية..... وإن بين السياسة الحكيمة والسياسة الغشيمة كما بين النور والظلمة، أو بين الحمافة والحكمة.

السلف الصالح: هم أهل العقل والفضيلة، وهم الذين يرون التكلم في السياسة الغشيمة ضياع ورذيلة، فكيف يستعملها السلف الطالح بين العائلة والقبيلة؟! .

السلف الصالح: هم المجاهدون في سبيل الكمال، يجاهدون أنفسهم أولا ضد الهوى والجشع والطمع والحقد والحسد، ويجاهدون الطغيان والجبروت والبطش.

أما السلف الطالح: وإن سادوا فذلهم قريب، وإن ابتهجوا بحالهم فمستقبلهم رهيب، ظاهر حالهم أنهم يحسنون صنعا، وهم يريدون خيرهم منعاً، أضل من الأنعام السائمة، وأضر من الشياطين الغاشمة.

أهل السياسة الحكيمة: هم أهل العزيمة التي لا تقهر، والإرادة التي لا تغلب، والشجاعة التي لا نحسب أن شجاعة في الدنيا تعلوها .

أما أهل السياسة الغشيمة: هم الذين يحIRON العقول بالأباطيل، ويستولون على الأمم بالأضاليل، وقد شنع الله عليهم في كل كتبه السماوية، ووعدهم بالدرك الأسفل من النار الحمية.

أهل السياسة الحكيمة: هم الأنبياء والأولياء والأئمة والسلف الصالح.

فقد أقام سيدنا محمد ﷺ دولته الإسلامية في المدينة المنورة على العدالة والمساواة في التوزيع والعطاء ، والحقوق والواجبات ، وأمام القانون، وعلى مبدأ الشورى والتشاور كأساس من أسس النظام السياسي في الإسلام قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَاِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: ١٥٩. وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الشورى: ٣٨.

وانتهج الإمام علي عليه السلام سياسة الرسول الأعظم ﷺ حتى عُرفَ برائد العدل والمساواة في الأرض، وقد ألزم الإمام عليه السلام عماله وولاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم.

السياسة ومسئوليات الحاكم في فكر الإمام الحسن علي عليه السلام: سئل الإمام الحسن علي عليه السلام عن رأيه في السياسة ؟ فقال عليه السلام: ﴿ هِيَ أَنْ تَرَعِيَ حُقُوقَ اللَّهِ ، وَحُقُوقَ الْأَحْيَاءِ ، وَحُقُوقَ الْأَمْوَاتِ ﴾.

- فَأَمَّا حُقُوقُ اللَّهِ: فَأَدَاءُ مَا طَلَبَ وَ الْاجْتِنَابُ عَمَّا نَهَى.
- وَأَمَّا حُقُوقُ الْأَحْيَاءِ: فَهِيَ أَنْ تَقُومَ بِوَأَجِبِكَ نَحْوَ إِخْوَانِكَ ، وَلَا تَتَأَخَّرَ فِي خِدْمَةِ أَمَّتِكَ ، وَأَنْ تُخَلِّصَ لِرُؤُوسِ الْأَمْرِ مَا أَخْلَصَ لِأَمَّتِهِ ، وَأَنْ تَرْفَعَ عَقِيرَتَكَ فِي وَجْهِهِ إِذَا مَا تَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ.
- وَأَمَّا حُقُوقُ الْأَمْوَاتِ: فَهِيَ أَنْ تَذْكُرَ خَيْرَاتِهِمْ ، وَتَتَعَاظَى عَنْ مَسَاوِيهِمْ ، فَإِنَّ لَهُمْ رَبًّا يُحَاسِبُهُمْ.

أما قائد ثورة ﴿أَتَيْصَارُ الدِّمَ عَلَى السَّيْفِ﴾ الإمام الحسين عليه السلام كان يرى أن من رعاية الأمة والاهتمام بشئونها ومصالحها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والكفاح والثورة ضد الحاكم الظالم ، فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام الثورة علي حكومة يزيد بن معاوية ورفض البيعة فقال: ﴿وَأِنِّي خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ

﴿ص وَآلِهِ﴾ أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

قال ﴿ص وَآلِهِ﴾: ﴿إِذْ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾.

لماذا يزور السلف الصالح روضات أهل السياسة الحكيمة من الأنبياء والأولياء؟!

إن السبب في ذلك يرجع إلى أن الفرقة الناجية هي التي تعتقد أن أضرحة الأنبياء والأولياء من الشعائر الإسلامية، وجامعات للتربية والسلوك، ولذلك فإن الدروس المستفادة من زيارة أضرحة هؤلاء المجاهدين هي الجهاد في سبيل الكمال، فنجاهد أنفسنا ضد الهوى والجشع والطمع والحقد والحسد والطغيان والجبروت والبطش حينما نتمثل هؤلاء المجاهدين في حياتهم، فنأخذ منهم العزيمة التي لا تقهر، والإرادة التي لا تغلب، والشجاعة التي لا نحسب أن شجاعة في الدنيا تعلوها، وإليك نماذج من الدروس المستفادة من زيارة هؤلاء المجاهدين:

١ - كتب الإمام الغزالي إلى ابن تشفين ملك المغرب فقال له: (إما أن تحمل سيفك في سبيل الله ونجدة إخوانك في الأندلس، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك).

٢- ويقول محى الدين بن عربى للملك الكامل حينما تخاذل في قتال الصليبيين: (إنك دنيء الهمة، والإسلام لن يعترف بأمثالك، فانهض للقتال أو نقاتلك كما نقاتلهم).

٣- ويطغى المماليك في أرض مصر، فيثور العز بن عبد السلام، ويأمر بالقبض على المماليك، ويعلن أنه قد اعتزم بيعهم في سوق الرقيق لأنهم خانوا الأمانة.

٤- ويقول عبد الملك بن مروان- الخليفة الأموى- لابن البيطار في غطرسة الملك وغروره: (أنا عبد الملك، فارفع حوائجك إلىّ، فيقول له في عزة المؤمن وكبرياء الصوفى: وأنا أيضا عبد الملك، فهل نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان).

٥- ويقول الإمام الشعرانى: (من لبس جديدا، أو أكل هنيئا، أو ضحك في نفسه، أو سعد في بيته- والأمة الإسلامية في كرب وشدة- فقد بريء منه الإسلام).

تلك هى المبادئ التي ندرسها، والتعاليم التي نسير على هديها عند زيارتنا لأضرحة الأئمة، وهى لاشك أنها صفوة مبادئ الإسلام وأسمى نواحيه.

فنحن نزور مرقد الأنبياء والأولياء لنتذكر عندها أن هؤلاء مؤمنون، اضطلعوا بوقائع مجتمعاتهم، وحقائق الرسالة المحمدية، فحملوها وأدوا ما تحملوه عبر حياتهم، فنقتدى بهم، ونتأسى بجهادهم.

نحن نزور مرقد الأنبياء والأولياء لنؤكد أن الذي لا يطلع على أحداث أمته، ولا يتحمل مسئوليات مجتمعه ولا يؤدى رسالته، ليشتري ثمنا قليلا من دينار أو ريال أو درهم ينطبق عليه قول الله

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ

ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿البقرة: ١٧٤.

نحن نزور مرقد الأنبياء والأولياء لنتعلم أن هؤلاء رأوا الانحرافات في عالمنا الإسلامى على مر العصور والدهور، فلم يواجهوها

بالخطب المنبرية فحسب، بل بتأجيج نار الثورة على تلك الانتكاسات والردات في حياة الأمة الإسلامية، حتى إذا ما لقوا الله على ذلك كان موتهم رعباً لأقصى الجلادين قلباً، وإسهاماً في بلورة الوعي الثوري لهدم الطغيان، وهم يرتلون قول إمام المجاهدين الحسين عليه السلام:
(مَنْ لِحَقِّ بِي فَقَدْ أَسْتَشْهَدَ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ لَمْ يَبْلُغْ الْفَتْحَ).
نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنسجل أن وحدانية الدينار والريال والدرهم وثنية مشرّكة، وأن هؤلاء المجاهدين عملوا على إزالتها لتحقيق (لا إله..). وأن العدالة والحرية والأمن والمساواة كلمات لا معنى لها إلا في ظل (..... إلا الله) ليعيش الناس في المجتمع الإسلامي كأسيان المشط بعضهم أولياء بعض.
نحن نزور مراقد الأولياء لتعلم أن هؤلاء خافوا على الإسلام ولم يخافوا من الإسلام، لأن الخوف من الإسلام يفضي إلى الهرب الذي بدايته الضياع ونهايته العار، أما الخوف على الإسلام يحتم الدفاع عن الإسلام والهجوم على أعدائه.
نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهم باعتبارهم شرعاً محمدياً، ولطفاً إلهياً، لا مناص لمن ينشد الخير والسعادة إلا باتباع سيرتهم وعلومهم وجهادهم، إيماناً وعملاً، مهما بلغ الثمن.
نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لتتأسى بهؤلاء الذين لم يتذوقوا من الحياة إلا مرارة ضياع القيم والموازين، فاقتحموا الساحة ليكونوا نماذج للمجاهدين، فزكّل بأقدامنا حياة الذل والهوان. ونطبع على جبهة المجد غرة النصر، ونلبس إكليل الشهادة.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهؤلاء الذين أقدموا حين أحجم علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة، وفرسان كهانة التكفير والتشريك، ولتتأسى بهؤلاء الذين أعطوا حيث يمتنع الأسخياء في المواعظ المتشدقون بالسلفية، ولتتأسى بهؤلاء الذين جاهدوا في سبيل

الله في الوقت الذي قال عبيد الدينار والريال والدرهم: ﴿.....

إِنَّا هَهُنَا فَتَعِدُّوهُنَا﴾ المائدة: ٢٤.

إن سر عظمة هؤلاء أن أرواحهم حملت قيمهم التي آمنوا بها، وضحوا من أجلها، فكان حقا على تلك القيم أن تحمل أرواحهم إلى آفاقها الرحبة، لتبقى الأرواح متألفة، تطل من سماواتها على زائريها من عشاق الجهاد.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح لا السلف الطالح الذي يأخذ بالمعنى الحرفي للقرآن - حتى في الآيات التي توهم بالتجسيم- فيقولون باعتقاد الجهة لله قياسا للخالق على المخلوق. أما السلف الصالح فهم الذين ينزهون المولى سبحانه وتعالى عن مشابهات الحوادث.

والفرقة الناجية هي التي ترى أن التوحيد لون واحد، لا كما يخترع السلف الطالح بأن التوحيد توحيدان: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فزعموا أن جميع المسلمين عبدوا غير الله لجهلهم بتوحيد الألوهية، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، فزعموا أن هذا اعترف به المشركون، وبذلك يهجمون على قلوب كثير من المسلمين ويحكمون عليهم بالشرك.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح الذي يوقر النبي ﴿ص وآله﴾، ويشد الرحال لزيارة روضته الطاهرة، ويسودونه في الصلاة،

ويحتفلون بمولده، ويتوسلون ويستغيثون ويتشفعون به ﴿ص وآله﴾

والفرقة الناجية هم السلف الصالح، لا السلف الطالح الذي يعتقد أن مصطلحات القرآن الأساسية الإله والرب والعبادة والدين، والذين ينادون بأن أصول الإسلام تتغير عند المصلحة، وأن عصمة الأنبياء غير مستمرة، وأن أصول الدين الخلافة والحكومة فقط.

والفرقة الناجية هي التي تعتقد بإمامة الأئمة من أهل البيت، لأن أهل البيت هم المرجع الأصلي بعد النبي ﴿ص وآله﴾ لأحكام الله المنزل، فهم خزانة علمه ومعرفته، وتراجم وحيه، وأركان توحيده، كما قال

﴿ص وآله﴾: (الْجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الْأَخْتِلَافِ) (رواه الطبراني، والشبراوي، والحاكم، وابن حجر في الصواعق). وكما قال عنهم الرسول ﴿ص وآله﴾: (إِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ) (رواه أبو نعيم، والفيروز آبادي، والهيثمي، والطبراني، والحاكم، والخطيب البغدادي). وكقوله ﴿ص وآله﴾: (وَإِنَّمَا أَهْلُ بَيْتِي مِثْلُ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ) (رواه ابن أبي شيبة، والمتقى الهندي، والطبراني).

وزيادة على وجوب التمسك بأهل البيت يجب على كل مسلم أن يدين بحبهم ومودتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ الشورى: ٢٣. ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل الحب والوفاء لطهارتهم من كل ما يبعد عن دار كرامته، وساحة رضاه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣. وكما شد الكتاب الناس إلى الذهاب إلى إمامة العترة من أهل البيت شدد السنة كذلك في قوله ﴿ص وآله﴾: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّىٰ يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ) (أخرجه مسلم، وأحمد، والترمذي، والحاكم، والطبراني).

وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة، كل جيل وكل عصر، فأمر المصلح الأكبر صلوات الله وسلامه عليه بالتمسك بالثقلين، وهما الكتاب والعترة، لأن بهما الهداية والرشد- عمر الدنيا- ما استمسكت بهما، فلا مناص أن يكون الكتاب خليفة لرسول الله ﴿ص وآله﴾، غير أن مداركنا قاصرة عن الوصول إلى هذه الكلية

الواسعة في كتاب الله، فلا بد أن يكون له قوم يعرفون مدى ما فيه ويعلمون ما حواه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧. ولو أهمل الرسول ﴿ص وآله﴾ الإشارة والإرشاد إلى الراسخين في العلم وأصحاب التأويل لساغ أن يزعم كل ناطق بضلالة أنه الراسخ في العلم وصاحب التأويل، فأبان ﴿ص وآله﴾ في هذا الحديث أن عترته هم المقصودون بالثقل الثاني، فالأئمة من أهل البيت هم الكتاب الناطق، الكاشفون عن أسرار الكتاب الصامت. وهذا الحديث- كما أرشدنا بدلالته إلى أن الهدى بعد الرسول ﴿ص وآله﴾ بخليفتيه الكتاب والعتره- أرشدنا إلى استمرار ذلك الهدى مادام الإنسان ومادام كتاب وعتره، فإن خالف المرء سيرهما اجتيازاً، أو تخلف عنهما نكوصاً اعتصاماً برأيه أو اتباعاً لغيره لم يكن من المستمسكين، بل كان من المنحرفين الزائغين. وقد فسر الإمام الشافعي رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣ أن حبل الله هو الولاء لأئمة أهل البيت في الأبيات الآتية:

مَذَاهِبُهُمْ فِي أَبْحُرِ الْعَيِّ وَالْجَهْلِ	كَمَارَلَيْتُ أُنْثَلَقَ قَدْ نَجَيْتُ بِهِمُ
وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى خَاتَمِ الرُّسُلِ	رَكِبْتُ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ فِي سَفْنِ النَّجَا
كَمَا قَدْ أَمَرْنَا بِالْتَّمَسْكِ بِالْحَبْلِ	وَأَمْسَكْتُ حَبْلَ اللَّهِ وَهُوَ وَلَاؤُهُمْ
وَيُفَا عَلَى مَا جَاءَ فِي وَاضِحِ النَّقْلِ	إِذَا افْتَرَقَتْ فِي الدِّينِ سَبْعُونَ فِرْقَةً
فَقُلْ لِي بِهَا يَا ذَا الرَّجَاحَةِ وَالْعَقْلِ	وَلَمْ يَكُنْ نَاجٍ مِنْهُمْ غَيْرَ فِرْقَةٍ
أَمْ الْفِرْقَةُ اللَّاتِي نَجَتْ مِنْهُمْ؟! قُلْ لِي	أَفِي الْفِرْقَةِ الْهَلَاكِ آلُ مُحَمَّدٍ؟!
وَإِنْ قُلْتَ فِي الْهَلَاكِ حِفَّتَ عَنِ الْعَدْلِ	فَإِنْ قُلْتَ فِي النَّاجِينَ فَالْقَوْلُ وَاحِدٌ
رَضِيتُ بِهِمْ لَا زَالَ فِي ظِلِّهِمْ ظِلِّي	إِذَا كَانَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ فَإِنِّي

رَضِيتُ عَلَيَّ لِإِمَامًا وَنَسَلُهُ

وَأَنْتَ مِنَ الْبَاقِينَ فِي أَوْسَعِ الْحِلِّ

أَسْأَلُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَزِيدَ مِنَ الْأَجْرِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا شَفَاعَةَ
سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ
الطَّاهِرِينَ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ. إِنَّهُ تَعَالَى وَلِي الْقَصْدِ
وَالْتَوْفِيقِ.

الباب الأول

الدولة الإسلامية

الفصل الأول

أسس بناء الدولة الإسلامية

هاجر رسول الله إلى المدينة وترك مكة التي هي أحب بلاد الله إليه، حيث يوجد بها البيت الحرام ، ولأنها منزل الوحي ، ولأن بها الأهل والأقربين ، ولأن بها مآثر إبراهيم ، ولكنه انتقل مع كل هذا إلى المدينة، وما كان ذلك إلا لأنه بأمر ربه أنشأ دولة ، ولأنه ما جاء لرهبانية أو روحانية مجردة ، أو لتهديب النفوس فقط ، بل بعث رحمة للعالمين ، ولا بد من أن تقوم دولة تقيم الحق ، وتخفف الباطل ، وتمنع الظلم ، وتجمع الإنسانية ، وتنشر التعاون بين الناس ، وتمحو كل الفوارق التي تجعل بعض بني الإنسان يتحكما الآخر ، وتمنع الفساد الأرض .

ولذلك هاجر حيث يستطيع إقامة الدولة المؤمنة ، التي تنتهي عن الشر ، وتتعاون على الخير ، وكذلك كل رسول يأتي بشريعة تقوم عليها دولة.

وحينما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، وجد عناصر جمة تسكن المدينة ، أهمها: المهاجرين والأنصار ، فاتجه تفكيره إلى تكوين المجتمع الإسلامي ، بحيث يكون أسرة واحدة ، تضم القبائل المتنافرة، والعناصر المتباينة ، وتحقيقا لهذه الغاية قام بالخطوات التالية:

١- بناء مسجد رسول الله ﷺ

أمر رسول الله ﷺ أن يبني مسجدا ، ونزل رسول الله ﷺ
وآله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله ﷺ

وآله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فقال
قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يبنون:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

قال ابن اسحق : فيقول رسول الله ﷺ «ص وآله»:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

وكان الغرض من بناء المسجد ، أن يكون بيتا لله ، يجتمع فيه المسلمون للعبادة ،
والمشورة في كافة شئون الحياة ، وشئون التجارة ، ويكون محلا للقضاء ، يلتف
المسلمون فيه حول الرسول ﷺ كي يرتشفوا من معينه ، يأخذوا عنه
مبادئ دينهم ، ونظم مجتمعاتهم ، وإذا ما تم له هذا امتزجت النفوس والعقليات ،
وقويت الوحدة ، وتألقت القلوب بسبب المحالطة ، وبهذا تزول رابطة القبلية ،
ويحل محلها رابطة إسلامية إنسانية واسعة ، وهكذا كان المسجد : بيتا لله تعالى لا
يعبد معه غيره ، وبيتا للمسلمين ، فيه مستقرهم ، ومأمنهم ، وطمأنينتهم ، فيه
تكونهم وتخلقهم ، فيه وحدة صفهم ورأيهم ، فيه اجتماعهم ، ومنه انبعاثهم .
وكان المسجد يضم قلوبا متعاطفة عامرة بالإيمان ، وعقولا نيرة تنعم بالعلم
والمعرفة ، وأرواحا تصقل وتهذب ، وجنودا يعثون لرسالة الحق .

كانوا رضى الله عنهم لا يدخلون المسجد إلا على طهارة من بيوتهم ، فإذا دخلوا
المسجد صار كل واحد منهم بين مشهدين كما قال ﷺ «ص وآله» : " أَلِإِحْسَانُ :
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ " فيكون إما شاهدا لربه ،
أو على يقين حق أن الله عالم به ، ناظر إليه ، حاضر معه .

فكان بعضهم يجلس للمراقبة حتى يؤدي فريضة الجمعة ، وبعضهم يجلس للذكر بالقرآن المجيد والتسبيح والتهليل والتكبير ، وبعضهم يجلس يسأله الناس عن أمر دينهم ويتحلق حوله الناس . كان الرجل منهم يكره أن يشغل أخاه لعلمه أن كل إخوته في المسجد مشغولون بما يقربهم إلى من هم في بيته من الآداب والعمل .

وقد بلغ بهم الخشوع في المسجد مبلغا ؛ حتى أنه كان يدخل عليهم فيه اليهودي أو النصراني فيكاد يذهب عقله أو يصعق ويغشى عليه من هيبة الصحابة في خشوعهم وسكينتهم وقت انتظار الصلاة ، وربما سارع إلى الإسلام ، وكم من أسير شهد الصحابة يصلون ، وكان أشد الناس نفورا من الإسلام فمألاً الله قلبه نورا ، وأقبل على الإسلام بإخلاص . وما تعلم الصبيان الخشوع لله والحب لله والمسارة إلى مرضي الله إلا بجلوسهم مع آبائهم في المسجد ، وشهود ما عليه آبائهم . وكانوا رضى الله عنهم يجذبون قلوب الكفار بسمتهم وهديتهم وخشوعهم

لربهم مساجدهم ، ويحملون الصبيان بالفضائل الإسلامية حتى ينشأ الصبي كوالده . وحقيقة : إذا أردنا استعادة مركزنا القيادي بالوجود البشري ، والواقع الحضاري الإنساني ، فلنهتم بالمسجد ، وبدوره ، مسجد الأُمس ، مسجد رسول الله

﴿ص وآله﴾ الذي كان المدرسة والجامعة والمعهد ، الذي كان مؤثلا لكل علم وحضارة وهداية ، وبغير المسجد علما وتعلما وتأثرا لن نصل إلى ما نريد ؛ لأن المسجد من حيث الرسالة : هو الإسلام ، والإسلام وحده باب الحياة الفاضلة .

٢_ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

بعد وصوله **﴿ص وآله﴾** إلى المدينة بخمسة أشهر آخى رسول الله **﴿ص﴾**

وآله﴾ بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة ، والتوارث .

وذلك حتى يجتمع شمل المهاجرين مجتمع الأنصار ، ويذوبوا بعضهم ، ولتذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض .

ولما اشتد عز الإسلام واجتمع شمل المؤمنين وذهبت الوحشة وما بقيت غير المحبة . أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم إخوة . وكان جملة المتآخين تسعين أخ: خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار . وتمت المؤاخاة في دار أبي طلحة زيد بن سهل رضى الله عنه .

وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب ، فشاركه في العلم ، وقاسمه في نحر البدن ، وزوجه أفضل بناته ، وأحبهن إليه ، وخصه بذلك لمؤاخاته علي بن أبي طالب ، ورد في حديث المؤاخاة الذي آخى فيه رسول الله ﷺ بين أصحابه ، فأخى بين كل من شكّلين من العلم والحال ، أخى بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان وعبد الرحمن وهما نظيران ، وأخى بين سلمان وأبي الدرداء وهما شكّلان في العلم والزهد ، وأخى بين عمار وسعد وكانا نظيرين ، وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب ، ورضي الله عنهم أجمعين ، وهذا من أعلى فضائله لأن علمه من علمه ، وحاله من وصفه .

ثم أخى بين الغني والفقير ليعتدلا الحال ، وليعود الغني على أخيه الفقير بالمال ، قال أبو سلمان الدрани: إذا آخيت أحدا فلا تعاتبه على أمر تكرهه منه ، فإنك لا تأمن أن يعينك بشر من الأول . قال بعض العلماء: الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته ، ومعاتبته خير من القطيعة ، والقطيعة أحسن من الوقيعة .

وقال بعضهم : كدر الجماعة خير من صفو الفرقة .

وأصبح الصحابة الكرام بعد المؤاخاة هياكل متعددة ، سرت فيهم روح واحدة ، كالجسد الواحد تعددت أعضاؤه ولكنه واحد ، فإذا تألم عضو منه شعر بالألم كل

الجسد ، يتألمون جميعا لألم أحدهم ، غنيهم فقير لأنه يؤثر الفقير على نفسه ، وفقيرهم غني لكمال ثقته بربه ، صفت قلوبهم فتجملت ظواهرهم ، فإذا رأى الأخ الأخ كأنه أشرقت عليه أنوار ، فانبسط وانشرح وصافح وفرح ، فيزداد نورا على نوره ، وحالا على حاله ، وعلمنا على علمه ، ييذل كل أخ لأخيه ما يجد من وجد أو موجود ، فيغذي الأخ أخاه بعلمه ، والآخر يغذيه بخبزه ، فلا يقابل أخ أحا إلا وفتحت أبواب السماء بالبركات ، وهطلت الأرزاق والفتوحات ، نزع الله ماصدورهم من غل ، وماقلوبهم من طمع لأنه سبحانه هو المحبوب لهم في أنفسهم وما تقولون في اثنين تقابلا على شوق في الله ، ومحبة في الله ، وبذل في ذات الله ؟! هذا ييذل لأخيه ما به سعادته الأبدية من علم وحال وخلق حسن ، والآخر ييذل له نفيس طعامه وشرابه وماله ، وما تقولون فيمن تحقق فيهم قوله ﴿ص وَاللَّهُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى : "الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلُونَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرُونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغِيْطُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ" ؟! .

وليس هذا الوصف العلي موجودا إلا في الصديقين وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فكل أخ يعامل إخوانه بهذا فهو من الصديقين ، ومن أبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ص وَاللَّهُ : "إِنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغِيْطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، فَقَالَ ﴿ص وَاللَّهُ : "هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْمُتَزَاوِرُونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى" (رواه النسائي)

وكان الفضيل بن عياض وغيره يقول : نظر الأخ إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة .

بما تنصح الأخوة في الله ؟

لا تنصح الأخوة في الله عز وجل إلا بما شرط فيها من الرحمة في الاجتماع ، والخلطة عند الافتراق بظهور النصيحة ، واجتناب الغيبة وتمام الوفاء ، ووجود الأُنس ، وفقد الجفاء ، وارتفاع الوحشة ، ووجود الانبساط ، وزوال الاحتشام. وقال **ص وآله** : " أَحَبُّ الْإِخْوَانِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْفَقُهُمَا بِصَاحِبِهِ " (رواه ابن حبان والحاكم) وقال ابن عباس في وصيته لمجاهد: لا تذكر أخاك إذا تَغَيَّبَ عنك إلا بمثل ما تحب أن تُذكرَ به إذا غبت ، واعفه بما تحب أن تغفى به. وقال آخر : ما ذكر أخ لي في غيبته إلا تصورت نفسي في صورته ، فقلت فيه ما أحب أن يقال فيَّ . فهذا حقيقة في صدق الإسلام، لا يكون مسلما حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

وقد كان أبو الدرداء يقول : إذا تغير أخوك وحاله عما كان ؛ فلا تدعه لأجل ذلك ، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى . وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان قد آخاه ، فخرج إلى الشام ، فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال: ذاك أخو الشيطان ، قال : مه ، قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر، فقال إذا أردت الخروج فأخبروني ، قال فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمْدُكَ﴾ ١ ﴿تَنْزِيلُ﴾ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿غَافِرُ﴾ ١ - ٣. ثم عاتبه تحت ذلك وعذله ، فلما قرأ الكتاب قال: صدق الله ونصح لي عمر ، قال : فتاب ورجع . وكان

الحسن وأبو قلابة يقولان : إخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا ، لأن أهلينا يذكروننا الدنيا ، والإخوان يذكروننا الآخرة .

وقال ﴿ص وآله﴾: " مَا زَارَ رَجُلٌ أَخَاهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَوْقًا إِلَيْهِ وَرَغْبَةً فِي لِقَائِهِ ، إِلَّا نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْفِهِ: طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ " (أخرج ابن عدي). وعن عطاء كان يقول: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث ، فإن كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا مشاغل فاعينوهم ، وإن كانوا نسوا فذكروهم . وقال الأحنف بن قيس : ثلاث خلال تجلب بمن المحبة: الإنصاف في العاشرة ، والمواساة في الشدة ، والانطواء على المودة.

وحقيقة الحب في الله عز وجل ألا يحسده على دين ولا دنيا ، كما لا يحسد نفسه عليهما ، وأن يؤثره بالدين والدنيا إذا كان محتاجا إليهما كنفسه ، وهذان شرطا الحب في الله عز وجل اللذان ذكرهما الله تعالى في قوله تعالى:

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ الحشر: ٩

ثم وصف محبتهم إذ يصف حقا ويمدح محققا فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ الحشر: ٩ ، يعنى من دين ودنيا، ثم قال تعالى في الشرط الثانى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩ ، ولا تصح مؤاخاة مبتدع في الله تعالى، ولا محبة فاسق يصحب على فسوقه ، ولا محبة فقير أحب غنيا لأجل دنياه ، ولا ما يناله من عاجل مناه ، وليس الإخاء كف الأذى لأن هذا واجب ، ولكن الإخاء الصبر على الأذى. وكانت طائفة من الصوفية لا يصطحبون إلى على استواء أربع معان ، لا يترجح بعضها على بعض ، ولا يكون فيها اعتراض من بعض وهي:

١- إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم.

٢- وإن صلى الليل أجمع لم يقل له أحد نم بعضه.

٣- وتستوى حالاته عنده فلا مزيد لأجل صيامه وقيامه ، ولا نقصان لأجل إفطاره ونومه ، فإذا كان عنده يزيد بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين.

٤- وقد كان الإخوان يتبايتون على العلوم والأعمال وعلى التلاوة والأذكار. وبهذه المعاني تحسن الصحبة وتحق المحبة ، وكانوا يجدون من المزيد من ذلك والنفع به في العاجل والآجل مالا يجدونه في التخلي والانفراد ، من تحسين الأخلاق ، وتلقيح العقول ، ومذاكرة العلوم ، وهذا لا يصح إلا لأهله ، وهم أهل سلامة الصدور ، والرضا بالميسور مع وجود الرحمة ، وفقد الحسد ووجد التناصر ، وعدم التظاهر ، وسقوط التكلف ودوام التألف ، وقد ضم الله عز وجل الصديق إلى الأهل ووصله بهم ، ثم رفع الأخ وقدمه على الصديق وهو قوله عز وجل: ﴿أَوْ

مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقُكُمْ﴾ النور: ٦١.

كان الأخ يدفع مفاتيح خزائنه إلى أخيه ويتصرف في الحضر ، ويتقلب في السفر ، ويقول لأخيه: حكمك فيما أملك كحكمي ، وملكي له كملكك ، ثم نسق الأقارب على ترتيب الأحكام ، وضم إليهم الأخ لما وصفه بتمليكه مفاتحه أخاه ، فأقام ذلك مقام ملك أخيه لأنه أقام أخاه مقامه فقال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ

مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقُكُمْ﴾ النور: ٦١ ، ثم أخرج الصديق بعده إذا لم يكن

بحقيقة وصفه ، ثم قال عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا

جَمِيعًا﴾ النور: ٦١ بحضرة الإخوان ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ في حال تفرقهم ، فسوى بين غيبتهم وشهودهم لتسوية إخوانهم بينهم وبين أملاكهم ، واستواء قلوبهم مع ألسنتهم في البذل والمحبة .

بعد أن آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار خطا خطوة حاسمة
اعتبرت فتحا جديدا في الحياة السياسية ؛ لتحقيق التحالف بين سكان المدينة
جميعا ، مسلمين وغيرهم ، حيث قد أحسن اليهود استقباله أملا في استدراجه إلى
صفوفهم ، ورد التحية بأحسن منها فتحدث إلى رؤسائهم ، وربط بينه وبينهم
برابطة المودة ، لا أنهم أهل كتاب موحدون ، حتى كان ﷺ يصوم يوم
صومهم ، وكانت قبلته في الصلاة ما تزال إلى بيت المقدس .. قبله أنظارهم ،
ومثابة بني إسرائيل جميعا، وزادت رابطة المودة ، نظرا لما كان يتمتع به من التواضع
والعطف والوفاء إلى نحو ذلك مما أورثه ﷺ قوة السلطان على أهل
يثرب .

ونتيجة لهذا كتب بين المسلمين واليهود كتاب صداقة وتحالف إذ تقرر : حرية
العقيدة - حرية الرأي- حرمة المدينة - حرمة الحياة- حرمة المال - تحريم
الجريمة ... إلى غير ذلك من المبادئ السامية ، التي جعلت من هذه الوثيقة
السياسية فتحا جديدا في الحياة السياسية ، والحياة المدنية ، وإنها جديرة بالإعجاب
على مر التاريخ ، حيث لم يسبقه إليها أي نبي أو رسول. وهذا هو نص هذا
الكتاب:

٣- كتاب رسول الله ﷺ بالموادعة بين المسلمين واليهود :

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين
والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة
من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم (أمرهم الذي كانوا عليه)
يتعاقلون بينهم . وهم يفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معهم (الديات) الأولى ، كل طائفة تفدى
عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عمر بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو الحارث [ابن الخزرج] على ربعتهم ، يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف ، والقسط بين المؤمنين .

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف ، والقسط بين المؤمنين .

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا (مثقلا بالدين والعيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل . وألاّ يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم .

ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن .

وأن ذمة الله واحدة يجبر عليهم أدانهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة (المساواة) غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

وأن سلم المؤمنين واحدة ، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم .

وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا .

وأن المؤمنين يبرء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله .

وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن .

وأنه من اعتبط (قتل بلا جناية) مؤمنا قتلا عن بيته فإنه قود به ، إلا أن يرضى

ولى المقتول بالعقل (الدية) ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر

محدثا (جانبا) ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإنه عليه لعنة الله وغضبه يوم

القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد ﷺ

وآله ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ومواليهم

وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه ، وأهل بيته .

وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود

بني عوف ، وأن ليهود بن جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود بني الأوس

مثل ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود

بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه

وأهل بيته .

وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

وأن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم .

وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .

وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن

محمد ﴿ص وآله﴾

وأنه لا ينحجز (لا يلتزم) على ثأر جرح ، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا [أي على الرضا به] .

وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم .

وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

وأن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإنه مرده

إلى الله ، وعلى محمد رسول الله ﴿ص وآله﴾ ، وأن الله على اتقى ما في هذه

الصحيفة وأبره .

وانه لا تجار قريش ولا من نصرها . وأن بينهم النصر على من دهم يشرب .

وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فإنهم يصلحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا

دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين .

على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة . وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو آثم ، وأن الله جار لمن بر واتفق ، ومحمد رسول الله ﴿ص وآله﴾ . وبهذا تمت الألفة ، وسادت الطمأنينة بين الناس ، وشعر المسلمون بالعزة والكرامة ، والسيادة والسلطان .. وبدأ التاريخ الإسلامي وافتتح العهد الجديد للإسلام حيث أسست أعظم مدينة عرفتها الإنسانية ، وبدأ الدين الإسلامي يتجه نحو العالمية تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

الأنبياء: ١٠٧،

٤_ أسس النظام الاقتصادي للإسلام :

وضع الرسول ﴿ص وآله﴾ أساسا للنظام الاقتصادي ، الهدف منه تحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع ، فقرب بين الغني والفقير ، وجعل للفقير حقا في مال الغني ، وجعل للصالح العام للدولة حقا في أموال الأغنياء ، وغير هذا من التشريعات ، التي حققت التعاون بين المسلمين ، وأرست المبادئ الإسلامية العادلة ، وبعد هذا ندرك أن الرسول ﴿ص وآله﴾ قد وضع نواة الدولة الإسلامية على أسس من الإيمان بالله تعالى ، والإخاء والحب ، ووضع الدستور الإسلامي للأجيال التالية على نفس الأسس ، وحينما سار عليه المسلمون الأول كتب الله لهم النصر وملكوا الدنيا شرقا وغربا وعندما تركوه مزقوا شر ممزق ، وتسلبت عليهم من كانوا رقيقا يبايعون في أسواقهم ، وليس منجاة مما نحن فيه إلا بربط حاضرتنا بماضينا ، وعلمنا أن نتأسى بهم ، حتى نسعد في دنيانا وأخرانا .

هَاجَرَتْ يَاسِرَ الْوُجُودِ لِحِكْمَةٍ تَخْفَى عَلَى فُطْنِ لَيْبٍ

كَيْ تُشْرِقَ الْأَنْوَارُ أَرْضًا وَسَمًا
آذَاكَ قَوْمُكَ وَالْأَقَارِبُ سَيِّدِي
وَالْأَكْ رَبُّكَ بِالْأَيْمَةِ آيَةً
كَيْ يَظْهَرَ الْحَقُّ الْمُبِينُ مُؤَيَّدًا

كَيْ يَظْهَرَ الْإِسْلَامُ مَظْهَرَهُ الْغَرِيبُ
وَالْعَنْكَبُوتُ يَرُدُّ مَعْرُورًا مُرِيبُ
كُبْرَى لَدِي رَأْيٍ مُصِيبُ
بِالْمُعْجَزَاتِ مِنَ الْبِدَايَةِ لِلْمَشِيبِ

الفصل الثاني

كشف الأسرار و الحكم التي تضمنها فتح مكة المكرمة

معاملة الأسرى

تجلت الأخلاق الربانية التي تحمل بها رسول الله ﷺ بآجلى مظاهرها في فتح مكة ، فإن أهل مكة بعد أن حاربوا الله و رسوله ﷺ و آله و آذوا رسول الله ﷺ و حاربوه المرة بعد المرة ، و بذلوا كل ما في وسعهم لحو الحق متظاهرين بأشد العداوة و ألد العدا ، كان لا يشك اثنان أن رسول الله ﷺ و آله إذا أظهره الله عليهم لا يبقى منهم نافخ نار ، و كان القوم يعتقدون ذلك تمام الاعتقاد ، حتى إذا أظهره الله عليهم و مكنه منهم ، عمتهم رحمته التي فطره الله عليها ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الانبياء: ١٠٧ . وقال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨ و شملتهم رأفته ﷺ و آله

شرف ﷺ و آله مكة كما هو والد رءوف رحيم قدم من سفر على أبناء برة ، نسي ﷺ و آله شرورهم و أذيتهم ، و عطف عليهم عاطفة من يحب لهم الخير و يرجو لهم النجاة من هول يوم القيامة ، فأمنهم إلا نفرا منهم استوجبت أعمالهم الانتقام منهم الله تعالى ، ولكن سعة الرحمة الإلهية التي جمل الله بها حبيبه ومصطفاه بقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النساء: ٦٤ . وسعتهم حتى صاروا من كبار الصحابة.

حفظ الله رسوله ﷺ و آله وعصمه سبحانه و تعالى من أن ينقض عهدا عاهده ، أو يخلف وعدا وعده ، حتى نقضت قريش العهد و أخلفوا الوعد ، لحكم هي طهارة بيت الله من الأصنام و عبادة غير

الله ، فكان نقض قريش العهد سببا لفتح مكة. نظر رسول الله ﷺ إلى الأمر نظرة حريص على أمته ، رءوف رحيم بالمؤمنين ، فأحب ﷺ ﷺ وأله ﷺ ألا يسفك دم في مكة ، وأن يفتحها الله تعالى بآية تكون معجزة له ﷺ ﷺ وأله ﷺ حتى يحفظ الله تعالى أهل حرمه من أن يقتل رجل منهم بسيف الله فيخلد في نار جهنم ، رحمة منه ﷺ ﷺ وأله ﷺ يقوم لم يتركوا نوعا من أنواع الأذية إلا أوقعوه به ﷺ ﷺ وأله ﷺ ، ولا بابا من أبواب الشر إلا فتحوه ، فكان جزاؤهم في الحقيقة أن يقطعوا بسيوف المؤمنين إربا ، وأن يجعل الله بهم إلى جهنم ، و لكن رحمة الله التي فطر عليها حبيبه و مصطفىاه وسعت قوما لم يتركوا شيئا من أنواع الشرور إلا فعلوها برسول الله ﷺ ﷺ وأله ﷺ ، فأخفى رسول الله

ﷺ ﷺ وأله ﷺ أمره ، وسأل الله أن يمنع عنهم الأخبار ، لم تكن حكمة ذلك خديعة حربية يريد بها مباغتتهم واستئصالهم لا والله ، و لكن ﷺ ﷺ وأله ﷺ أحب ألا يعلموا بمسيره إليهم حتى يصحبهم فيكون ذلك داعيا لاستسلامهم وطلبهم الأمن منه

ﷺ ﷺ وأله ﷺ ، وهي رحمته الواسعة ﷺ ﷺ وأله ﷺ ، ورأفته العامة ، وقد أكرمه الله تعالى بما أحب ، فأمسك الأخبار عن قريش حتى أصبحهم ﷺ ﷺ وأله ﷺ ، فلما رأوه ﷺ ﷺ وأله ﷺ امتلأت قلوبهم رهبة ، فكانت السعادة لهم ولأولادهم من بعدهم ، حكمة قد تخفى على كثير ممن لم تنزك نفسه ، و لم يكشف بجزء من الرحمة الحمديدية.

انظر إلى تلك الرحمة الحمديدية وسعتها ، كيف مكنه الله من أشد أعدائه وألد بغضائه ، فكان ﷺ ﷺ وأله ﷺ وهو يريد جهادهم يجتهد أن يرحمهم ، وهو يقصد حرهم يحب أن يدفع عنهم الشرور والبلايا . و قد أودى في الله منهم أذية لم يؤذها نبي من قومه ، و كل رسول قبله ﷺ ﷺ وأله ﷺ وعليهم كانوا إذا مكنتهم الله من قومهم سألوه أن يخسف بهم الأرض ، أو يغرقهم في اليم ، أو يأخذهم بالسنين ، أو يمسخهم قردة وخنزير . وهذا السيد ﷺ ﷺ وأله ﷺ مكنه الله من أشد أعدائه وألد بغضائه فكان ﷺ ﷺ وأله ﷺ أحرص الناس على هدايتهم ، وأرف الناس بهم ، و أحن الناس عليهم ، حتى شملهم منه برحمة وعاطفة قد لا تكون من والد رءوف رحيم بولد بار وحيد . الله أكبر هذا هو السيد الذي يقول الله تعالى مشيا عليه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤ ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ ﴾ آل عمران:

١٥٩ ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ هو ولا شك سيد رسل الله ، و أكمل من تخلق بأخلاق الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وورثته.

لقد أعلم الله رسوله ﷺ ﷺ وأله ﷺ بغدر بنى بكر و قريش ، و أسمعه استغاثة عمرو بن سالم الخزاعي في مكة وهو ﷺ ﷺ وأله ﷺ بالمدينة فلباه ﷺ ﷺ وأله ﷺ ثم وفد عليه خزاعة مستغيثا به ﷺ ﷺ وأله ﷺ فأجابهم بما أجابهم به ، و أخفى الأمر حتى قام متوجها إلى مكة ﷺ ﷺ وأله ﷺ وأمر بحفظ الطرق.

وكتب حاطب بن أبي بلتعة لقريش بالخبر ، ولو وصلت كتابته لقريش لسالت الأودية دماء ، حتى تصبح الأرض وليس عليها قرشي ، و لكن الرءوف الرحيم الذي أرسله الله رحمة للعالمين أعلمه الله بعمل حاطب رحمة بقريش، و إكراما له

﴿ص وآله﴾، حتى يكون كما أخبر الله رحمة للعالمين لا نعمة للعالمين ، فلما أن كشف الله هذا السر عفا عن حاطب ، وهذا الأمر من أكبر النفاق ، لأنه خيانة لرسول الله ﴿ص وآله﴾، لكن رسول الله ﴿ص وآله﴾ وفي يحفظ السابقة لأصحابه، و ينظر إلى حسناتهم في سابقاتهم، و يحمل معاصيهم وسيئاتهم على جانب رحمته الواسعة ، ورافته العميمة ، فيعفو و يغفر ﴿ص وآله﴾، جعل حكمة عفو عنه أنه شهد بدرا.

وهنا حكمة خفية على من لا بصر له ، و هي أن الذين كانوا يحاربون الله ورسوله ﴿ص وآله﴾ في بدر هم قريش، و من حارب قومه في بدر و أصاب منهم في بداية الإسلام و زمن الخوف ، كيف يميل إليهم في وقت القوة و المنعة. و الحقيقة أن مسلما يؤمن بالله ورسوله ﴿ص وآله﴾ لا يميل إلى الكفار ولو كانوا آباءه أو أبناءه بقلبه ، و إن مال بلسانه فلغرض لا يخلو من حكمة ، فكيف بصحابي من أصحاب رسول الله ﴿ص وآله﴾

بين لنا ﴿ص وآله﴾ أن السابقة يجب أن تراعى في أضيق المضائق ، وأن يعامل الصاحب بما مهما سقط أو ذل خصوصا إذا جاء معترفا. والأولى بكل مسلم أن يتشبه بأخلاق رسول الله ﴿ص وآله﴾
دخل رسول الله ﴿ص وآله﴾ مكة و معه جيش الله تعالى ، فكانت راية الأنصار في يد سعد بن عبادة، و كان كل مسلم يعتقد أن أثمار الدماء تجري بين أودية مكة ، لما يعلم كل مسلم من سوء فعل أهلها و قبح صنيعهم ، و لا يشك مسلم في ذلك حتى قال سيدنا سعد ؓ كلمته التي تقدمت لك لاعتقاده ذلك ، فبلغت رسول الله ﴿ص وآله﴾ فكره ﴿ص وآله﴾ هذا الكلام من سعد لما هو عليه من الرحمة والرفقة الحرص ﴿ص وآله﴾، وأمره أن يعطى الراية لسيدنا قيس بن سعد لما يعلمه من الرحمة فيه ؓ، و هو ﴿ص وآله﴾ الوفي العطوف الرءوف الرحيم الحريص على جميع الخلق ﴿ص وآله﴾.

يظن الناس أن رسول الله ﴿ص وآله﴾ قدم مكة ليهيئها، لا والله ، ما أقدمه الله عليها إلا ليعزها ، و يظهر مجدها ، وينشر فضلها بين العالم أجمع.

دخل ﴿ص وآله﴾ هو و أصحابه ؓ بسلامح المجاهدين فما لبث ﴿ص وآله﴾ إلا وصارت تلك الحياة التي ظاهرها قهر قد تبدلت وصارت مظهرها من مظاهر الحفاوة والإجلال والتجلة والإعظام لبيت الله وحرمة ومسجد خليل الله.

ظن كفار قريش أن رسول الله ﷺ جاء ليذل الكعبة وأهلها ، وإذا به ﷺ يص ﷻ وآله ﷺ يطوف مهللاً مكبراً حامداً مسبحاً ، فأذل الله به الأصنام ، و طهر به بيته الحرام من الرجز والأوثان ، وحفظ الله بفتح مكة جزيرة العرب من أن يعبد فيها غير الله عز وجل.

أقر ﷺ وآله ﷺ السقاية والسدانة والحجاجة لأهلها تعظيماً لحرم الله ، وإكراماً لجيران بيت الله ، و برا بوالديه و صلة لأرحامه ﷺ ﷻ وآله ﷺ

صلى ﷺ وآله ﷺ نافلة في جوف الكعبة ليظهر لنا أن كل جزء من أجزاء الكعبة وجهة للأشباح ، وبين لنا أن تحية ظاهرها للقدام غير تحية باطنها للداخل فيها ، حتى يكون كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ المائدة: ٣.

لفتح عمله ﷺ وآله ﷺ بالمهمة التي هي سر الحكمة في بعثته ﷺ ﷻ وآله ﷺ وهي كسر الأصنام ومحوها عن وجه الأرض ، حتى يكون الدين كله لله ، وهذا وعد من الله تعالى ، فلم يترك على الكعبة صنما إلا أزاله إعلاء لكلمة الله ، وتجريداً لتوحيد الله. أمر عليا بن أبي طالب كرم الله وجهه أن يضع قدميه على كتفيه

ﷺ ﷻ وآله ﷺ ليكسر صنمهم الأكبر ، ففعل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، و في هذا سر غامض، و إشارة من أعظم إشارات التوحيد، و هي أنه ﷺ ﷻ وآله ﷺ يحمل على كتفيه ليمحق الأصنام الظاهرة، وليرى أمته ﷺ ﷻ وآله ﷺ أنه عبد مهمته تجريد القلوب من الشرك الخفي ، و تطهيرها مما يشوبها من العقائد الباطلة ، حتى تنعقد القلوب على أنه عبد الله ورسوله ﷺ ﷻ وآله ﷺ، فلما رأى الناس عليا بن أبي طالب كرم الله وجهه على كتفيه الشريفة ليكسر الأصنام ، سكروا أرواحهم بخمر التوحيد الخالص ، و علموا قدر رأفته ورحمته بالمؤمنين ﷺ ﷻ وآله ﷺ

سمى فتح مكة فتحاً لم يكن لفتح مكة فقط ، بل هو فتح أكيد للأرض جميعها وخصوصاً جزيرة العرب. تلك الأخلاق الحميدة نوعت تلك النفوس الإبلسية حتى جعلتها نفوس ملكية، وألانت تلك القلوب الحجرية حتى جعلتها قلوباً خائفة لله رب العالمين ، و صدق الله العظيم بقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

ويقول سبحانه تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ آل عمران: ١٠٣.

ونعم إنا والله ليجب علينا أن نذكر نعمة الله علينا، وأعظم نعمة الله علينا هو رسول الله ﷺ،
وكنا أعداء فألف الله به بين قلوبنا ، وكنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله به ﷺ وآله ﷺ منها إلى
الإيمان به سبحانه ، وإلى فردوسه الأعلى .

الفصل الثالث

خطبة الرسول ﷺ ص وآله في حجة الوداع

" سور الأمن وحصن الأمان للدولة الإسلامية "

وإليك القسطاس المستقيم ، والبيان الحكيم ، وهو خطبة رسول الله ﷺ ص وآله في حجة الوداع التي هي أم كتاب أسرار الإسلام ، وسور الأمن وحصن الأمان للمسلمين ، والشفاء الحقيقي لكل الأمراض ، وها هي بنصها وفصها :

(إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ ص وآله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذي هو خير .

أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني أين لكم ، فإني لا أدري ، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، موقفي هذا .
أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِفُونَ عَمَّا يُؤْمِنُونَ عَمَّا ﴾
لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَزَمَ اللَّهُ ﷻ التوبة: ٣٧ . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقا ، وإن لكم عليهن حقا ، لكم عليهن ألا يواطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكررهنه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن وتجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن

وكسوتهم بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله النساء واستوصوا بمن خيرا .
أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرئ ما لأخيه إلا عن طيب نفسه . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .
أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس : إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من دعي لغير أبيه أو تولى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
من تدبر معانيها ، وأمعن النظر مبانيها ، وتناول بروحه من ظهور شراها ، يظهر له الحق جليا ، والهدى بينا لا خفيا ، ويحكم حكما عدلا أن الإسلام هو الوطن الذي يجب أن يحمي حماه ، ويوالي من والاه ، ويعادي من عاداه ، ويبدل كل مسلم النفس والنفس لإعلائه ، وتجديد سننه حتى يظهره الله على الدين كله ، ولو كره المشركون . به السعادة والعز والسلطان في الدنيا ، ونيل الخير الحقيقي والمجد الأبدى في الدار الآخرة ، ومن تساهل فيه أو تماون ، فكأنما انحط من السماء ، فتهوى به الريح مكان سحيق ، وتخطفه الشياطين . وإن ظن - لسوء فهمه وظلمة عقله - أنه ينال بسبب تفرقة الجماعة في الدين ، أو التقرب لأعداء وطنه العزيز الذي هو الإسلام فإنما ذلك عز يتخيله حيوان ، يؤكل لحمه ، يعني ماله بغيره بغذائه وشرايه ليسمن فيذبحه ، ولو علم الحيوان الأعجم سر عناية الإنسان بأكله وشربه ، والحفاظة عليه من السباع لألف السباع ، واستوحش من بني الإنسان .
ولكن الإنسان قد تبلغ به الجهالة إلى حالة ينحط فيها عن الحيوان الأعجم ، فيفرح بزهرة عاجلة يعقبها الذل الأبدي ، والعذاب السرمدي ، وسخط رسول الله ﷺ و آلِهِ

وجاء أنه ﷺ أمر مناديا صار ينادى بكل ما قاله وهو ربيعة بن أمية بن خلف .
ولما تم ﷺ خطبته أمر بلا لا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا فصلاهما مجموعين وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين . ثم ركب ﷺ و آلِهِ وراحلته إلى أن أتى الموقف فاستقبل القبلة ولم يزل واقفا للدعاء من الزوال إلى الغروب ، واستمر كذلك حتى غربت الشمس .

ونزلت : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ﴾ المائدة: ٣ . يوم الجمعة بعد العصر والنبي ﷺ و آلِهِ واقف بعرفات على ناقته فكاد عضد الناقة يندق من ثقل الوحي .

الباب الثاني

مفهوم السياسة في فكر الإمام علي عليه السلام

الفصل الأول

عناصر السياسة في فكر الإمام علي عليه السلام

المساواة في التوزيع والعطاء، والحقوق والواجبات، وأمام القانون.
الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية ورعاية إصلاح الأرض قبل أخذ
الخارج منها.
حفظ حقوق الأقليات المخالفين في الرأي والدين والعرق والمذهب بإخماد
الفتنة في مهدها حتى يتم التلاحم بين مختلف الطبقات من مواليين للحاكم
ومعارضين له وللنظام القائم.
حفظ حق الحياة للمعارضين له.
حفظ حق الملكية الفردية للمعارضين له.
حفظ حق الحرية الشخصية وحرية الحركة للمعارضين له.
حفظ حقوق الأقليات الدينية يقول عليه السلام إني نظرت في كتاب الله فلم
أجد فضلا لولد إسماعيل على ولد إسحق..... إذ آدم لم يلد عبدا ولا
أمة..... إن الناس كلهم أحرار.
المساواة في العطاء من بيت المال بين المسلمين وغيرهم.

المساواة بعدم شمول الضريبة لغير العفو أي: ما يفيض عن مئونتهم وشئون
عملهم وكسوتهم، كذلك إعفاء الفقير والمحتاج من دفع الضريبة.
حق الحرية الشخصية لغير المسلمين.
حق الملكية الفردية لغير المسلمين.
حق التقاضي أمام محاكمهم الخاصة.

الفصل الثاني

رسالة الإمام علي عليه السلام لجميع حكام العالم

كتب الإمام علي (عليه السلام) كتابا إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) لما ولاه مصر ، جاء فيه :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مَالِكُ بْنِ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وَلَاهُ مِصْرَ : جَبَايَةَ خَرَاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا .

١- تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُهُ وَنَصْرُهُ وَجِهَادُ النَّفْسِ :

أَمَرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ ، مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ - جَلَّ أَسْمُهُ - قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ .

٢- السَّيِّرَةُ الْحَسَنَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَجِهَادِ النَّفْسِ:

ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُورٌ قَبْلَكَ مِنْ عَذْلِ وَجَوْرِ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ ...

إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يَجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فَاْمْلِكْ هَوَاكَ ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ .

٣- الرَّحْمَةُ بِالرَّعِيَّةِ:

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَعْتَسِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرِطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ .

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُذُوحَةً ، وَلَا تَقُولَنَّ : إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ .

٤- التَّحْذِيرُ مِنَ الْكِبَرِ:

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُنْهَئَهُ أَوْ مَخِيلَةً ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ . إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّئُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

٥- الْإِنْصَافُ مِنَ النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْخَاصَّةِ وَعَدَمُ الظُّلْمِ:

أَنْصِفَ اللَّهَ وَأَنْصِفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزَعَ أَوْ يُتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

٦- خَيْرُ الْأُمُورِ الْأَجْمَعُ لِرِضَا الرَّعِيَّةِ:

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْهِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مُؤُونَةً فِي الرِّخَاءِ ، وَأَقْلَ مُؤُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ ، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنَعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مِلَمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ ، وَمِثْلُكَ مَعَهُمْ .

٧- أَلَوْشَايَةُ قَبِيحَةٍ وَلَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً:

وَلْيَكُنْ أَبَعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا ، أَلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا ، فَلَا تَكْشِفْنِ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ .
أَطْلِقِ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَثَرٍ ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِيقُ لَكَ ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ .

٨- الْإِسْتِشَارَةُ لِأَهْلِ إِحْسَانِ الظَّنِّ بِاللَّهِ:

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَغْدُلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُرِيِّنُ لَكَ الشَّرَّهَ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

٩- أَلُوزَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ:

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا ، وَمَنْ شَرَّكَهُمْ فِي الْآثَامِ ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْآثِمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظَّالِمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ ، أَوْلَيْكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَوْوَنَةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَحْسَنُ عَلَيْكَ عَطْفًا ، وَأَقْلُّ لِعَيْرِكَ إِفًّا ، فَاتَّخِذْ أَوْلَيْكَ خَاصَّةً لِيَخْلُواتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمِرِّ الْحَقِّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَاقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى الْأَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يُيَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ ، وَتُذْنِبِي مِنَ الْعِزَّةِ.

١٠- الإِحْسَانُ لِلْمُحْسِنِ وَالْعُقُوبَةُ لِلْمُسِيءِ:

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِلأَهْلِ
إِلِإِحْسَانٍ فِي الإِحْسَانِ ، وَتَذَرِيًّا لِلأَهْلِ إِلسَاءَةِ عَلَى إِلسَاءَةٍ ! وَلَزِمَ كُلًّا مِنْهُمَا مَا
الَزَمَ نَفْسُهُ.

١١- الإِحْسَانُ لِلرَّعِيَّةِ حُسْنُ ظَنٍّ بِهِمْ:

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنٍّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ،
وَتَخْفِيفِهِ أَلْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلُهُمْ .
فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ
يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ،
وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ.

١٢- أَلْعَمَلُ بِالسُّنَّةِ:

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الأَمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلُفَةُ ،
وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ ، وَلَا تُحْدِثْ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ ،
فَيَكُونُ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَهَا ، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

١٣- مُدَارَسَةُ الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَاقَشَةُ الْحُكَمَاءِ:

وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ ،
وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

١٤- طَبَقَاتُ الْمَجْتَمَعِ:

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ
بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ،
وَمِنْهَا عُمَالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفْقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزِيَّةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ
وَمُسْلِمَةُ النَّاسِ ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي

الْحَاجَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﴿ص وَالْه﴾ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا.

فَالْجُنُودُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - حُصُونُ الرِّعْيَةِ ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ ، وَسَبُلُ الْأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرِّعْيَةُ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخِرَاجِ الَّذِي يَقَوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقَضَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْكِتَابِ ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاوِدِ ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتِمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا.

وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالْثَّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ، فِيمَا يَحْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ، وَيَقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ ، وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

١٥ - الْأَسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَلِزُومُ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ:

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ ، وَتَوَطُّينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

١٦ - صِفَاتُ قَادَةِ الْجُيُوشِ:

قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا ، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا ، وَمَنْ يَنْطِيءُ عَنِ الْغَضَبِ ، وَيَسْتَتْرِخُ إِلَى الْعُذْرِ ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ، وَمَنْ لَا يُبْشِرُهُ الْعُنْفُ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضُّعْفُ . ثُمَّ أَلْصَقَ بِذَوِي الْمُرُوعَاتِ وَالْأَحْسَابِ ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ ، وَالسُّـوَاقِ

الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ ، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ
الْكَرَمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ .

١٧- رَعَايَةُ الْقَادَةِ:

ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ
قَوَّيْتُهُمْ بِهِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ بَذْلِ
التَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ ، وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَىٰ
جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ
عَنْهُ .

١٨- حُسْنُ الشَّاءِ عَلَى الْقَادَةِ:

وَلْيَكُنْ أَثَرُ رُعُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مُعَوَّتِهِ ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ ،
بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ هُمُومُهُمَا وَاحِدًا
فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ
الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي أَلْبَادٍ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ.

وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَرَتِهِمْ
عَلَىٰ وِلَاةِ الْأُمُورِ ، وَقَلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ ، فَافْسَحْ
فِي أَمَالِهِمْ ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الشَّاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعَدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذَوُو أَلْبَاءِ مِنْهُمْ ،
فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ ، وَلَا تَضُمَّنْ بَلَاءَ أَمْرٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَلَا
تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَاءِهِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ أَمْرٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا
كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا ضَعْفُ أَمْرٍ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.

١٩- الرُّجُوعُ لِلْمَصَادِرِ الشَّرْعِيَّةِ وَخُصُوصًا عِنْدَ الشُّبُهَاتِ:

وَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِلُّكَ مِنَ الْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ؛ فَقَدْ
قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ﴾
فَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ .

وَالرُّجُوعُ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرَّقَةِ.

٢٠- اخْتِيَارُ الْقَضَاةِ:

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ،
وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ، وَلَا يَتِمَادَىٰ فِي الرِّلَّةِ ، وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا

عَرَفَهُ ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ .. أَوْفَقَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمِرَاجِعَةِ الْخَصَمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ .. أُولَٰئِكَ قَلِيلٌ .

ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ ؛ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ أَعْتِيَالُ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ ، فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا ؛ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَىٰ وَتُطَلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

٢١- اخْتِيَارُ الْعُمَالِ وَالْوَلَاةِ:

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِيَارًا ، وَلَا تُؤْلِهِمْ مُحَابَاةً وَآثَرَةً ؛ فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنَ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا ، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا ، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا ، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا ، ثُمَّ أَسْبَغُ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ .

ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ .

٢٢- عُقُوبَةُ خِيَانَةِ الْأَعْوَانِ:

وَتَحَفِظْ مِنَ الْأَعْوَانِ ؛ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكَتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا ، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ .

٢٣- الْخَرَاجُ وَمَالِيَّةُ الدَّوْلَةِ:

وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي إِصْلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ .

٢٤- عِمَارَةُ الْأَرْضِ:

وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِحْلَابِ الْخَرَاجِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمَّ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا .

فَإِنْ شَكُوا ثَقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ اتَّقَطَعَ شَرِبٌ أَوْ بَالَةٌ أَوْ إِحَالَةٌ أَرْضٍ اعْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ ؛ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ ، وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ أَلْمُوتَنَ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ ذَخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَتَرْزِينَ وَلَايَتِكَ مَعَ اسْتِحْلَابِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ ، وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ ، بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرَفَقِكَ بِهِمْ ، فَزَيَّيْنَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَلَتْ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمْلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ وَإِنَّمَا يُؤْتِي خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِغْوَارِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ ، وَقَلَّةِ اتِّفَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ .

٢٥- صِفَاتُ الْكُتَّابِ وَأَصْحَابِ الدِّيَّانِ:

ثُمَّ أَنْظِرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ قَوْلٌ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرُهُمْ ، وَأَخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ ، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِيءُ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأٍ ، وَلَا تُقْصِرْ بِهِ الْعَفْلَةُ عَنْ إِيْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ

يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ فِرَاسَتِكَ وَأَسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ ؛ فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُوعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ .. لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ اخْتِبَرَهُمْ بِمَا وُلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ ، فَأَعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وَلَّيْتَ أَمْرَهُ .

٢٦- صِفَاتُ قَادَةِ الْكِتَابِ:

وَأَجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَفْهَرُهُ كَبِيرُهَا وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَايَيْتَ عَنْهُ أَلْزِمْتَهُ .

٢٧- الرُّفْقُ بِالْتُّجَّارِ وَمَنْعُ الْإِحْتِكَارِ:

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالْتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا: الْمَقِيمُ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبُ بِمَالِهِ وَالْمُتَرَفِّقُ بِيَدَيْهِ ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَابِهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِسُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَحْتَرُّونَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بِأَقْتَتِهِ وَصُلْحٌ لَا تُخْشَىٰ غَائِلَتُهُ ، وَتَفْقَدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ ، وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقًا فَاحِشًا وَشَحًّا قَبِيحًا وَإِحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ ، فَاْمَنْعْ مِنَ الْإِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

﴿ص وَالْه﴾ مَنَعَ مِنْهُ وَلِيَكُنْ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُحْجِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّ بِهِ وَعَاقِبُهُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ .

٢٨- الرِّحْمَةُ بِالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ:

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَىٰ وَالزَّمْنَىٰ ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا ، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا

أَسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ ؛ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى ، وَكُلُّ قَدْ أَسْتَرْعَيْتَ حَقَّهُ ، وَلَا يَشْعَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ ؛ فَإِنَّكَ لَا تُعَذِّرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ.

فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ، وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفْقِدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ أَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ تَلْقَاهُ ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرِّعِيَةِ أَخْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَكُلُّ فَاغْذِرْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسُهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَافِيَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَقَفُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

٢٩- الإِجْتِمَاعُ بِأَصْحَابِ الْحَاجَاتِ وَالْمَصَالِحِ:

وَاجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدُكَ وَأَعْوَانُكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ؛ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَنَّعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: ﴿لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَنَّعٍ﴾ ، ثُمَّ أَحْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ ؛ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ .

٣٠- كَيْفِيَّةُ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ:

وَأَعْطِ مَا أُعْطِيتَ هَيْنَا وَآمَنْعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

٣١- وَاجِبَاتُ الْوَالِي الْمُبَاشَرَةِ:

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِبَابُهُ عَمَّا لِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كِتَابُكَ
وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ.
عَدَمُ إِدْخَالِ عَمَلٍ يَوْمٍ فِي يَوْمٍ ، وَأَمْضُ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ.
٣٢- أَلْمُحَافَظَةُ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ:

وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ ،
وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ ، وَلَيْكُنْ فِي خَاصَّةٍ
مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي
لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفَّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا
مَنْقُوصٍ ، بِالْعَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ .

وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًّا وَلَا مُضِيعًا ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ
الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿ص وَالْه﴾ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ
كَيْفَ أَصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ ﴿ص وَالْه﴾: ﴿صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ وَكُنْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ .

٣٣- التَّخْذِيرُ مِنَ الْإِحْتِجَابِ عَنِ النَّاسِ فَهُوَ قَلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ:
وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ
شُعْبَةٌ مِنَ الضَّيْقِ وَقَلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ ، وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا
أَحْتَجَبُوا دُونَهُ ؛ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكِبِيرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ ، وَيَحْسُنُ
الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ
بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعَرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ
، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا أَمْرٌو سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ ، فَفِيمَ
أَحْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ ، أَوْ فِعْلُ كَرِيمٍ تُسَدِّدُهُ ، أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ فَمَا

أَسْرِعْ كَفِّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَوْوَنَةَ فِيهِ عَلَيْكَ: مِنْ شَكَاةٍ مَظْلَمَةٍ ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

٣٤- الإِنْصَافُ مَعَ الْخَاصَّةِ وَالْحَاشِيَةِ:

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ وَقَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمِ مَادَّةَ أَوْلَيْكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ ، وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَوْوَنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْيُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالزَّمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَقَاعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَاتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَإِنَّ مَعَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ.

٣٥- إِغْلَامُ الرِّعْيَةِ بِالْأُمُورِ لِإِعْدَالِ ظُنُونِهِمْ عَنْهُ:

وَإِنْ ظَنَّتِ الرِّعْيَةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُدْرِكَ ، وَأَعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقًا بِرِعْيَتِكَ ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

٣٦- مُعَاهَدَاتُ الصُّلْحِ مَعَ الْعَدُوِّ وَالْوَفَاءُ بِهَا:

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا ؛ فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِحُجُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ ، وَلَكِنْ أَلْهَذِرْ كُلَّ أَلْهَذِرٍ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رَبُّمَا قَارِبَ لِيَتَغَفَّلَ ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَأَتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ النِّيَّةِ ، وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَارْغَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جَنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيتَ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا - مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَانِهِمْ وَتَشْتَّتِ آرَائِهِمْ - مِنْ تَعْظِيمِ

الْوَفَاءَ بِالْعُهُودِ ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْعَدْرِ ، فَلَا تَعْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَلَا تَحْيِسَنَّ بِعَهْدِكَ ، وَلَا تَخْتَلِنَّ عِدْوَكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِيءُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَىٰ مَنْعَتِهِ ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَىٰ جِوَارِهِ ، فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ .

وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ ، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَىٰ لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ التَّكْيِيدِ وَالتَّوَثُّعَةِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَىٰ طَلَبِ انْفِسَاحِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَىٰ ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبِعْتَهُ ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ طَلِبَةٌ لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ .

٣٧- التَّخْذِيرُ مِنَ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حِلِّهَا:

وَلِيَّاكَ وَالِدَمَاءِ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ لِنِقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ لِنِقْمَةٍ وَلَا أُخْرَىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَأَنْتَقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيءٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضَعْفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ أَلْعَمَدِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ الْبَدَنِ ، وَإِنْ أَتَيْتَ بِخَطَاٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي الْوَكْرَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

٣٨- آدَابُ عَامَّةٍ:

وَلِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الْإِلْطَاءِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ .
وَلِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَىٰ رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوْ التَّرْتِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنْ تَعْدَهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ؛ فَإِنَّ الْمَنَّ يُطِلُّ الْإِحْسَانَ ، وَالتَّرْتِيدُ يَذْهَبُ بُنُورُ

الْحَقِّ ، وَالْخُلْفُ يُوجِبُ أَلَمَّتْ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الصَّف: ٣ .

٣٩- أَلَمْنُ وَالتَّزِيدُ وَالْوَعْدُ:

٤٠- التَّحْذِيرُ مِنَ الْعَجَلَةِ بِالْأُمُورِ:

وَأَيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوْ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتَ ، أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحْتَ ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

٤١- التَّحْذِيرُ مِنَ الْإِسْتِثَارِ وَالتَّعَابِي:

وَأَيَّاكَ وَالْإِسْتِثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ ، وَالتَّعَابِي عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ؛ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٌ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَعْطِيَةُ الْأُمُورِ ، وَيُتَصَفَّى مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ.

٤٢- الْحِلْمُ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ:

أَمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وَسُورَةَ حَدِّكَ وَسَطْوَةَ يَدِكَ وَغَرْبَ لِسَانِكَ ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ؛ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

٤٣- الْإِقْتِدَاءُ بِالسَّابِقِ الْعَادِلِ:

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيٍّ ﴿ص وَآلِهِ﴾ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؛ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْثَقْتَ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ؛ لِكَيْ لَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

٤٤ - الْخَاتِمَةُ:

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ إعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُؤَقِّقَنِي وَإِيَّاكَ
لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ، مَعَ حُسْنِ الشَّأْنِ فِي
الْعِبَادِ ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ ،
وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ ... إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ... وَالسَّلَامُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَسَلَامَ كَثِيرًا ، وَالسَّلَامُ.

الباب الثالث

مفهوم السياسة في فكر الإمام أبي العزائم عليه السلام

الفصل الأول

الإسلام والسياسة

السياسة: تحمل معنيين اثنين:

أولاً: السياسة الحكيمة: التي يراعيها أهل الرحمة في أخلاقهم، ومعاملتهم، لدوام الصفاء، ومداراة الناس، وإشعار القلب الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم.
ثانياً: السياسة الغشيمة: التي هي الخديعة والكيد، فهي من أخلاق الشياطين، وكم دمرت مدناً، وأبادت أمماً، فهي فاتحة الشرور لبني الإنسان، ومصدر كل خراب وهوان، وصاحب هذه السياسة كالسبع الضاري على الرعية..... وإن بين السياسة الحكيمة والسياسة الغشيمة كما بين النور والظلمة، أو بين حماقة والحكمة.

السياسة الظالمة الطاغية...

والسياسة العادلة الرحيمة...

أولاً: السياسة الظالمة:

أعاذك الله من ذكر السياسة فإنها فاتحة الشرور لبني الإنسان، ومصدر كل خراب وهوان، يستعملها أهل المطامع الضالون الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فظنوا أنهم في كون الفساد خالدون، أهل السياسة أضل من الأنعام السائمة وأضر من الشياطين الغاشمة، وإن بين السياسة والعدل كما بين النور والظلمة، أو بين حماقة والحكمة، وإنما وضعت السياسة لتذليل البهائم والوحوش، أو

للأثرة بالأموال والعروش ، ظلما وطغيانا لا عدلا وحنانا، كل أمة جعلت السياسة رائدها والخديعة قائدها حاربت الفضائل والآداب، ونشرت الرذيلة والخراب، وهذا شأن الأمم الجاهلية، والمجتمعات الضالة الجهنمية، السياسة وما أدراك ما السياسة؟! تُحير العقول بالأباطيل، وتستولي على الأمم بالأضاليل، ظاهر حالهم أنهم يحسنون بهم صنعا، وهم يريدون خيرهم منعا، وأهل السياسة- وإن سادوا- فذلهم قريب- وإن ابتهجوا بحالهم فمستقبلهم رهيب- وقد شنع الله عليهم في كل كتبه السماوية، ووعدهم بالدرك الأسفل من النار الحمية.

ثانيا: السياسة العادلة:

ولفظ السياسة استعمالها العلماء، وقد استعمالها يوسف الصديق عليه السلام، وقصته مشهورة في شريف الكلام، وقد أمرنا بمداواة الناس.

أمثلة على السياسة الطاغية والسياسة الرحيمة:

أضرب مثلا فيه الجواب، وأفصله ليستين فصل الخطاب. والد رحيم شفيق عطوف رفيق، له ولد وحيد ينتظر خيره، ويرجو من الله بره، يجهد نفسه في حسن تربيته، ويبدل ماله وعافيته، ويتحمل طيش طفولته، ورعونات شيبته، محافظة عليه، وجلبا للخير إليه، يدأب الليل والنهار، في تحصيل الخير له والادخار، متلذذا بما يتحمله من فادح الآلام، وما يصيبه من شديد السقام، وهذا العمل - مع نيته- يسمى الحكمة بحقيقته....

ووصي أيتام طماع غشوم، ذو نفس سبعة ظلوم، يفتك بأموالهم فتك السباع الكاسرة، ويختلسها اختلاس اللصوص الفاجرة، ويظهر لهم العطف الثعلبي، مع النهم الكلبي، ويبين لهم ما عاناه من الصعوبات في دفعه عنهم الآفات فتارة ييكي بكاء الثكلي، وتارة ييتسم كما ييتسم السبع إذا هم بإنزال البلوى،

حتى يجردهم من آل والإضافة، ويخرجهم من ما لهم أو يكون عنده في دار

الضيافة، هذا العمل - مع نيته - هو السياسة.

فإذا قام الرجل بالتدبير وحسن الروية، لنفع فرد أو مجتمع بحيلة خفية، سمي عمله حكمة ومدارة، فأحبه أهل العقول ورضي عنه الله، وهذا هو العمل الذي رغب فيه الشرع الشريف، ووردت فيه الأوامر بالتكليف، قال رسول الله

﴿ص وَالْه: ﴿أَتَمَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: ٣٤.

أما من قام بالمكر والخديعة لسلب أموال الناس، والإفساد بين الكياس، وسعى ليفسد الأعراض، وقلبه مريض بالأغراض، ونفسه منجسة بالأمراض، فأظهر الرحمة وأبطن العذاب، وبين العطف وأخفى الخراب، فذلك هو الخبيث الماكر، والأحق الساحر، ولذلك ترى أهل العقل والفضيلة، يرون التكلم في السياسة ضياع ورذيلة، فكيف باستعمالها بين العائلة والقبيلة، وكم هت بالسياسة عروش ملوك سادوا، وكم ذل بما للمجد بالفضيلة شادوا، لأنهم صدقوا الخناطين من أهل السياسة، فعاملوهم بما يليق بأهل الفضيلة من غير تبصرة، فوثقوا بهم مستسلمين لهم وارتابوا من أهل النصيحة والحكمة فما لبثوا إلا ريشما انكشف الستار، وظهر أن تحت الثلج النار، ووراء التيسم مخالب قسورة، ولا حياء ولا معذرة، وصارت الصورة الإنسانية حقيقة شيطانية فيحل الندم حيث لا مناص، وتدهش العقول للسلامة والإخلاص، وهذه هي السياسة تنهار بها عروش الملوك، ويباح بها عرض الصلوك، أما السياسة العادلة حفظها الله، ونشرها بين الأمم وأعلاها، فهي الحكمة التي هي ضالة المؤمن، وجمال المحسن.

الإسلام والسياسة :

السياسة الحققة قوة للإسلام خادمة له، ما دامت مأخذها من أحكامه بحسب استنباط أهل التقوى القائمين لله بالحجة، فإن مداراة الناس سياسة، والخديعة في الجهاد سياسة، وكشف غور الحقائق بالرأي والتدبير سياسة، واستنتاج بعض الوسائل المبلغة للقصود سياسة، كما أن كل عمل يعمل به الداعي إلى الله تعالى لرجوع الناس من المعصية إلى الطاعة سياسة حسنة (بدعة حسنة). أما السياسة التي أسسها أرسطو وشيعته وهي جعل الباطل حقاً، والمكر السيئ لسلب الأخلاق الفاضلة من الأمم والأموال والأملاك بالقوة القاهرة، فهي السياسة المقبوحة التي

هي ضد الإسلام، ومحو السلام ومحاربة الملك العلام، وإظهار الفساد في البر والبحر
للتكبر في الأرض بغير الحق.

الفصل الثاني

تعريف الإمامة وصفة الإمام

تعريف الإمامة:

هي عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص لرسول الله ﷺ
وآله ﷺ في إقامة الأحكام الشرعية وحفظ حوزة الملة على وجه يجب
اتباعه على كافة الأمة. هذا الموضوع يشتمل على مباحث:

المبحث الأول: في وجوب نصب الإمام:

أوجبه الإمامية والإسماعيلية على الله تعالى والمعتزلة والزيدية
أوجباه علينا عقلاً. وأهل السنة أوجبوه علينا سمعاً ولم يوجبوه الخوارج
مطلقاً.

وأريد أن أذكر بيان وجوبه علينا سمعاً وعدم وجوبه على الله تعالى،
أما الأول: فلأن نصب الإمام لدفع ضرر لا يندفع إلا به، لأن البلد إذا
خلا عن رئيس قاهر يأمر بالطاعات وينهى عن المعاصي ويدرك بأس
الظلمة عن المستضعفين استحوذ عليهم الشيطان، وفشى فيهم الفسوق
والعصيان وشاع الهرج والمرج. ودفع الضرر عن النفس بقدر
الإمكان واجب بإجماع الأنبياء واتفاق العقلاء، فإن قيل: يحتمل مفسد
أيضاً إذ ربما يستتكف الناس عن طاعته فيزداد الفساد، أو يستولي
عليهم فيظلمهم، أو يحتاج لدفع المعارض وتقوية الرياسة إلى مزيد
مال فيغتصبه منهم. قلنا: احتمالات مرجوحة وترك الخير لأجل الشر
القليل شر كثير. وأما الثاني: وهو عدم وجوبه على الله تعالى فلما بينا
فيما سبق من كتبنا أنه لا يجب عليه شيء بل هو الموجب لكل شيء.

قال: احتجت الإمامية بأن نصب الإمام لطف، لأنه إذا كان للناس إمام كان حال المكلف إلى قبول الطاعات والاحتراز عن المعاصي أقرب مما إذا لم يوجد، واللطف على الله واجب قياساً على الممكن. والجواب بعد تسليم المقدمات الباطلة: إن اللطف الذي ذكرتموه إنما يحصل بوجود إمام قاهر يرجى ثوابه ويخشى عذابه وأنتم لا توجبونه. كيف ولم يتيسر من عهد النبوة إلى أيامنا إمام على ما وصفتموه.

صفة الإمام عند من أوجب تنصيبه عقلاً:

قول من أوجب تنصيب الإمام عقلاً في صفته:

الأولى: أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه ليتمكن من إيراد الدلائل وحل الشكوك والحكم والفتوى في الوقائع، الثانية: أن يكون ذا رأي وتدبير يدبر الحرب والقلم وسائر الأمور السياسية، الثالثة: أن يكون شجاعاً لا يجبن عن قيام بالحرب ولا يضعف قلبه عن إقامة الحد، وجمع تساهلوا في الصفات الثلاث وقالوا: ينبغي من كان موصوفاً بها، الرابعة: أن يكون عدلاً لأنه متصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم، الخامسة والسادسة: العقل والبلوغ، السابعة: الذكورة، فإنهن ناقصات عقل ودين، الثامنة: الحرية لأن العبد مستحق بين الناس مشغول بخدمة السيد، التاسعة: كونه قرشياً خلافاً للخوارج وجمع من المعتزلة لقوله

﴿ص وآله﴾: (الْأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ) ^(١) واللام في الجمع للعموم حيث لا عهد فقوله ﴿ص وآله﴾ الأئمة للعموم. وقوله ﴿ص وآله﴾: (أَوْلَاؤُهُ مِنْ قُرَيْشٍ مَا أَطَاعُوا اللَّهَ وَأَسْتَقَامُوا) ^(٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٢٩/٣ - ١٨٣ - ٤٢١/٤

(٢) ومن رواية أخرى عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﴿ص وآله﴾ قال: ((ألا إن الأمراء من قريش ثلاثة ما أقاموا بثلاث، ما حكموا فعدلوا، وما عاهدوا فوفوا، وما استرحموا فرحموا، فمن لم يقبل ذلك منهم

القول في عصمة الإمام:

قال: ولا يشترط فيهم العصمة خلافا للإسماعيلية والإثنا عشرية، وينقض مذهبهم صحة إمامة أبي بكر رضي الله عنه. والأمة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة ولا أقول أنه غير معصوم. احتج المشترطون للعصمة في الإمام بأن وجه الحاجة إليه: إما أن المعارف الإلهية لا تعلم إلا منه كما هو مذهب أصحاب التعليم. أو تعليم الواجبات العقلية. أو تقريب الخلق إلى الطاعات كما هو مذهب الإثنا عشرية، وذلك لا يحصل إلا إذا كان الإمام معصوماً. وبأن احتياج الناس إلى الإمام لجواز الخطأ عليهم ولو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام آخر.

ولقوله تعالى ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤ وأجيب عن الأول بمنع المقدمات وعن الثالث بأن الآية تدل على أن شرط الإمام أن لا يكون مشتغلاً بالذنوب التي تنفك بها العدالة لا أن يكون معصوماً.

صفة الإمام العادل:

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويزودها عن مراتع المهلكة ويحميها من السباع

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) رواه أبو يعلى على ما في مجمع الزوائد ٥ / ١٩١. وعند أحمد: ((استقيموا لقريش ما استقاموا لكم)) المسند ٥ / ٢٧٧.

ويكنفها من أذى الحر والقر. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً، ويكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البره الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلاً، تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتقطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامي وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون كبيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده. والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وعباده يسمع كلام الله ويُسمِعهم، وينظر إلى الله ويريههم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلَكَ الله كعبد اتّمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرّد العيال فأفقر أهله وفرّق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك يسلمونك في قعره فريداً وحيداً فتزود له بما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، ولا تنظر إلى قدرتك اليوم. ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبال الموت، وموقوف بين يدي الله

في مجمع من الملائكة والنبیین والمرسلین وقد عنت الوجوه للحي القيوم. إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظمتي ما بلغه أولو النهى من قبل فلم آلك شفقة ونصحاء، فأنزل كتابي إليك كمدائي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

قول علماء النفس في صفة الإمام العادل:

هو الرئيس الذي لا يرأسه إنسان آخر أصلاً، والإمام الحاكم بالسوية الذي يخلف صاحب الشريعة ﴿ص وآله﴾ في حفظ المساواة، ولا تتحقق تلك المنزلة المقدسة منزلة الخلافة عن الرب سبحانه وتعالى وعن رسوله ﴿ص وآله﴾ إلا لمن فطر على تلك الخصال: أحدهما: أن يكون تام الأعضاء يمكن كل عضو أن يقوم بما خلق له بسهولة. الثانية: أن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له فليقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلي حسب الأمر في نفسه. ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه ؛ وفي الجملة لا يكاد ينساه. وأن يكون جيد الفطنة ذكياً إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها. وأن يكون حسن العبارة يؤاثره لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة. وأن يكون محباً للتعليم والاستفادة منقاداً لهما سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعليم ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه.

ثم أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً للعب مبغضاً للذات الكائنة عن هذه. وأن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله. وأن يكون كبير النفس محباً للكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه إلى الأرفع. وأن يكون درهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده. وأن يكون محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور والظلم وأهلهم، يعطي النصف من نفسه وأهله ومن غيره ويحث عليه ويؤتي من حل به الجور، ويكون مؤاتياً لكل ما يراه حسناً وجميلاً. وأن يكون عدلاً غير صعب القياد ولا

جموحا ولا لجوجا، إذا دعي إلى الجور وإلى القبيح نفر وامتنع. وأن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا عليه مقداما غير خائف ولا ضعيف. واجتماع هذه كلها في إنسان واحد عسر، فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس فإن وجد مثل هذا ثم حصلت فيه بعد أن يكبر تلك الشرائط الستة المذكورة بعد أو الخمسة منها دون الأنداد من جهة القوة المتخيلة كان هو الإمام الأعظم وإن اتفق ألا يوجد مثله في وقت من الأوقات كان الإمام القائم بالأمر رئيس أهل الشورى الذين يمثلون جميع تلك الصفات حتى يقوموا بتنفيذ الأحكام الشرعية مع ملاحظة الاقتداء بالأئمة الهادين الذين جعلهم الله بجمال تلك الصفات. و يجب أن يكون الإمام الأعظم المنفرد بالاجتهاد والاستنباط والحكم فيما لم يكن له نظير في السنن، وهو الذي اجتمعت فيه من مولده وصباه تلك الشرائط المتقدمة. ويكون بعد كبره فيه ستة شرائط: أحدهما أن يكون حكيما. والثاني: أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن والسير التي دبرها الأولون محتذيا بأفعاله كلها حذو السنن الماضية لأئمة الشريعة بتمامها. الثالث: أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة، ويكون فيما يستنبطه من ذلك محتذيا حذو الأئمة الأولين. الرابع: يكون له جودة رؤية وقوة استنباط في الحوادث التي يقتضيها الوقت الحاضر من الأمور والحوادث التي تحدث، مما لم يكن في زمن أئمة الهدى المقتردى بهم صريح حكم فيها، ويكون متحريرا بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المسلمين وأهل ذمتهم. والخامس: أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى العمل بالشريعة وسنن الأئمة الراشدين قبله، وإلى التي استنبط بعدهم مما احتذى فيه حذوهم.

السادس: أن يكون له جودة ثبات ببذنه في مباشرة أعمال الحرب، وذلك أن يكون معه الصناعة الحربية الخادمة و الرئيسية. فإذا لم يوجد إنسان واحد اجتمعت فيه هذه الشروط ولكن وجد اثنان أحدهما حكيما والثاني فيه هذه الشرائط الباقية كان أحدهما رئيسا والثاني مشيرا لجماعة المسلمين، فإذا تفرقت هذه في جماعة وكانت

الحكمة في واحد والثانية في واحد والثالثة في واحد والرابعة في واحد والخامسة في واحد والسادسة في واحد وكانوا متلائمين كان أحدهم إماما والبقية مشيرين، فمتى اتفق في وقت ما أن الحكمة فقدت معها سائر الشروط كان الرئيس القائم بأمر الأمة ليس إماما واستعد المجتمع للهلاك، فإن لم يتفق أن يوجد حكيم تضاف إليه الإمامة لم تلبث الجماعة إلا ريثما تنتقهر وتغلب على أمرها، ويسارع الأجانب في استبعادها ومحو فضائلها وسلب أموالها، والله سبحانه وتعالى يحفظ المسلمين من أئمة الجهالة وقادة الضلالة إنه مجيب الدعاء آمين (وأرى) أن الإمام الأعظم لا يخص ذاته بشيء من الخيرات أكثر مما يعطي غيره كما ورد في الخبر أن الخلافة تطهر الإنسان.

انتخاب الإمام:

ينتخب العامة لمنصب الخلافة العامة من كان شريفا في حسبه ونسبه، وبعض العامة يؤهل لذلك من كان كثير المال، وأما أهل العقل فإنهم يؤهلون لذلك من كان حكيماً فاضلاً، فإن الحكمة والفضيلة هما اللتان تتال بهما الرياسات والسيادات الحقيقية، والمؤهل للخلافة العامة لا يخفى على أحد، والله يوفق المسلمين لخيري الدنيا والآخرة ويدفع عنا جميعاً شرور أنفسنا وشرور الأشرار.

الواجب على الإمام والواجب له:

الواجب على الإمام الأعظم:

الإمام الأعظم خليفة رسول الله ﷺ وآله ﷺ وعليه أعظم واجب لأنه مطالب بحقوق بقدر ما على الأمة بأسرها، وكيف لا وهو مطالب بإقامة حدود الله تعالى وتنفيذ أحكام الله ودفع المظالم عن المسلمين وأهل الذمة، وحفظ الثغور وإحياء الأفراد بمادتي العلم والضروري والكمالي للحياة، فهو مسئول أمام الله تعالى وأمام رسوله ﷺ وآله ﷺ وأمام كل فرد من أفراد الأمة بحقوق توجب عليه اليقظة والسهر والجد والدأب وطرح حظوظ نفسه وشهواته وراءه حتى

يكون خليفة لرسول الله ﷺ مثلًا لجنابه ﷺ، ويجب عليه أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم إلى قسمين: أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية. والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية، وإذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدأ بهم من الغاية الأخيرة على طريق التحليل، ووقف بهم عند القوى التي ذكرناها، وإذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى بهم إلى تلك الغاية، حتى يكون كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية آمنًا على دمه وماله وعرضه، ساعيًا بقوته البدنية والفكرية في نوال السعادة والخير الحقيقي، مجددًا في طاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر المتجملين بصفات رسول الله ﷺ وآله ﷺ رحمة وكرما وعظما واستقامة وتقوى وعلمًا وعملاً. فيتمتع كل مسلم بالحرية التي لا يخاف فيها إلا ذنبه ولا يخشى فيها إلا ربه، يبذل الفضل من ماله وجاهه وعلمه لإخوته المؤمنين اقتداء بالإمام الأعظم، وتشبها بولاية الأمر، فيكون وقت كل فرد بين شغل الصناعات المفيدة للمسلمين والزراعات المعينة لهم، واختراع ما لا بد منه من الآلات الحربية ومعدات النقل وفنون الطب المخففة لآلام المجاهدين، وكشف أسرار الكائنات مما به راحة المجتمع الإسلامي، لأن قلوب المسلمين صفت بالإمام الأعظم من السخائم وطهرت النفوس من الرذائل حتى حصل التآلف والتحابب والتعاطف والتراحم، وشعر كل فرد بقدر الواجب عليه لإخوته المؤمنين. كل ذلك بعد القيام بما أوجبه الله تعالى والعمل بما سنه رسول الله ﷺ وآله ﷺ ويكون هذا كله سعيًا وراء سعادة الدنيا والآخرة، وحفظًا للدين وصيانة لجماعة المسلمين.

كل تلك النعم يفيضها الله على المؤمنين ويزيدهم من فضله عزة لهم في قلوب أعدائهم ورهبة في نفوس جيرانهم، ويحصل المزيد بدخول الناس أفواجا أفواجا في دين الله لما يرونه من الخير والسعادة والعزة لمن تمسك بدين الإسلام فتكون تلك الحالة كداع يدعو جميع الأديان

الأخرى إلى دين الإسلام، ويكون الفضل في ذلك كله للإمام الأعظم الذي جاهد نفسه في ذات الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا. ومثل هذا الإمام لا يشك مسلم في أن طاعته طاعة لله ورسوله، ومعصيته معصية لله ورسوله، والخروج عليه كفر، وإخفاء النصيحة عنه ضلال.

لذة الإمام الأعظم:

لذة الإمام الأعظم تكون روحانية أكثر منها جسمانية، فإنه يتلذذ بما يرى عليه المسلمين من العلم والعمل والصناعات والفنون والزراعات وما يراه لهم من الشرف والحرية والثروة والتمكين في الأرض بالحق، والتآلف وروابط الإخاء وحسن طاعتهم له ومسارعتهم فيما يرضيه، وحبهم له وثنائهم عليه ودعائهم له بالقلوب والألسنة. ويتلذذ براحة ضميره وأمنه على نفسه في كل حال وكل مكان، لأن كل مسلم حريص على حياته يتمنى أن يفديه بنفسه وماله وأهله فيمشي في الأسواق منفردًا، ويجلس في المسجد وحيدًا، ويسافر بلا خادم ولا زاد ولا حارس يحرسه، لأنه يجد في كل بلد وفي كل مكان أولادًا بررة وحفدة يعظمونه. ويتلذذ بتنفيذ أمره ورهبة أعدائه منه وتملقهم له وخوفهم من سطوته بما يفد عليه من وفودهم الحاملة لكتب الخنوع والذل وهدايا التودد. ويتلذذ بما يناله من نصره جيوشه وسعة مملكته وإذلال خصومه، وتوفير أموال بيت المال من الغنائم وعشور تجارات الأجانب ومحصولات المدن وخزن الأموال التي في بيت كل مسلم المعدة لطلبه عند مقتضى ذلك عن سماح نفس ورغب في رضوان الله الأكبر.

ويتلذذ بما ينعم الله به عليه من القربات التي يقوم بها بإعلاء الكلمة وأمن الطرق ودفع المضار وإقامة الحدود، وعمارة المساجد ومعاهد العلم وانتشار الفنون والصناعات والحرف، وتعضيد القائمين بها حتى

تكون الأمة بأجمعها كبيت واحد هو لهم كآب وهم له أبناء يسعى كل فرد في خير المجتمع.

مثال الإمام الأعظم:

مثل العلماء الإمام الأعظم بالقلب في الجسد فقالوا: كما أن العضو الرئيسي في البدن هو أكمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه وله من كل ما يشاركه فيه عضو آخر من الأعمال أفضلها. ودونه أيضا أعضاء أخرى رئيسة لما دونها ورياستها دون رئاسة الأول وهي تحت رئاسة الأول ترأس وترأس. كذلك الإمام الأعظم هو أكمل أجزاء المسلمين فيما يخصه وله من كل ما شارك غيره أفضله ودونه قوم مرءوسون منه ويرأسون آخرين.

و كما أن القلب يتكون أولاً ثم يكون هو السبب في أن يكون سائر أعضاء البدن والسبب في أن تحصل لها قواها وأن تترتب مراتبها، فإذا اختل منها عضو كان هو المرفد له ما يزيل عنه ذلك الاختلال، كذلك الخليفة الأعظم ينبغي أن يكون هو أولاً ثم يكون هو السبب في أن يتمتع المجتمع بالعدل والمساواة وإقامة الشريعة والسبب في أن تحصل الملكات الإرادية وأن تترتب مراتبها. وإن اختل منها جزء كان هو العامل على إزالة اختلاله. وكما أن الأعضاء التي تقرب من العضو الرئيسي تقوم بالأفعال التي هي على حسب غرض الرئيس الأول مما هو شرف، وما هو دونها من الأعضاء يقوم عاملاً بما هو دون ذلك في الشرف إلى أن ينتهي إلى الأعضاء التي تقوم بالأخس من الأعمال. كذلك الأجزاء التي تقرب في الرئاسة من الإمام الأعظم تقوم بأعمال إرادية هي أشرف لأنها منفذة لإرادة الرئيس مباشرة، وهكذا كل عامل يبعد عن الإمام يقوم بأعمال إرادية هي أخس من أعمال من هم أقرب للإمام إلى أن تنتهي إلى أعمال يقومون بأخس الأعمال وهم البعيدون عن الإمام كأهل المهن المحقرة، والمكتسبون بالأعمال المرذولة. وخسة الأفعال ربما كانت بخسة موضوعاتها. فإن كانت الأفعال لا غنى عنها مثل فعل المثانة وفعل الأمعاء السفلي في البدن مع خسة موضوعاتها فإنها عظيمة. وربما كانت خسة الأعمال

لقلة فائدها أو لسهولة ذلك في المجتمع الإسلامي، وكذلك كل جملة كانت أجزاؤها مؤتلفة منتظمة مرتبطة فإن لها من سائر الأجزاء هذه الحال.

الواجب للإمام على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم:

تقدم أن الواجب على الإمام أعظم واجب لعظم مسؤوليته، ولأن زلته زلة العالم بأجمعه، وبخطئه يوقع المسلمين في الخطأ. وقل أن يأتي الشر لجماعة المسلمين إلا من قبل إمامهم، وذلك قد يكون للتساهل في حدود الله وفي إقامة شعائره فيجرأ أهل النفوس اللقسة على ارتكاب المحرمات، فهو المؤاخذ على خطأ نفسه وخطأ العامة سواء أحدثه فقلدوه فيه أو علمه وتهاون في المؤاخذة عليه. وكما أن الواجب عليه عظيم ومسؤوليته أعظم فقد أوجب الله سبحانه وتعالى وأوجب رسول الله ﷺ

وآله على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم للإمام واجبات، وحذرننا من الإهمال في القيام بها، فإنه كما تحصل المضرة لجماعة المسلمين بإهمال الإمام فقد تكون المضرة أعظم بمخالفة أمره والتهاون بشأنه، فإن ذلك ربما فرق كلمة الجماعة وأكثر الأحزاب في المسلمين ومكن منهم عدوهم الشيطان الرجيم، وأدخل بينهم الدسائس والمفاسد من أعدائهم الكافرين. والحوادث السابقة عبرة للمعتبر قال الله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء:

٥٩. والذي عليه أكثر المفسرين أن أولي الأمر هنا هو الإمام ونوابه ولادة الأمور. وإن كان بعض المفسرين أول ذلك بأهل العلم فقهاء القلوب وهذا لا يمنع، فإنه تقدم لنا أن الإمام ونوابه يلزم أن يكونوا علماء فقهاء القلوب وهذا لا يمنع، فإنه تقدم لنا أن الإمام ونوابه يلزم أن يكونوا علماء فقهاء فتكون طاعتهم واجبة من جهة الفقه والعلم ولازمة من جهة الولاية. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ

يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى

الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ

﴿ المائدة: ٥٤ - ٥٦ ﴾

بين لنا سبحانه وتعالى أن أولياءنا هم العلماء، لأن تلك الصفات التي ذكرها الله تعالى بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ الآية. تعين أنهم علماء فقهاء لأن إقامة الصلاة لا تتحقق إلا من العالم الراسخ. ومن تدبر قوله تعالى:

﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ الماعون: ٤ علم معنى إقامة الصلاة. وقوله سبحانه:

﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ يظهر من هذه الآية حقيقة الزكاة الشاملة لتزكية النفس وزكاة المال كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ المؤمنون: ٤ أى لتزكية أنفسهم وتقييد تأدية الزكاة بالركوع يرجح هذا المعنى. وإنما يزكي نفسه من عرفها ومن عرف نفسه عرف ربه. فهؤلاء الأئمة جعل الله طاعتهم طاعة لجنابه العلي ولرسوله ﴿ص﴾ ومخالفتهم مخالفة لله ولرسوله ﴿ص﴾

وآله ﴿ص﴾ وكفى بذلك إثماً. فالواجب على كل مسلم أن يطيع الله ورسوله وولاه الأمر وأن تكون طاعته لولاة الأمر عن حب خالص لخير المسلمين جميعاً وإخلاص في النصيحة لهم، ويتحقق أنه بطاعته لولاة الأمر، ونصيحته لهم كأنه أحسن إلى نفسه وإلى إخوته المؤمنين في الدنيا، وفاز برضاء الله سبحانه ورضاء رسوله الله ﴿ص﴾ وآله ﴿ص﴾ وبالنعيم الأبدي، واقتدى بأئمة الخير، وجدد سنة رسول الله ﴿ص﴾ وآله ﴿ص﴾، وكان إماماً لمن يأتي بعده لأن الأبناء يقلدون الآباء.

ولما كان القائمون بالأمر رجالاً منا جماعة المسلمين لم تثبت عصمتهم، ولكن لهم اجتهد فيما لم يرد عنه نص صريح في الشريعة ولا نظائر له في عمل أئمة الهدى، بقدر وضوح الدلالة وطمأنينة القلوب والتحري أن يكون أقرب إلى الحق، والدلائل الشرعية إما إقرار أو شهادة أو قرائن دالة فما على كل مسلم قضى عليه وال من ولاية المسلمين بما هو بريء منه بعد اجتهداه في الحكم إلا أن يتلقى ذلك راضياً بقضاء الله داعياً لمن حكم عليه أن يوفقه الله للصواب، وإذا أداه اجتهداه إلى عمل ما يضر بصالح الأفراد أو الأمة فالأولى أن يتلقوا هذا الأمر بتسليم لقضاء الله وقدره، وبدعاء للأمير أن يبين الله له الحق في كل أعماله رحمة بالمسلمين واجتماعاً لقلوبهم على إمامهم، والاجتهاد من جماعة المسلمين في نصيحة الأمير بطرقها المقبولة ووسائلها المؤدية للخير العام من غير تنفير ولا تفرقة، حتى لو ظهر أن الأمير يقصد المصرة فعلى المسلم أن يحسن ظنه مفوضاً أمره لله خشية من تفرقة الجماعة والتشنيع على الإمام، لأن ذلك يؤدي إلى التحزب والخروج عليه فيكون المسلمون عاملين على إضعاف قوتهم وذهاب سلطانهم وتسليط عدوهم عليهم، وبذلك تهمل أحكام الله وتتعدى حدوده سبحانه وتعالى. وكيف لا وبخروج بعض المسلمين على بعض هلاك للنفس وضياع للأموال وخراب للعمران ومحو للصناعات النافعة والعلوم المفيدة، وبذلك تتمكن الأعداء فيكون جماعة المسلمين أذلاء بعد العز. ومن تدبر هذا واستحضر قدر ما ينال الإسلام والمسلمين من عمله يحب أن يكون للمسلمين سلطان قوي ولو ضرب ظهره وأخذ ماله. ومعلوم أن عزة جماعة المسلمين وقوتهم ومنعتهم وقوة سلطانهم عز لكل فرد من أفراد المسلمين أين كانوا وكيف كانوا، ووسعة لأرزاق كل فرد وإعلاء لكلمة الله ولسنة رسول الله

﴿ص وآله﴾

كل مسلم مطالب بسلامة جماعة المسلمين:

ولا لوم عليّ إذا قلت إن كل فرد من أفراد المسلمين مطالب بسلامة جماعة المسلمين وسلامة كل فرد منهم بقدر استطاعته، ولقائل أن يقول: كيف يمكن كل فرد أن يقوم بهذا الواجب؟ فأقول له: أن معظم النار من مستصغر الشرر، فلو أن كل فرد حمل أحوال أخوته وأميره على الأجل منها وسد أبواب الفتن من جهته، وإذا علم بفتنه غاب عنها ولم يشهدها أو اجتهد في إطفاء نارها ما أصاب جماعة المسلمين ما أصابهم. قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَعْرِ مِنْ تُعْزِرُ الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَهَاوَنَ إِخْوَانُكَ فَأَشْدُدْ، لِيَلَّا يَأْتِيَ الْعَدُوُّ مِنْ قِبَلِكَ) ^(٣) وليس الأمر ببعيد فإن مثال الإمام الأعظم مع جماعة المسلمين كعائلة لها رئيس، فإن كان الرئيس شفيقاً مدبراً حكيماً واقتدى به أفراد العائلة صفت حياتهم وارتفع شأنهم وتجدد مجدهم، وإن كان الرئيس غير حكيم ولا مدبر أمكن أفراد العائلة أن يخففوا شروره ويدفعوا مضاره عنهم بحكمة وروية ونصح بدون مخالفة ولا تنفير، فإن خرجوا عليه ونفروا هدم المجد وبدد الأموال واستعان برياسته على إذلالهم، ولم يمض زمن إلا ويصبحون جميعاً أذلاء فقراء وقد تقدم مثل ذلك بالقلب والجسد. فعلى كل مسلم أن يتحقق أنه بغضبه وسعيه في الانتقام سارع في إهلاك نفسه وأهله ومحو مجده وعزه. وليست الحوادث التي تحدث بين العائلات ورئيسها التي بها تصبح الديار بلاقع والعز ذلاً والغنى فقراً والهدى ضلالاً بقليلة أمام المتأمل البصير.

فالواجب علينا جميعاً أن نسعى بإخلاص وصدق فيما به عز جماعة المسلمين وسعادتهم وقوة سلطانهم، معتقدين أن ذلك عز لكل فرد وشهرة لصناعاتنا وزراعاتنا وبلادنا وشرف لنا عند أعدائنا.

وإنني أرى كثيراً منا قد منّ الله عليهم بمواهب العقول أو بالوسعة في الرزق أو بالقوة في الجسم لا يهتمهم هم المسلمين بل حظ كل واحد منهم قاصر على نيل حظوظه وشهوته، فتراه لا يهتم بغير ذلك ولو

(٣) وفي رواية أبي داود (كتاب الجهاد)، والدارمي (سير)، والموطأ (في الجهاد): ((فإذا تهاون أخوك

فاشدد لئلا يدخل العدو من قبلك)).

أضيعت حدود الله وأهملت سننه سبحانه وتعالى وتُركت شعائره وضعت جماعة المسلمين، ويظن المغرور لجهله أنه متلذذ متنعم. وربما أعان على هدم السنة ومحو الفضائل الإسلامية، ولا يعلم أن ذلك هو عين الذل والفقر والهلاك الأكبر في الدنيا والآخرة. قال رسول الله

﴿ص وَالْه: (مَنْ لَا يَهْمُهُ هُمُ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ) وَقَالَ ﴾ ص وَالْه: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا) (٤) وبمعناه (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً) فإياك أيها الأخ البار وفقني الله وإياك لما يُحب أن تجلب لنفسك خيرا قليلا فتفتح به على المسلمين شرا كثيرا، أو تدفع عن نفسك شرا قليلا فتجلب به على المسلمين شرا كثيرا، وكن يا أخي يقظا مشدداً على حماية ثغرك الذي أنت عليه من الإسلام وأن أهمل جميع إخوانك، حتى تكون قد قمت بالواجب عليك لله تعالى ولرسوله ﴿ص وَالْه: ولاخوتك المؤمنين ولأولي الأمر منا.

صبر المظلوم خير من أن يكون سبباً في فساد المجتمع:

وتدبر أن رئيس عائلة لو أنه طمع في مال فرد من العائلة وصبر المظلوم راضيا فإن هذا الرئيس قد تأخذه الشفقة عليه ويشفق عليه إخوانه فيعطفون عليه جميعا وتدوم الألفة والجماعة ويبقى للعائلة مجدها وعزها ويهابها جيرانها. ولكن إذا قام الفرد حنقا واستعان ببقية الأفراد على نصرته وأخذ حقه من الظالم، وبث فيهم أن هذا الظالم سيعاملهم بتلك المعاملة وأنه لابد من بذل المجهود في إذلاله وخذلانه، فإما أن يتحدوا على ذلك فيكيدون لرئيسهم ويكيد لهم فما يمضي زمن إلا ويهلكون جميعاً ويرجعون أذلاء، وإما أن يكونوا ضعفاء فيستعينون بجيرانهم الذين ينتهزون تلك الفرصة ليضعفوا قوة العائلة،

(٤) أخرجه مسلم في كتاب العلم والزكاة، والنسائي في كتاب الزكاة، وأحمد في المسند ٣٥٧/٤، ٣٥٩،

ويستولوا على ثروتها ومجدها ويظهرون لهم المساعدة والرحمة،
ويقبحون عمل رئيسهم ويبغضون فيه ويمدونهم بالمال والجاه لإذلال
الرئيس، حتى تصبح العائلة كأنها لم تكن فهكذا جماعة المسلمين.
واعلم يا أخى أيدك الله وإياي أن كثيراً من الناس يبذلون مواهبهم في
جلب الخير لأنفسهم بواسطة الأمراء والرؤساء، ويعتقدون أن الخير
لا يصل إليهم إلا إذا تمكنوا من قلوب الرؤساء وصارت لهم الكلمة
النافذة لديهم، فإذا تمكنوا من أغراضهم سلطوا الأمراء على أعدائهم
وعلى أهل الفضل ممن يخشون على أنفسهم من فضلهم، وعلى من
يحسدونه ممن يحبهم الأمراء، فيفسدون أخلاق الأمراء ويمثلون
صدورهم وغرا على أهل النصيحة والرأي حتى يفسدوا بين الراعي
والرعية، فيبيت الأمير يكيده لأفاضل أمته وأفاضل أمته يحذرون منه،
وهؤلاء من أشرار الناس، وهم الأمراض المفسدة للجسد الإسلامي
فاحذر يا أخى أن تكون منهم، وتحقق أنك إن عشت فقيراً تجوع يوماً
وتشبع يوماً خير لك من أن تكون سبباً في فساد المجتمع الإسلامي.
وجاهد نفسك أيها الأخ خشية أن تغرك الدنيا فتبيع الفضيلة بالرديلة،
والهداية بالضلالة، والآخرة بالدنيا، وتحقق صدق قوله ﴿ص وَالْهَادِيَةِ﴾:

(مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ).

واعلم أيها الأخ البار أن كثيراً ممن لم يؤمنوا بيوم الحساب يستعينون
على قضاء شهواتهم الدنيوية بالكذب وبإخوان السوء الذين يشهدون
لهم بالزور، حتى يضطر أعداؤهم أن يقابلوهم بالمثل، فينتشر الزور
والبهتان بين جماعة المسلمين وتتفرق الكلمة، ويصبح المسلمون
مشغولين بأذية بعضهم بعضاً، وأعداؤهم في استعداد لهم وفي انتهاز
فرصة غفلتهم.

هذا وإن كان وليُّ الأمر واجبا عليه أن يكون يقظاً متحرياً من الوقوع
في شبكة الأشرار وصحبة الخبثاء، ولكن أهل الجهالة والضلالة
والخبث يجمعون ظاهرهم بصفات الأتقياء البررة وهم ذئاب أشرار،
والوالي يحكم بالظاهر فلا لوم عليه إلا إذا كان شريراً مثلهم، وإن كان
الواجب عليه أن ينفّر من الأشرار المتجملين ظاهراً عندما تظهر منهم

بادرة الخيانة ويبعدهم عنه، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله وحسن معونة منه سبحانه وتعالى والله ولي المتقين. ومن فهم قوله سبحانه وتعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦) تُؤَلِّجُ أَيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي أَيْلٍ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. ﴿٢٨﴾ آل عمران: ٢٦ - ٢٨ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٤٩) أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴿٥١﴾ المائدة: ٤٩ - ٥١ .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٦) . الإسراء: ١٦ . وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥) .

من فهم تلك الآيات وكان يؤمن بيوم الحساب تصغر في عينه الدنيا وتحترق، ويفر من نعيمها الزائل وحظها الفاني، ويقبل بقلبه وقالبه

على ما ينال به الخير العظيم في الدنيا والآخرة. والله سبحانه وتعالى
أسأل أن يمنحنا الفضل الذي به تأليف القلوب وإعلاء الكلمة وإحياء
السنة وخير الدنيا والآخرة إنه مجيب الدعاء.

الإيمان بيوم الحساب:

من نور الله قلبه بالفقه ففقه أسرار تلك الآيات ونظائرها في كتاب الله
تعالى، علم كيف يتحفظ من التشبه بالشیاطين ومن الاقتداء بأهل
النفوس اللقسة، وجاهد نفسه حتى تزكو وعكف على الحق ولو كان
مرًا عليها.

ولو أن كل أخ من إخواننا المؤمنين في كل البلاد تيقظ قلبه من نومة
الغفلة ورقدة الجهالة واستحضر هول يوم الجزاء، وتحقق أن نعيم هذه
الدار آلام وشقاء وأن حلالها حساب وحرمانها عقاب ولذتها آلام، كما
قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا

لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ الإسراء: ١٨ . وهذه الآية دالة على أن
من أراد الدنيا بأن عكف عليها يعجل الله له فيها ما قدره له ألا بدون
أن يناله منها إلا ما سبق له في علم الله بدون زيادة ولا نقص، وتكون
إرادته لها دليلاً على عدم إيمانه بيوم الحساب، وعدم الإيمان بيوم
الحساب موجب لعمى القلب عن خوف مقام الرب والرغبة فيما عنده،
فيئول ذلك إلى خسران الدين والدنيا والآخرة، ولذلك فقد حكم الله عليه
بأن جعل له جهنم يصلها مذبذباً مذبذباً. أما مذبذباً فلا تكشف
النعم التي أنعم الله بها عليه من الإيجاد والإمداد والمنن التي من بها
عليه من بعثة الرسل وورثتهم وإقامة الحجة على ذلك، والفضل
العظيم الذي تفضل به عليه من تسخير ما في السموات وما في
الأرض جميعاً منه له، وكفرانه بكل تلك النعم ونسيانه للمنع جل
وعلا.

كل تلك النعم والبلايا لم تصبه إلا بنسيان يوم الحساب، ولم يتمكن الشيطان
الرجيم لعنة الله عليه من قلب المسلم حتى يجعله أتبع له من ظله إلا بنسيانه يوم
الحساب. فكن يا أخي يقظ القلب. وعلي كل أخ من إخواننا منحهم الله روح

القدس وودهم الله بكمال التصديق بيوم الحساب أن يجعل أكبر همه استحضار هول

ذلك اليوم مستحضرا بقلبه مدلول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ

هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ الجاثية: ٣٤ وأن ينبه جميع إخواننا وفقهم

الله إلى الاستعداد له ما داموا لم يبلغوا درجة الرهبة والرغبة بأن كانوا في مقام

القبض والبسط أو الخوف والرجاء، حتى يقوم كل أخ من إخواننا بما أوجبه الله

تعالى وأوجبه رسوله ﴿ص وَآلِهِ﴾ مما هو خير لكل فرد من أفراد المسلمين، بل

وخير لكل حي، حتى يكون كل أخ ساعياً في خير كل أخ، وكل أخ لكل أخ

كعضو متمم لجسد. وبذلك يتحقق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون: ٨ وكن يا أخي منحك الله العناية وإخواننا

على يقين أن أشرار الخلق إذ شهدوا أهل الحق في عزة انخدلوا أمامهم، وتستروا عن

المظاهرة بشروهم، وتكلفوا أن يتشبهوا ولو ظاهر بأهل الخير. وقد يكون هذا

التكليف بعد هذا طبيعة فيكون المجتمع الإسلامي كما قال الله تعالى:

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ

حِينٍ﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٥ وبانخدال أهل الباطل وظهور أهل الحق تقل أو تنمحي

المفاسد، وتكون الهفوة كبيرة يتحاشاها أهل المفاسد أن تقع منهم. ولكن إذا ظهر

أهل الضلال على أهل الحق تصير السنة بدعة، والكبائر محاسن مألوفة، والقربات

خرافات، والصالح بلها وحمافة، والفجور شرفا ورفعة، وينكر المعروف ويعرف

المنكر نعوذ بالله من ظهور أهل الباطل على أهل الحق.

واعلم يا أخي أرشدني الله وإياك للطريقة المستقيمة التي يكون إيماننا فيها سيدنا رسول الله ﷺ وآله أن الأخ إذا صدّق بيوم الحساب سهل عليه الرجوع إلى الحق، وهان عليه العمل به، وخف على قلبه الاعتراف بجهله وحمقه ومخالفته ولو كان في ذلك رجمه أو قطع يده أو ضياع شرفه وماله ومنزلته، لأنه يبيع الفاني بالباقي والدنيء بالعلي، ويتلذذ بذلك لذة من نال ووصل وفاز واتصل، فيكون أحيى فضيلة الصدق وجدد سنة الحق وصار إماماً للمتقين بعده، يقتدي به الصالحون ويأتم به المرشدون. وإذا لم يؤمن بيوم الحساب استصغر كبائره واستعظم صغائره غيره، واغتر بنفسه حتى يعتقد أنه خير موجود يتجمل ظاهراً أمام الناس ويأتى بأقبح القبائح في خلوته ولا يخاف الرقيب سر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا

كُنْتُمْ﴾ الحديد: ٤.

وجوب طاعة الأمير:

تقدم ذكر الواجب للأمير على كل فرد من أفراد المسلمين وعلي جماعتهم وذكر الآيات القرآنية المتضمنة ذلك. وأحب أن أورد ما ورد من الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع ثم أرفها بما ورد من الأحاديث الحسنة لتتجلي الحقيقة واضحة للعمل بها:

قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعُصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيَتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدْلٍ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا. وَإِنْ قَالَ بغيره فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ وَزَرًا) (٥)

قال رسول الله ﷺ: (إِنْ أَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ يَفُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا) (٦)

و قال رسول الله ﷺ: (أَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أَسْتَعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ زَيْبِيَّةً) (٧)

(٥) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة في كتاب الإمارة

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة والحج، والترمذي في الجهاد، وابن ماجة في الجهاد، وأحمد في المسند

لا طاعة للأمر في معصية الله:

هذا الحكم الشرعي يجب أن تنكشف حقيقته وتظهر خفاياه، وقبل أن نورد الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع نبين ما يجب على المسلم إذا أمره الأمير بمعصية الله تعالى وبمخالفة سنة رسول الله ﷺ وآله فيما يعتقد ويعلم. ومعلوم أن أحداً من الناس لا يعتقد أنه أحاط بالسنة إلا إذا كان مدعيًا، والعلم كله في جماعة المسلمين كلهم، وقد تقدم أن الأمير يجب أن يكون أعلم الجماعة وأن يكون أهل خاصته علماء حكماء، فقد يأمر الأمير واحداً من المسلمين بأمر من السنة عند الأمير ومن طاعة الله عنده وهو عند المأمور من معصية الله ومن مخالفة السنة، وقد يأمره بما هو معصية ومخالفة قصداً فالواجب على المسلم في هذا الحال أن يلاطف الأمير ملاطفة تجعله واثقاً بإخلاصه ويكتم أسرارته، وأنه يفديه بماله وولده من مضار الدنيا والآخرة، حتى إذا أنس الأمير به قال له: إني على قدر علمي أعتقد أن هذا العمل معصية لله تعالى ومخالفة لسنة رسوله ﷺ وآله، وإني أعيد الأمير بالله من هذا فهل لذلك وجه شرعي، فيبين له الأمير. كما إذا كان في جهاد فأمر الأمير فرقة من جيشه بالهزيمة أمام العدو والهزيمة من أمام العدو من الكبائر إلا برخصة شرعية، فعلى الأمير أن يبين له وجه ذلك. وكما لو أمره الأمير بقتل إنسان يعلم أنه تقي صالح وقد علم الأمير بعيونه أنه عين للعدو أو رأس للخوارج أو يسعى في الأرض بالفساد، وعلى المأمور أن يسأل الأمير وعلي الأمير إذا علم منه كتم السر أن يبين له ذلك أو يقلبه. كما إذا أمر الأمير مسلماً بالكذب في وقت الجهاد وكان المسلم لا يعلم أن الكذب في وقت الجهاد قد يباح، وعليه أن يسأل الأمير وعلي الأمير أن يبين له وجه ذلك. وقد ورد في السنة أن رسول الله ﷺ وأمر بقتل

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة والأذان والأحكام ومناقب الأنصار، ومسلم في كتاب الإمارة والحج، والترمذي في كتاب الفتن، وابن ماجة في الجهاد.

رجل فوجدوه يصلي، وأمر بهدم مسجد الضرار على من فيه، وأمر سيدنا أبا بكر الصديق بقتل رجل سرق، ورخص بعد فتح خيبر لرجل من المهاجرين أن يتكلم فيه ﴿ص وآله﴾ لخلاص ماله من مكة وكل ذلك من السنة.

والأمير خليفة رسول الله ﴿ص وآله﴾ إلا إذا أمر بمعصية لا تحتمل التأويل بوجه من الوجوه فالواجب على المأمور أن لا يطيعه، وعليه عند ذلك أن لا يبيح هذا السر لجماعة المسلمين خشية من تفرقه الكلمة، ولكن عليه أن يظهر له الطاعة إذا كان في حالة غضب وحدة، ثم ينتهز فرصة زوال حدته ويذكره بأيام الله وبعاقبة معصية الله فيراجعه ولو بلغ ذلك أنه يأمر بقتله، فيكون من خيار الشهداء لأنه قام بالواجب لله تعالى ولرسوله ﴿ص وآله﴾ ولولي الأمر، فإن أطاعه في معصية الله أغضب الله تعالى وأغضب رسول الله ﴿ص وآله﴾، وأعان الظالم وسعى في زوال الإمارة عن الأمير، واستحق سخط الله تعالى وسلط الله الأمير عليه، وإن خالفه وخرج مشيعاً تلك الفاحشة أمام المسلمين حتى أوجد في المسلمين روح الخروج عليه ومحاربتة كان كمن فتح باب شر على المسلمين، وليس من ضرب ظهرك وأخذ مالك أمرك بمعصية الله ولكن عصى الله فيك، فعليك أن تستر هذا سترًا لعورات المسلمين وحفظًا لقلوبهم من التفرقة. وفي هذا الإجمال تفصيل لذي اللب. قال ﴿ص وآله﴾: (أَلَسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)^(٨) وقال ﴿ص وآله﴾: (لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، ومسلم في الإمارة، وأبو داود في الجهاد، والترمذي في الجهاد،

والنسائي في البيعة، وابن ماجه في الجهاد، وأحمد في المسند ١٧٠/٢

الطَّاعَةِ فِي الْمَعْرُوفِ (٩) وعن عبادة بن الصامت قال: (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةِ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً) (١٠). وفي رواية: (عَلَى أَلَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا) [أي مجاهرًا به] عندكم من الله فيه برهان.

لا طاعة على المسلم للأمير إلا فيما استطاع:

عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال: (كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا ﷺ: (فِيمَا أَسْتَطَعْنَاهُ) (١١) يظهر من هذا الحديث الشريف تقرير أصل من أصول الدين، وهو أن شرط القيام بتأدية كل حكم من أحكام الشرع القدرة على عمله، سر قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦ فلو أن الأمير أمر مسلماً بما لا قدرة له عليه وخالف أمره يكون مطيعاً لله تعالى ولرسوله ﷺ، ولكن يجب عليه ألا يجعل ذلك سبباً لإشاعة الشر بين المسلمين على إمامهم.

مفارقة الجماعة مفارقة للدين والخروج على الإمام خروج من الدين:

(٩) أخرجه البخاري في الآحاد، ومسلم في الإمارة، وأبو داود في الجهاد، والنسائي في البيعة، وأحمد في المسند ٩٤/١، ٤٠٩، ٤٢٦/٤، ٤٢٧، ٥، ٦٦، ٦٧، ٧٠.

(١٠) أخرجه مسلم في الإمارة، والنسائي في البيعة، وابن ماجه في الجهاد، ومالك في الجهاد، وأحمد في المسند ٤٠٣/٦، ٣١٤/٥.

(١١) أخرجه البخاري في الأحكام والفتن، ومسلم في الإمارة، والنسائي في البيعة، وابن ماجه في الجهاد، ومالك في البيعة، وأحمد في المسند ٢ / ٣٠، ٨١، ٦٢/١٢٠، ٥١/٤، ٣١٤/٥.

قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾^(١٢) وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصِيَّةً فَقُتِلَ، قُتِلَ قِتْلَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي بِسَيْفِهِ يَضْرِبُ بَرًّا وَفَاجِرًا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَغْيِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ﴾.

الصبر على الإمام الظلوم خير من فتنة تدوم:

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ص وَآلَهُ﴾: (خِيَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغِضُونَهُمْ وَيَبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، إِلَّا مَنْ وُلِّيَ عَلَيْهِ وَالِ فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرِهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَ عَنْ يَدَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ)^(١٣).

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿ص وَآلَهُ﴾: (يَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءٌ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِيَءٌ وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ، قَالُوا: أَفَلَا تُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا مَا صَلُّوا، لَا مَا صَلُّوا)^(١٤) يعني من كره بقلبه وأنكر بلسانه. عن عبد الله بن عمر رضي الله

(١٢) أخرجه النسائي في كتاب التحريم. وورد هذا الحديث بروايات أخرى عند البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد.

(١٣) أخرجه مسلم في كتابه الإمامة، والترمذي في كتاب التفسير، والدارمي في الرق.

(١٤) أخرجه مسلم في الإمامة، وأبو داود في السنة، والترمذي في الفتن، وأحمد ٢٩٥/٦. وعند الطبراني عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ص وَآلَهُ﴾: ((أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخِيَارِ عَمَالِكُمْ وَشِرَارِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: خِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لَكُمْ، مَنْ تَحِبُّوهُمْ وَيُحِبُّوكُمْ وَتَدْعُونَ اللَّهَ لَهُمْ وَيَدْعُونَ اللَّهَ لَكُمْ، وَشِرَارُهُمْ

تبارك وتعالى عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ: (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: أدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُّوا اللَّهَ حَقَّكُمْ) (١٥) قال: وسأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءٌ يَسْأَلُونَنَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَنَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: أَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّ عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) هذه الأحاديث الصحيحة وإن اختلفت ألفاظها فقد اتحدت مدلولاتها، وإن كان في كل حديث من أسرار الحكمة ما لا تقي العبارة بها إلا أننا نأخذ منها حكماً شرعياً في موضوعنا هذا وهو أن الواجب على كل فرد منا وعلي جماعتنا الصبر على جفوة الإمام وهفواته، والابتغال إلى الله أن يصلح أحواله ومستقبله، وأن يريح المسلمين من شره من غير أن يفتح باب من أبواب الشر عليهم، ولم يكن ذلك كله إلا خشية أن يقوم بعض أفراد المسلمين أو جماعتهم برد الإمام عن ظلمه بالقوة فيقاتلهم بالمثل فيزول سلطان المسلمين، ويتمكن منهم أعداؤهم.

وصبر المسلمين على جفوة الإمام وظلمه مع حفظ دينهم ودنياهم إجمالاً، ومع أن الإمام منهم ولو كان ظالماً غاشماً يؤدي إلى زوال الشر عن المسلمين، إما بتوبة الإمام ورجوعه إلى الحق عندما يذكره الأتقياء أو بموته وتولية غيره فيتغير الحال بتغييره، وإذا لم يصبروا عليه وخرجوا عليه فإنه يدافع عن نفسه بما لديه من القوة فتسل سيوف المسلمين على المسلمين، وفي ذلك ما فيه من غضب رب العالمين ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وتكون النتيجة التجاء أحدهما إلى عدو غشاش يعين أحدهما على الآخر حتى يتمكن من جماعة المسلمين فيمحو معالم الدين، ويغير سنن المسلمين، وربما

شرارهم لكم من تبغضوهم ويغضونكم وتدعون الله عليهم ويدعون الله عليكم. فقالوا: ألا نقاتلهم يا رسول الله ؟ قال: لا... دعوهم ما صاموا وصلوا)) مجمع الزوائد ٢٢٤/٥.

(١٥) أخرجه أحمد في المسند ٣٨٤/١، ٣٨٧، ٤٣٣، والبخاري في المناقب والفتن، ومسلم في الإمامة، والترمذي في كتاب الفتن.

قهرهم على الكفر بعد الإيمان بالقوة التي تجعلهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أو يغير مدينتهم المؤسسة على الكتاب والسنة وحضارتهم القائمة على الحق والعدل والمساواة كما بين في سنن الأئمة الهادين بمدينة المدن الضالة الفاسقة وحضارتها وحضارة المدن الجاهلية الماحقة.

وليس الحوادث التي حدثت بين الإمام والأمة فأنتجت تلك النتائج الضارة وبدلت معالم الحق وأنواره بظلمات الباطل وأضراره والفضيلة الشرعية بالردائل البهيمية الشيطانية بقليلة، كل هذا الأمر العظيم نتج من أمر صغير هو عدم صبر المسلم على جفوة الأمير، وعدم تواضع الإمام وإعطائه الحق من نفسه لرعيته، ولكن ترك الصبر من المسلم وإعجاب الإمام برأيه واتباعه هواه وإطاعته الشح صيرت الملك صعلوكًا مملوكًا والرعية العزيزة بإمامها همجا رعاعا، ولذلك فقد حذرنا رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة من عدم الصبر على الإمام، ونهانا عن الخروج عليه، وأمرنا ﷺ بالدعاء له ليدوم سلطان المسلمين وتبقى كلمة الله هي العليا: فانظر يا أخي بعين البصير الناقد في هذا الأمر الخطير، وإياك أن تدفعك العزة بالإثم فتستعظم الجفوة من الإمام أو الأذية منه في نفسك أو مالك أو ولدك، فينفخ فيك شيطان الغرور فتسعى في تمزيق جماعة المسلمين وإضعاف سلطانهم، وتسعى في الاستتصار بغير المسلمين والاستعانة بغير المؤمنين، أو تجعل لك عصابة ممن لا خلاق لهم أهل المطاعم في الدنيا والشوق إلى الرياسات، وتقوم فتخرج على الإمام. وقد علمت يا أخي أن الخوارج كلاب النار، فالواجب علينا جماعة المسلمين أن نتمسك بقول رسول الله ﷺ ص وآله ﷺ، وأن نصبر على جفوة الأمراء، حتى إذا صبرنا ودعونا الله

تعالى نظر الله إلينا فولى الأمور خيارنا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ﴾ (الرعد: ١١) وقال ﷺ: (كَمَا

تَكُونُوا يُؤَلَّ عَلَيكُمْ). وفي هذه الأحاديث المتقدمة من غوامض الحكمة ما لا يسعه هذا المختصر إذ ليست من مقاصده، وستأتي الإشارة إليها في كتاب آخر إن شاء الله تعالى، والله سبحانه أسأل أن يجعلنا جميعاً من أهل الخير والفلاح، وأن يجدد بنا السنة ويعلي بنا الكلمة إنه مجيب الدعاء.

الخروج من طاعة السلطان خروج عن المحجة ورفض البيعة رفض للإيمان:
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ
وآله:

(مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) ^(١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، سَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْتُمُونَ، قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ: فُؤَا بَيْعَةِ الْأَوَّلِ قَالُوا، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَأَلَهُمْ عَمَّا أَسْتَرَعَاهُمْ) ^(١٧).
هذان الحديثان الصحيحان يعينان على كل مسلم ألا يخرج عن بيعته الإمام وألا يعيش نفساً بدون الإمام، فإن الخروج عن طاعة الإمام ورفض البيعة مخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وفتح لأبواب الشرور على المسلمين، وإيقاد لنيران العداوة والبغضاء، ومحاربة لله ولرسوله ﷺ وليس من مسلم يؤمن بالله ورسوله ﷺ ويؤمن بيوم الحساب يسعى في مضرة فرد واحد من أفراد المسلمين لينفع نفسه، فكيف يسعى في محو الإسلام

(١٦) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة.

(١٧) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، ومسلم في الإمارة، وابن ماجه في الجهاد، وأحمد في المسند ٢ /

والمسلمين ؟ أسأل الله تعالى أن يحفظنا من التفرقة ومن الخروج من الطاعة والخروج على الجماعة. وفي الحديث الحسن قال رسول الله ﷺ (ص وآله) : (أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جَنَاءِ جَهَنَّمَ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ) (١٨) وقال ﷺ (ص وآله) : (مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ) (١٩)

الإمام لا يكون إلا واحدا شرعا:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ (ص وآله) : (إِذَا بُوِيعَ لِخُلَيْفَتَيْنِ فَاغْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا). وقال ﷺ (ص وآله) : (إِنَّهُ سَيَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَأَضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ) (٢٠). وقال ﷺ (ص وآله) : (مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ وَيَفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاغْتُلُوهُ) وقال ﷺ (ص وآله) : (مَنْ بَايَعَ إِمَامًا

(١٨) عند النسائي في كتاب التحريم بلفظ: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة .. الحديث)) . وله روايات أخرى بلفظ: ((من فارق الجماعة شبرا مات ميتة الجاهلية)) البخاري في كتاب الفتن والأحكام، ومسلم في الإمارة، وأبو داود في السنة، والترمذي في الأدب، والدارمي في السير، وأحمد في المسند ٢٧٥ / ١ / ٤ / ١١٣٠ / ٥ / ١٨٠

(١٩) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، وأحمد ٤٩ / ٥ / ٢٤،

(٢٠) وعند أحمد بلفظ: (فمن رأيتموه يفرق بين أمة محمد ﷺ و آلهم جميع فاقتلوه) المسند ٤ /

فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَتَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيُطِيعْهُ إِنْ أَسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَأَضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ (٢١).

هذه الأحاديث الصحيحة تبين لنا ما يجب العمل به فيما إذا ظهر من ينازع في الخلافة أو يدعيها لنفسه بعد تنصيب الإمام واجتماع كلمة المسلمين عليه، وتعين علينا جماعة المسلمين أن نقتل الآخر إذا توفرت تلك الشروط، ومنه يظهر أن من أعان الخارج كان مثله يجب قتله حدًّا. وأما من خرج ضرارًا وكفرا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله ﴿ص وآله﴾ أو معينا لعدو كافر ليواليه الإمارة أو لعصبية وانتقام قتل كفرا.

ولا يعلم قدر المفساد والمضار التي تحصل لجماعة المسلمين بالإهمال في قتله إلا الله سبحانه وتعالى. فالواجب علينا جميعًا أن ننفذ أحكام الله ورسوله ﴿ص وآله﴾ بكل شدة، ولا تأخذنا رافة في دين الله على الفاسقين الخوارج، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يودنا بوجه الذي ودَّ به أهل محبته.

إِنَّمَا يُؤَمَّرُ مَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهَا لَا مِنْ طَلِبِهَا:

لو أن جماعة المسلمين سلكوا مسلك الأئمة الهداة في اختيار الإمام كما فعل سيدنا ومولانا أبو بكر الصديق إذ اختار سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبين لهم بالدلائل البرهانية وجه اختياره له حتى اطمأنت القلوب، وكما جعلها عمر بن الخطاب لعدد من الصحابة شورى بينهم وجعل ابنه من أهل الشورى وليست له الإمامة، وكما أجمع أهل الشورى على إمامة سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام وهو كاره لها، لدام الأمر على ما كان عليه، ولانتشر الإسلام حتى دخل فيه جميع سكان الأرض. ولكن الإمامة صارت حظًّا في النفوس يختص به الرجل ولده أو أخاه، ويقهر جماعة المسلمين على البيعة له، فيكون القائم بالأمر معتقدًا أن

(٢١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، وأبو داود في الفتن، والنسائي في البيعة، وابن ماجه في الفتن، وأحمد في

المسلمين لم يرضوا له إلا بالقهر فيتحرز منهم ويخشى على نفسه من غدرهم ويشغل وقته بالكيد لهم، حتى يتمكن منه عدوه على غرة منه. وقد سرى هذا البلاء حتى أصبحت وظائف القضاء وحماية الثغور وقيادة الجيوش وإمارة الخراج تطلب ببذل المال والجاه والعرض والدين، فيتعلم الولد من صغره ليكون قاضياً في كبره، ويشب ومعه تلك الغاية فيسعى لنوالها من الأمير برمي القائم بها أو بالتشنيع عليه أو بالكذب عليه أو بدعوى أنه عدو للأمير حتى يتولى هذا المنصب جاهلاً بقدر تبعاته، ويحكم في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بحظه، فما يتلذذ بالرياسة إلا ريثما يسלט الله عليه آخر ينتقم الله به منه، وينتقم الله من الظالم بالظالم وهذا عقابه العاجل له في الدنيا وفي الآخرة عذاب شديد. فالواجب على إمام المسلمين وعلي جماعتهم ألا يولوا ولاية قضاء أو جباية أو حماية ثغور أو إمارة جيوش إلا من كان أهلاً ومحلاً، وأكره عليها وفر منها خوفاً من الله تعالى ألا يحسن القيام بها، كما حصل ذلك لأئمة السلف الصالح، فكم ضربَ عالم وكم عُذِّبَ تقي ليتولى وفر منها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّكُمْ سَتَحَرِّصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنَعَمْتُ الْمُرْضِعَةَ وَبُنُسْتُ أَلْفَاطِمَةَ) ^(٢٢) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعلمني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) ^(٢٣) وقال ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تُؤَمِّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تُؤَلِّينَ مَالَ يَتِيمٍ).

(٢٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، والنسائي في البيعة، والقضاء، وأحمد في المسند ٢ / ٤٤٨.

(٢٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، وأحمد ٥ / ١٧٣، ٢٦٧.

و عن أبي موسى رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ
 وآله ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقالا: أمرنا على بعض ما ولاك،
 فقال: (إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلُهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ
 عَلَيْهِ) (٢٤) وقال ﷺ: (لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ)
 (٢٥) وقال ﷺ: (تَحْذُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَّةً لِهَذَا
 الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ) (٢٦) وقال رسول الله ﷺ: (أَلَا كُتِّبَ
 رَاعٍ وَكُتِّبَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَأَلِإِمَامٌ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ
 مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ
 رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ -
 وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فُكِّبَ رَاعٍ
 وَكُتِّبَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (٢٧) وقال ﷺ: (مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) (٢٨). وقال ﷺ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ
 رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطَها بِنَصِيحَةٍ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ) (٢٩). وقال ﷺ:

(٢٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، ومسلم في الإمارة.

(٢٥) أخرجه البخاري في كتاب الإمارة، والردة، ومسلم في الإمارة، وأبوداود في الأقضية والحدود، وأحمد في

المسند ٤٠٩/٤

(٢٦) أخرجه البخاري في المناقب، وأحمد في المسند ٢ / ٤١٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ

(٢٧) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة والجنائز والقراض والوصايا والعق والنكاح، ومسلم في كتاب

الإمارة، وأبو داود في الإمارة.

(٢٨) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، ومسلم في الإمارة.

(٢٩) أخرجه البخاري في الأحكام، ومسلم في الإيمان والإمارة، والدارمي في الرق، وأحمد في المسند ٢ /

١٥، ٢٥/٥، ٢٧.

وآله: (إِنَّ شَرَّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ)^(٣٠). وقال ﴿ص وآله﴾: (اَللّٰهُمَّ مَنْ
وَلَّيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْفُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلَّيَ مِنْ أَمْرِ
أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ)^(٣١).

سعادة الإمام المقسط:

معلوم أن رسول الله ﴿ص وآله﴾ خاتم الأنبياء فلا نبي بعده يسوس
الناس، ولكن الله تعالى منّ على جماعة المسلمين بأن أبقى فيهم
أسرار النبوة وورثهم أنوراها، وأقام لرسول الله ﴿ص وآله﴾ أبدالا
يقومون بحجة الله ويجددون سنة رسول الله ﴿ص وآله﴾ منهم الإمام
الأعظم، فإذا كملت معانيه وصحت مبانيه كان هو الصورة المحمدية
الكاملة والخليفة الحقيقي لرسول الله ﴿ص وآله﴾ وخليفة ربنا سبحانه
وتعالى في أرضه، وهي أشرف المقامات بعد الرسالة وأجل المنازل
بعد النبوة، بها طهارة النفس وتزكيتها والمنافسة في نوال القرب من
حضرة القدس، والحظوة لدى رسول الله ﴿ص وآله﴾، حتى قد يبلغ
درجة من الكمالات النفسية إلى أن تكون مخالفة أمره من أكبر الكبائر
لأنه قام مقام رسول الله ﴿ص وآله﴾، ويكون اجتهاده حقًا واستنباطه
حقا وعمله سنة يقتدى بها، فلا يعلم إلا الله ما أخفي له من قرّة أعين
وما أعدّه الله له من عظيم الفضل وجزيل الثواب. قال رسول الله
﴿ص وآله﴾ في الحديث الصحيح: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ
مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - وَكَلَّمَا يَدِيهِ يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي
حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَكَلُوا)^(٣٢)

تحرز الإمام من بطانة السوء:

(٣٠) أخرجه مسلم في الإمامة، وأحمد في المسند ٥ / ٦٤

(٣١) أخرجه أحمد في المسند ٦ / ٦٢، ٩٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠

(٣٢) أخرجه مسلم في الإمامة، والنسائي في آداب القضاة، وأحمد في المسند ٢ / ١٦٠

اعلم يا أخي منحني الله وإياك الإخلاص لذاته والصدق في معاملته سبحانه، أن الخليفة لادنيا إلا عنده ولا دين إلا به، والناس قسمان: طالب دنيا وطالب دين. وأشد الناس طمعاً في الدنيا لا يطلبها إلا عند الإمام، وأشد الناس حرصاً على الدين لا يطلبه إلا بالإمام. ولذلك ترى أشد الناس حرصاً على الدنيا يبذلون النفس والنفيس في التقرب منه، وأحرص الناس على الدين يهتمون بشأنه للنصيحة وتجديد السنة وإعلاء الكلمة به.

ومعلوم أن أهل الدنيا يتجملون للسلطان بما يحب إن بالدين وإن بالدنيا فيخفى عليه أهل الحق، وربما ظن الخير في أهل الشر فأفسدوا عليه ملكه وفتحوا عليه أبواب الفتن والشور، وربما ظن الشر في أهل الخير فأبعد عن نفسه الخير، وكل ذلك من عدم رويته في الأمور وبحته عن خفايا كل أمر، وجهله بمقاصد أهل الشرور الذين يسمعون ما يحب ويعينونه على ما يهوى، ويظهرون له الحب في ذاته والسعي في تقوية سلطانه فيغتر بهم وينفر من أهل النصيحة المخلصين، فيكون عاقبة ذلك فساد الراعي والرعية وتفرق الجماعة. وأما إذا كان السلطان حذراً يقظاً أبعد أهل المطامع الأشرار وقرب الحكماء الأخيار واقتدى بهم، فصلح الراعي والرعية وكان الله مع الجميع وأغدق نعمه وفضله، قال رسول الله ﷺ: (مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا أَسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ: بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ).

هول يوم القيامة على السلطان المخالف :

قال ﷺ: (مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا حَتَّى يُفَكَّ عَنْهُ الْعَدْلُ أَوْ يُؤْفَقَ الْجَوْرُ). وقال ﷺ: (وَيَلُ لِّلْأَمْرَاءِ، وَيَلُ لِّلْعُرَفَاءِ، وَيَلُ لِّلْأَمْنَاءِ، وَلَيَنْتَمِينَ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ نَوَاصِيَهُمْ مَّعْلُوقَةٌ بِالشَّرِّ يَا يَتَجَلَّجَلُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَنْهُمْ لَمْ يُؤْكَلُوا

عَمَلًا (٣٣) وقال ﴿ص وآله﴾: (إِنَّ الْعُرَافَةَ حَقٌّ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ
عُرَفَاءٍ، وَلَكِنَّ الْعُرَفَاءَ فِي النَّارِ) (٣٤) وقال
﴿ص وآله﴾ لكعب بن عذرة: (أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ، قَالَ:
وَمَا

ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: أُمَرَاءٌ سَيَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ
فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلْيَسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَمْ
يَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ
يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ وَأُولَئِكَ يَرُدُّونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ
(

إذا كان المصدق لهم بكذبهم المعين لهم ليس من رسول الله ﴿ص﴾
وآله ﴿ص﴾ ولا يرد عليه الحوض فكيف بنفس الأمراء. أعوذ بالله من
إمارة تبعد عن الله ورسوله

﴿ص وآله﴾ عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﴿ص﴾
وآله ﴿ص﴾ ضرب على منكبيه ثم قال ﴿ص وآله﴾: (أَفْلَحْتَ يَا مِقْدَامُ إِنْ
مِتَّ وَلَمْ تَكُنْ أَمِيرًا وَلَا كَاتِبًا وَلَا عَرِيفًا) (٣٥) عن عقبة بن عامر قال:
قال النبي ﴿ص وآله﴾: (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ
مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنْ أَبْغَضَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ
عَدَابًا - وَيُرَوَّى وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا - إِمَامٌ جَائِرٌ) (٣٦)
آداب عمومية للراعي والرعية وردت في أحاديث حسان :

(٣٣) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٥٢.

(٣٤) أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة.

(٣٥) أخرجه أبو داود في الإمارة، وأحمد في المسند ٤ / ١٣٣.

(٣٦) أخرجه الترمذي في كتاب البر، وأحمد في المسند ٢ / ١٨٥، ٢٣/٣.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (ص وآله) قال: (مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَاءً، وَمَنْ أَتْبَعَ الصَّيْدَ غَفْلًا، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ أَفْتِنًا – وَيُرْوَى وَمَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ أَفْتِنًا – وَمَا أَرْدَادَ عَبْدٍ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا أَرْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا) (٣٧) وعن عقبة ابن عامر قال: قال النبي ﷺ (ص وآله): (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ) (٣٨) يعنى الذي يعشر الناس. وقال ﷺ (ص وآله): (أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةً حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ (ص وآله) قال: (إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا أَبْتَغَى الرِّيْبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ) (٣٩) و عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ (ص وآله) يقول: (إِنَّكَ إِذَا أَتَبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ) (٤٠) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ص وآله): (كَيْفَ أَنْتُمْ وَأَيْمَةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الْفِيءِ ؟ قُلْتُ أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضْعُ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ، قَالَ ﷺ (ص وآله): أَوْلَا أَذْكَكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ تَصْبِرُ حَتَّى تَلْقَانِي) (٤١).

(٣٧) أخرجه ابو داود في كتاب الأضاحي، والترمذي في الفتن، والنسائي في السير، وأحمد في المسند ٣٥٧/١

(٣٨) أخرجه ابو داود في كتاب الامارة، والدارمي في الزكاة، وأحمد في المسند ١٥٠، ١٤٣/٤

(٣٩) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، والترمذي في كتاب الفتن، وابن ماجه في الفتن، وأحمد في

المسند ١٩/٣

(٤٠) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب.

(٤١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب.

الفصل الثالث

الأمراء والمفتون

محادثة العلم والعلماء:

طالب جاهد نفسه جهاداً أكبر لينال بغيته من العلم، فتحصل على ما مالت نفسه إليه، وناظر شيوخه وأساتذته، حتى ظهرت له المساواة، وكان يعتقد أن أهل العلم لهم درجة عالية

بنص قوله سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

فلم يجد لنفسه درجة فوق ما كان عليه قبل التعلم، ووجد الذي كان عليه في دار أبيه، من الصلاة والزكاة والصيام لم يزد، وربما حصل التساهل في تأديتها، فعجب وقال: ما الذي اكتسبته من التعلم؟ وابتهل إلى الله تعالى أن يكشف له الستار عن الحقيقة، وأن يبين له أقرب الطرق الموصلة إليه، وأصفى الموارد المقربة منه سبحانه وتعالى، وجلس متوجهاً إلى الله بقلبه، وفي هذا التوجه حضر قلبه. فرأى أنه في مجتمع من أهل الصفا مع الله تعالى، وكأنهم في مجلس علم، وكان العلم يبين لهم حقيقته، فأصغى بأذن قلبه، متجرداً من هيكله الإنساني ولوازمه، مقبلاً بكلية على التلقي، فسمع العلم يقول: إنما يحتاج إلي عند غيبة الحقيقة، لأرسمها على جوهر النفس بمقدار قابلية النفوس، لا بقدر الحقيقة على ما هي عليه، فإذا صفى جوهر النفس، ورسمت عليه صورة الحقيقة، تآقت النفس إلى جليلة الأمر وكنيته، فارتقت من العلم إلى الذوق، ومن الذوق إلى الشهود وجداً، ومن الشهود إلى العيان وجوداً، ومن تلقى العلم فظن أنه بلغ الغاية بالعلم، حرم الرعاية، وهي العمل بالعلم، فإن كمال العلم العمل به؛ لأن العمل به دليل على حصول علم الرعاية للعالم، ومن حرم الرعاية حرم العلم (أي: لازمه)، وأنا وإن كنت مقصداً عظيماً لمن رغبوا في السعادة إلا أنني بعد تحصيلي أكون وسيلة لمقصد عظيم، وكل علم لم يكن معلومه الله ورسوله ﷺ

وآله ﷺ، فهو في غايته تحصيل ما به حفظ الصحة وبقاء الحياة في كون الفساد. سألتني أحد أهل الصفا الجالسين قائلًا: يا أخى، ولو كان علم أحكام الله تعالى؟ قلت: نعم، فإن من تعلم الأحكام قبل العلم بالحاكم هلك وأهلك. انظر إلى العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ

وآله ﷺ كانوا يكرهون الولاية، كسيدنا على بن أبى طالب ﷺ حين ولاه رسول الله ﷺ

وآله ﷺ المدينة في غزوة تبوك، وكمعاذ بن جبل حين ولاه رسول الله ﷺ

حرصاً على دوام مواجهة رسول الله ﷺ وآله ﷺ، وكأبي حنيفة الذي ضرب على الولاية فأبأها. وابن أبى ليلى، وابن جريح، ومالك بن أنس الذي ضرب وأوذي - رضى الله عنهم أجمعين - لأنهم تعلموا الإيمان، ثم تعلموا القرآن، ثم الأحكام.

وسأله آخر: قائلًا: يا سيدى، إن أكثر العلماء الآن يهتمون بتحصيل علم الأحكام والأخبار والأقاصيص، فقال: أما الذين يتعلمون الأخبار فهم أهل الشهرة، لأنهم يحفظون الأحاديث باختلاف الروايات، ويعلمون التجريح والتعديل، حتى يكون لهم المنزلة العليا، وأما الذين

يتعلمون الأفاضل، فهم الذين يحبون أن يكونوا شيوخاً على العامة، لينالوا حظهم، أما العلم الذي هو علم يطلبه أهل الصفا والوفا من خيرة عباد الله، فهو العلم بالله، والعلم بأيام الله، والعلم بأداب سلوك طريق الله تعالى، وهذا لا يقبل عليه إلا من سبقت لهم الحسنى من الله تعالى، لأنها عناية أزلية تجذب النفوس إلى ما خلقت له، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٢، ٤١). وقال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ

وَيَمْلِكُكُمْ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢). وقال ﴿ص وَآلَهُ﴾: (أَعْمَلُوا فُكُلٌ مُيسِّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) (٢٨) وليس تحصيل الأحكام بعلم يقرب من الله تعالى، ولكنه يقرب من الملوك، ومن حصل العلم بالأحكام ولم يحصل العلم بالحاكم، كان ممن لم يجعل الله لهم نوراً، ولم تحصل التفرقة بين جماعة المسلمين، والخلاف بينهم، إلا ممن حصلوا العلم بالأحكام، ولم يهيمهم الله تعالى العلم به سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلُوكُ﴾ (فاطر: ٢٨).

بأي علم؟ قال: العلماء بالله تعالى، ولكن العلماء بالأحكام لا خشية في قلوبهم من الله تعالى، وكيف تكون في قلوبهم الخشية وهم أسرع الناس منافسة في الوظائف، والتقرب من الملوك والأمراء، والخوف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجاراة أهل الأهواء لا للمداراة ولكن للمداهنة؟! ولو أن الخشية من الله تعالى في قلوبهم لرخصت الدنيا في أعينهم، بل رخصت دماؤهم غيرة للحق، وإن نفساً واحداً في تحصيل العلم بالله تعالى يقوى به اليقين، قوة تُبذل به الحياة العزيزة غيرة للحق كما فعل سحرة فرعون الذين قالوا له: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه: ٧٢). بعد أن ظهرت لهم آية من عجائب قدرة القادر سبحانه وتعالى، وهذا درس لم يتجاوز أنفاساً، كيف أنتج بذل الحياة محافظة على الأدب مع الله سبحانه وتعالى؟! وقد فعل أكثر من ذلك أصحاب رسول الله ﴿ص وَآلَهُ﴾ فقد عذب بلال، وياسر، وزوجته، وابنه عمار، في الله تعالى، حتى قتلت أم عمار طعناً بالحربة في فرجها غيرة لرسول الله ﴿ص وَآلَهُ﴾ أن تسمع فيه ما تكره، ومات سيدنا ياسر - وهو مولى - من فادح العذاب. وكان ينجي أن يداري قريشاً، وكم عذب في الله رجال حتى فارقوا أوطانهم وأعراضهم وأموالهم، وأبت خشية الله التي في قلوبهم أن يداروا، فإذا كان العلم بأحكام الله تعالى ينتج الخشية من الله تعالى لما رضى العلماء أن ينافسوا في خدمة الملوك والأمراء، على ما هم عليه من البدع المضلة، والأهواء المضرة، وكيف يرضى العالم الذي يخشى الله تعالى أن يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وبييع الآخرة بالدنيا، ويرى معالم الله قد انتهكت، وحدود الله قد عطلت، وشعائر الله قد استهين بها، وهو متلذذ بطعام شهى، وثوب بهي، وفراش وطى، وخدم وحشم، يداهن الأمراء ويرضيهم في

(٤٢) رواه البخارى في كتاب القدر الباب ٤ وكتاب تفسير القرآن "سورة الليل" الباب ٥٧، ٥٤، ٣ وكتاب التوحيد الباب ٥٤، ومسلم في كتاب القدر الحديث ٦٧٠٨، والترمذى في كتاب القدر الباب ٣ وتفسير "سورة الليل"، وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٦٧.

غضب الله تعالى؟! وكيف يكون عالماً من يجعل العلم آلة لجمع الدنيا، أو يتعلم ليتولى رئاسة أو ولاية؟!!

سأل آخر: فقال: يا سيدي العلم، ليس هؤلاء بعلماء؟ قلت: لا. ليسوا علماء؛ فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن يكره، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، وإنما هذه فنون صناعية كالصناعات الأخرى، يتحصل عليها المؤمن والكافر بصفته إنساناً. أما العلم النافع: فإنه فضل من الله تعالى، يهبه الله تعالى بالفضل لمن يشاء، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: ١-٤). وإني لا أحل قلباً إلا ولزمتني الخشية، ولا ينالني إنسان إلا وسبقني الرعاية، ولا يتحصل على طالب إلا وتكشف له الدنيا عن حقيقتها، فرغب، وتجاوى بجانبه عنها، وسارع إلى مغفرة من ربه وجنة عرضها السموات والأرض. والله الموفق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هُوَ الْعِلْمُ لَا يُجْلَى بغير الْحَقَائِقِ
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا يَعْلَمُهُ الْعَلِي
وَمَا الْعِلْمُ وَالْأَعْمَالُ مِنْ غيرِ خَشْيَةٍ
وَفِي أَوَّلِ (الرَّحْمَنِ) نُورٌ لِمُهْتَدٍ
تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِي وَقَوْلِي وَقَوْتِي
تَبَرَّأْتُ مِنْ نَفْسِي وَكُلِّ جَوَارِحِي
أَيَا عِلْمٍ يَاحَالَ وَكُلِّ جَوَارِحِي
أَنْبِيُوا مَعِيَ أَوْ فَاتَرُكُونِي فَإِنِّي
وَمَرَارَةٌ دُنْيَايَ بَلْ غَرَارَةٌ
فَفَرُّوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ سَارِعُوا
بَنُورِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَعْتَصِمُوا وَلَا
حَتَائِيكَ يَأْتِيكَ ثُبٌّ وَفَقْنٌ لِمَا
وَجَمَلُهُ بِالْأَحْوَالِ حَالِ مُحَمَّدٍ
وَطَهْرُهُ مِنْ غَفْلَةٍ مِنْ ضَلَالَةٍ
وَأَكْرَمُهُ فِي الْأَوْلَادِ فِي كُلِّ أَهْلِهِ

وَعِلْمٌ بِكَشْفٍ فِيهِ قُرْبٌ لِخَالِقِي
وَأَيُّ (يُعَلِّمُكُمْ) دَلِيلٌ لِصَادِقٍ
سِوَى إِلَهٍ صَمَاءَ سُؤْلِ الْمُنَافِقِ
بِهَا (عِلْمُ الْقُرْآنِ) جَذَبُ الْمُوَافِقِ
تَحَقَّقْتُ أَنَّ اللَّهَ بِالْفَضْلِ رَازِقِي
أَنْيَبُ إِلَى رَبِّي بِإِخْلَاصٍ وَاثِقٍ
وَيَأْمَالُ يَا أَوْلَادَ لَسْتُ مَرَأْفِقِي
تَحَقَّقْتُ أَنَّ الْكَوْنَ أَحْلَامُ وَامِقٍ
وَضُرَّارَةٌ وَالْعَبْدُ فِي لَيْلٍ غَاسِقٍ
إِلَى اللَّهِ مِنْ تِلْكَ أَمْلَاهِي الْخَوَارِقِ
تَمِيلُوا إِلَى الْأَهْوَاءِ مَيْلَةَ مَارِقٍ
تُحِبُّ مُسِيئًا فِي ظِلَامِ الشَّقَائِقِ
وَخَلَقَهُ بِالْأَخْلَاقِ أَخْلَاقِ خَالِقٍ
وَأَعْطَاهُ الْإِحْسَانَ خَيْرَ الرِّقَائِقِ
كَمَا نَالَ خَيْرًا كُلُّ فَرْدٍ وَسَابِقِ

الأمراء هم المفتون:

أول ما يجب على المسلم طلب العلم الذي لا بد منه.
فأول واجب طلب علم الإيمان، ويرغب في تعليم أحكام الصلاة من السنة العاشرة من عمره، حتى إذا فرضت عليه الصلاة بالبلوغ فرضت عليه أحكام الصلاة، ويرغب في تحصيل علم الصيام بعد العاشرة من عمره، حتى إذا بلغ فرض عليه تحصيل هذا العلم ليعمل به، ويفرض عليه تحصيل علم الحج إذا توفرت شروطه، وهكذا يتعين عليه تحصيل

علم المعاشرة للزوج، ويرغب في تعليمه قبل ذلك، فالمسلم لا يكمل إيمانه إذا جهل الضروري من الدين مما لا بد لكل مسلم منه، علماً وعملاً، وما كان غير ضروري فممنوع به الأمير مما تدعو إليه المعاملة وسياسة المجتمع، ودوام الصفا بين جماعة المسلمين وأهل ذمتهم، وكبح جماح النفوس عن تعدي حدود الله تعالى، ورجوعها إلى الوسط. كل ذلك يجب أن يقوم به الأمير، ويتعين على كل مسلم أن يرفعه إليه، فإن ذلك من أحكام الله وحدود شريعته، ومن تكلم في هذا بين الناس، وأفتى في مثل هذه الشئون ولم يكن أميراً وعلم به الأمير أخذه، ودام الأمر على ذلك إلى زمان عمر ابن عبد العزيز ؓ.

احتياج الأمراء إلى المفتين:

ولما تساهل الأمراء في تحصيل ما هو فريضة عليهم اضطروا إلى أن يعينوا لهم مفتين، يرجعون إلى فتياهم، فكان الأمير يجلس وعلى يمينه مفت، وعلى يساره مفت، وترفع إليه المسائل، وكان الأمراء من الصحابة رضي الله عنهم لا يمنعون من أفتى في شأن من شئون الأحكام والحدود، ولكنهم يجلسون أمام العباد والعلماء بالله تعالى يسمعون منهم الحكمة والمعرفة، ويحثون نوابهم في البلاد، وجماعة المسلمين على التقرب من أهل العبادة والزهد، حتى كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ أن اقتربوا من أفواه العباد والزهاد فإنه تجلى لهم حقائق صادقة.

ولما أن احتاج الأمراء إلى المفتين، طلبوا إلى العلماء، ورغبوهم، وكان العلماء رضي الله عنهم متمسكين بالحق، نظروا إلى الدنيا بعين الإيمان والعلم، كشف لهم العلم عن مبدئها ونهايتها ففروا من الأمراء. دعا أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور أبا حنيفة وابن أبي ليلى وأياس بن وبيزة ليؤلفهم فأبى أبو حنيفة عليه، حتى أقسم أبو جعفر بالطلاق ليوطينه، فلم يقبل أبو حنيفة، فضرب بالسياط مراراً، حتى كادت روحه تزهد، وبعد ذلك ولاه أبو جعفر عداداً للبن (الطوب) فرضي أن يكون عداد طوب، ولم يرض أن يكون قاضي قضاء المسلمين في ذلك العصر، ثم أمر ابن أبي ليلى بقبول الولاية، فأقسم بالله العظيم ثلاثاً أنه لا يصلح لها، فإن كان صادقاً في يمينه يولى أمير المؤمنين من لا يصلح، وإن كان كاذباً فأمر المؤمنين يولى كاذباً، واستعفاه فقبل منه. وأمر إياس بن وبيزة بقبولها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن أبي ليلى تخلص من النار بيمين حنث يصوم لها ثلاثة أيام، فقال أمير المؤمنين: حيث فقحتها فأنت أولى بها منه، وولاه مكرها، ثم نafs الناس في الدنيا، فتعلموا العلم للفتيا، فتشبهوا بالأمراء والملوك.

وإن المفتى هو أمير الأمراء، لأنه عليه أن يحكم وعليهم أن ينفذوا، لأنه عالم بأحكام الله تعالى وحدوده، يخشى الله تعالى، ويخاف عذابه، ويرجو نعيمه أكثر من خوفه من الأمراء، فهو إنما يفتي بالحق ولو على نفسه قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ؕ﴾ (النساء: ١٣٥). وقال ﴿ص وَآلِهٖ﴾: (قاض في الجَنَّةِ وقاضيان في النَّارِ). وقال ﴿ص وَآلِهٖ﴾: (الْفَضَاةُ ثلاثة).

قَاضٍ قَضَىٰ الْحَقَّ وَهُوَ يَعْلَمُ فُذَاكَ فِي الْجَنَّةِ وَقَاضٍ قَضَىٰ الْجَوْرَ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَوْ قَضَىٰ الْجَوْرَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَهُمَا فِي النَّارِ). [رواهما الحاكم في مستدركه وفي التاريخ عن بريدة رضي الله عنه].

المفتون والقضاة في الصدر الأول:

قام المفتون والقضاة في الصدر الأول مع الأمراء قوامين لله بالحق، مثل الإمام أبي يوسف، والإمام يحيى ابن أكثم، وإياس بن وبیضة، وأهل زمانهم في جميع الأمصار، يحكم المفتي والقاضي على الأمير فينفذ على نفسه حكمهم، طاعة لأمر الله .
رفع بعض الأعراب إلى قاضي المدينة المنورة ظلم أحد خلفاء بني العباس بأخذ جمالهم ولم يدفعوا لهم ما عاهدوهم عليه من المال، فكتب القاضي إلى الخليفة: إن سنة رسول الله ﷺ وص وآله عليهم السلام تدعوك لحق عليك، فتوجه رسول القاضي إلى الخليفة وهو واقف أمام روضة رسول الله ﷺ وص وآله عليهم السلام وناوله الورقة، فأقسم الخليفة في نفسه أنه إن أراد القاضي بذلك الشهرة والفخر ليقنتله، وإن أراد بذلك المساواة والعدالة ليرفعنه، وتوجه إلى القاضي، فلما وقف بين يديه، نادى خصمه، وقال: أعط لهذا حقه، فسأله أمير المؤمنين عن حقه، فاعترف به أمير المؤمنين، وطلب من القاضي أن يصبر عليه حتى يتوجه إلى داره، ويسلم خصمه حقه، فقال القاضي: لا تخرج من مجلسي هذا حتى تدفع ما عليك، وأمر خصمه بالجلوس، وأمر الخليفة بالجلوس، فأرسل أمير المؤمنين من أحضر له المال، فلما أن سلمه للقاضي، وسلم القاضي المال للمدعي، أخرج من المجلس، ثم قام على قدميه غاضباً بصره، وقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، وقبل يد الخليفة، ووقف أمامه، فقال الخليفة: أكثر الله في أمة محمد ﷺ وص وآله عليهم السلام من أمثالك.

ولما احتضر للموت الإمام أبو يوسف بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: لذنب عظيم أخافه، قيل: وما هو؟ قال: وقف أمير المؤمنين هارون، وخصم له يهودي أمامي، فتمنيت بقلبي أن يكون الحق لأمر المؤمنين على اليهودي، فكان الحق لليهودي، فحكمت له به على أمير المؤمنين، فأنا أخاف من ذنبي هذا.

المفتي فوق أمير المؤمنين:

واستفتى أحد أمراء المؤمنين من آل عثمان الإمام أبا السعود مفتي دار الخلافة العظمى، في أن يقهر الناس على الإسلام أو يقتلهم، وكانت السياسة تقتضي ذلك، حفظاً لجماعة المسلمين من الفتن، فأفتى بالحكم الشرعي ناهراً للخليفة ولجنده، فخضع الخليفة للمفتي طاعة لله ولرسوله ﷺ وص وآله عليهم السلام، فكان المفتي فوق أمير المؤمنين أمراً ونهياً؛ ذلك لأنه قام لله بالقسط ناصراً لله ولرسوله ﷺ وص وآله عليهم السلام، موقناً حق اليقين بقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ

الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (محمد: ٧).

هذه وظيفة المفتي للمجتمع الإسلامي، وإنما شرف الوظيفة بقدر شرف نفس القائم بها، وكم من مجد أضاعته نفوس صغيرة، وكم من شرف أضاعته أطماع، وشتان بين نفس تعرف مقدار المجد فتبذل له ما يفنى محافظة عليه، وبين نفس تجهل يوم الحساب فلم تخف نقمة الله ولا العذاب.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ طُعْنًا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ١١٦). وقال الله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ (يونس: ٧). وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَسْكَرُكَ نَسْكَرًا يَسِيراً﴾ (يوسف: ٣٤). وإنما يتعلم العلم للعمل، لا للبذل أو لنيل الحظوظ والأهواء، ومن ذكر الموت وما بعده فر من الرياسة والسيادة والمال، ولزم الفقراء، ليفوز بخير المال.

شتان بين مفتي الهدى ومفتي الردى:

المفتي إما أن يكون نوراً ينفع الله به أهل عصره، بما يستبين به من الحق، وهو الذي يرى الحق فوق الخلق، فلا يخاف أميراً في الله تعالى، ولا يخاف مجتمعاً في جانب رسول الله ﷺ وآله، فالأمة إن اجتمعت عليه لا يخافها، والأمراء وإن كرهوه لا يبالي بهم، ما دام مع الحق، وللحق.

وإما أن يكون ظلمه يخفي معالم الحق، فيرضي الخلق ويغضب الحق، وهذا ضل وأضل، وهلك وأهلك، والأولى أن مثل هذا ينصحه العقلاء من الأمة، سترًا لحاله، خشية من أن التشنيع عليه يدعو إلى غضبه، والغضب يخرج عن الاعتدال، وإنا جميعاً نحب الخير لكل مسلم، ولا عصمة إلا بالله، وأي مسلم يرضى بمال يفنى، وجاه يزول، وسيادة تنمحي، ويذكره أخوه المسلم بعذاب الله، وغضب رسول الله ﷺ وآله يوم القيامة، والفضيحة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ولم يقبل؟! لا أحد.

إن الإنسان بين طاعة ومعصية، كما أنه بين صحة ومرض، وفقر وغنى، وعز وذل، ولعل المذنب اليوم يتوب غداً، والله غفور رحيم، والذكرى تنفع المؤمنين، والله تعالى يرشدنا لخير الخيرين، ويدفع عنا الشر والضر.

الفصل الرابع

من أسرار القرآن في السياسة

سياسة أوروبا وأمريكا: ظاهرها إصلاح وفرح...

وباطنها إفساد وترح...

لم تنحصر خيرات الإسلام على المسلمين، بل تعدتهم إلى جميع الأمم، وكان أكثر الناس انتفاعاً بعلوم الإسلام أوروبا الحديثة وأمريكا، فإنهم انتفعوا بعلوم الأندلس واكتشافاتهم التي أسعدت بني الإنسان، بالعلوم التي سلبوها من المكاتب الإسلامية في الحروب الصليبية، وما أخذته نابليون من خزائن الأزهر الشريف، وقد أهمل المسلمون تحصيل تلك العلوم المفيدة، وقضت سياسة الملوك منهم أن يشغلوا العلماء بدرس الأحكام مجردة عن الحكمة، وعن العلوم التي فرضها القرآن من النظر والتدبر والفكر، وعلوم الأخلاق، وعلوم النفس، ومعرفة الله تعالى، وعلوم تدبير الفرد والمثل والمدينة، والمجتمع العام، والعلوم العقلية التي بها فتح كنوز المادة، ومعرفة خواص كل نوع منها، وأنها خزائن للنعم، يفتحها العلم والعمل، وقد فرض الله كل تلك العلوم وأوجبها على كل مسلم في القرآن، قال سبحانه:

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يونس: ١٠١ . قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ الملك: ١٥ . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ ^ط ﴾ التوبة: ١٠٥ . وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ^ظ ﴾ الزمر: ٩ .

فكان المسلم المتمسك بالدين يحيط بكل أنواع العلوم، ويعتقد أنه يجهد من كمال ربه وقدرته وحكمته بقدر ما يجهد من أي علم من العلوم، وكانوا يولون أهل العلم الولايات، فيكون الولي إماماً وقائد الجيش، وطبيباً وعالمًا بسير الأفلاك وتغيير الفصول، وقد نظر وال من الولاة مد البحر، وكان يجهد المد والجذر، فقال: هذه تكفينا صيفتنا، ظنا أنه ماء عذب، فبلغ الخليفة فعزله لجلهه بتأثير الكواكب على البحر ... لم يبلغ الإنسان مقام الشرف والمجد إلا بالإسلام، وقد ترك المسلمون العمل بوصايا الإسلام فذلوا لمن كانوا أتباعاً لهم، وترك غيرهم دينهم فعزوا ورقوا في الأرض لأخذهم بأعمال المسلمين الكونية. وإني على يقين أن تلك الأمم قريباً يظهر لها الحق جلياً فتسارع إلى الإسلام، وكيف لا؟! والإنسان مفطور على حب الحرية والمساواة، ومجبول أن يحكم على الأشياء بعقله، وكلما أظهرت الصناعات والفنون ما كرهه الله للخلق في المادة كلما فكت الأغلال من عنق العقل، فحكم أن الدين الإسلامي هو الدين الحق، وأن ما سواه لا يقبله العقل .

ومن حكم أن الدين الإسلامي لا بحث على تحصيل العلوم كذنبه الحقائق، والواجب على المسلمين في هذا العصر بعد أن شهد أعداء الدين بأحقية، وسارع فيه كثيرون من أمريكا وأوروبا، أن يسارعوا إلى الحق والعمل به، ليكونوا أئمة لمن ستكشف لهم أنوار الإسلام قريباً، بل وليكونوا متمتعين بالحياة الإسلامية الفاضلة، مسارعين إلى نيل السعادة الباقية في جوار الأخيار ممن عملوا بالإسلام ونشروا فضائله وآدابه وأصوله بين الأمم، والأمر سهل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

هذا وما هي العلوم التي عاهاها الإسلام؟ هل هي ما حصلته أوروبا من العلوم التي جعلتهم يتفنون في استعباد الخلق وإهراق الدماء، وحرمان الأمم من مرافق الحياة، وسياسة ظاهرها إصلاح وفرح، وباطنها إفساد وترح، مما حكم بوحشيته كثير منهم، وقامت أحزاب تقبح هذا العمل وتثبت أنه نهاية الظلم والطغيان؟ إن كان القائل بمعادة الإسلام العلم يرى أن الإسلام عدو تلك السياسة فصدق، لأن الإسلام أسس على الرحمة، فإن لم تتيسر فعلى العدل والإيثار والتعاون على الخير، بعد توحيد الله وشكره على نعمه، والمساعدة إلى تحسين الفضائل النفسانية، ومن ظن أن الإسلام عادي علماً من العلوم النافعة، أو فتناً من الفنون المفيدة للعامة، أو صناعة تجعل الإنسان يعيش مستريحاً، فقد جهل الإسلام، أو كذب على الحقائق، والجاهل إذا حكم فحكمه عائد عليه، والعدو إذا حكم فشره راجع إليه، قال تعالى: ﴿لَا

يَحِيْقُ الْمَكْرُ إِلَّا يَأْهْلِكُ﴾ فاطر: ٤٣.

وقال العربي:

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرِيٍّ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

الغرب يملك أما بالقهر أو السياسة الباطلة:

اعلم أن راكب الأسد مهيب، وقلبه يحترق خوفاً، لأنه يحرص على ما اعتاده من تعظيم الناس له، وما فاز به من تحصيل أمواهم، ولا يأمن صولة الأسد التي تمزق عظامه، لأنه عدوه وغداؤه، فلا هو يصبر عما اعتاده، ولا هو آمن على حياته. كذلك من ملك من ليسوا له وليس منهم، واستعان بهم بالقوة القاهرة أو بالحزم والسياسة فإنه وراكب الأسد سواء، يهابه الناس جميعاً بما له من القوة والعدد والعدة، وعدده وعدته وقوته هي في الحقيقة عليه لا له، وعزه هذا ذل، ولذته ألم.

والأجسام إذا مرضت كرهت الخلو من الطعام، وتلذذت بالمر منه، فكذلك النفوس لها أمراض تتلذذ فيها بالسيادة التي تناها بقهر الخلق، ومعصية الحق، وكل سيادة تنال بالظلم يعقبها العذاب والهلاك. قال ابن المقفع: اعلم أن الملوك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى .

فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم، وكان دينهم هو الذي يعطيهم الذي هم، ويلحق بهم الذي عليهم، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم بمثلة الراضي في الإقرار والتسليم. وأما ملك الحزم فإنه يقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن والسخط، ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوى. وأما ملك الهوى فلهو ساعة ودمار دهر .

إنما الملك من ملك بالدين، ولا دين إلا ما وسع العالم عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً، فإن المجتمع إذا عومل بالدين خضع قلباً وقالباً، لأنه يرى خضوعه للحق لا للخلق، ويرى أن الملك الحقيقي هو الله تعالى، وأن هذا الإنسان الجالس على سرير الملك إنما هو منفذ لما يحبه الله، فيسعد به جميع الخلق، وليس ثمة دين استوفى كتابه المقدس، وبيان الرسول الذي جاء به جميع ما لا بد منه للفرد والمجتمع عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً وتديباً للنفس والمجتمعات على ملاءمته لكل زمان ومكان من حيث استنباط الأحكام لكل الحوادث التي يقتضيها رقي الإنسان إلا دين الإسلام، وهذا حكم سلم له العقل، فإن الأديان قبل الإسلام محصورة في التوراة والإنجيل، وسفر التالوث في التوراة قاصر على ما يتعلق بالأحوال الشخصية غير مستوفي ما لا بد للفرد منه، وللعائلة والمجتمع في كل الأنواع التي لا بد منها لبني الإنسان .

أما غير هذين الكتائين فكانت عقائد باطلة، وأحكام بالهوى والخط، حتى جاء الإسلام وعامل الناس بمقتضى الحق، فسعد العالم أجمع به، وإن أساس قوانين فرنسا وغيرها مأخوذ من مذهب الإمام مالك فيما يتعلق بالقسم المدني، فكيف يمكن أن يذل مجتمع يعلم حق العلم أن له ديناً بين له سبل الخيرات في الدنيا والآخرة، ويسر له سبل السعادتين إذا حافظ على العمل به، ثم يذل لقوة ملكته بالقهر أو بالسياسة تحكم عليه بغير دينه الحق بضوابط وضعتها لا تسكن إليها النفس، ولا يطمئن لها القلب، ولا يستريح بها الجسم، ويا ليتهم لما أن تسلطوا هذا التسلط حفظوا للناس دينهم وعوائدهم، وجعلوهم أحراراً في بلادهم، ولكنهم تدخلوا فغيروا الدين والعوائد والصناعات والفنون، وكيف بعد ذلك يدوم الملك أو يصفو؟! .

فائدة علم سياسة المجتمعات:

المؤمن يزيد إيمانه وينقص كما هو معلوم، وإنما مزيد الإيمان يكون بقدر ما ينبلج للقلب من نور البرهان، وسطوع نور الدليل، والحكمة العملية التي منها الصناعات لا يمكن أن ينتفع الإنسان بها نفعاً عاماً إلا بعد أن يعلم خواص كل مادة من مواد عناصر الكون، ويعلم خواصها منفردة ومزدوجة ومتحدة، وما ينتج منها متحدة ومنفردة، فإذا ظهر للمسلم خواص الأشياء التي تحيط به وقدر منافعها له واحتياجه إليها، علم حق علم العلم أن الذي خلق تلك الأشياء حكيم قادر لأنه سبحانه وتعالى خلقها مؤهلة لنفعه، وخلقها محتاجاً إليها، معتقداً أن وجودها ليس عبثاً، ولديها تنبلج له أنوار الآيات بعد علم الخصوصيات، فيشهد في كل شيء آية دالة على قدرة القادر البديع وحكمة المبدع العليم، وتدبير المبديء المعيد ويفقه سر قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجن: ١٣] . ويعلم قدر النعمة عليه بالعقل الذي به استخدم كل شيء سخره له مولاه، فإذا قرأ القرآن بعد هذا العلم كان كأنه يسمعه من ربه، وإن أكثر آيات القرآن حائاة على الفكر والنظر والعبرة والتبصرة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: (كُنَّا نَتَعَلَّمُ الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ أَزْدَدْنَا إِيمَانًا) وأصبحنا نحن الآن نتعلم القرآن قبل الإيمان. فالحكمة العملية التي منها تدبير النفوس منفردة ومجتمعة وعلم سياسة المجتمعات وفنون الصناعات به يزيد الإيمان .

السياسة الحكيمة من أنواع التقوى..

والسياسة الغشيمة هي الخديعة..

التقوى: خوف يهجم على القلب يجعله يراعي الأدب خشية الوقوع في الغضب .

والتقوى لغة: هي الوقاية من الوقوع فيما يضر دنيا أو ديناً . وهي ، أربعة أنواع :

تقوى النار، وتقوى اليوم، وتقوى الرب، وتقوى الله تعالى . قال سبحانه : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ ﴾ البقرة: ٢٤ وقال تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ﴾ البقرة: ٢٨١ وقال جل جلاله ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتَقُوا رَبَّكُمْ ﴾ النساء: ١ وقال عز وجل ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ البقرة: ٢٧٨ وهناك تقوى أخرى: وهي السياسة الحكيمة التي يراعيها أهل الرحمة في أخلاقهم ومعاملتهم لدوام الصفاء ومداراة للناس — أما السياسة التي هي الخديعة والكيد فهي من أخلاق الشياطين، وكم دمرت مدنًا. وأبادت أُممًا . حفظنا الله من شرور أهلها، وتقوى كل مسلم بحسب مقامه فهي عند العصاة التوبة النصوح . وعند العلماء : الخشية من الله تعالى . وعند أهل مقام الإحسان : مراقبة جلال الله تعالى وعظمته سبحانه حتى يكون المتحقق بمقام الإحسان كأنه في معية الله تعالى يراه حقيقة أو يعتقد أن الله يراه، ومسلم يعتقد أن الله معه بعلمه وسمعه وبصره كيف يغفل عن ذكره أو يتعدى حدوده .

السياسة الخرقاء:

المظاهرون في الأصل: هم الذين يشجعون ويعينون دعاة التفرقة . أو يعينون الذين يباشرون الضرر للمسلمين بأنفسهم والله تعالى حكم على الذين يظاهرون أهل الشر بما حكم به على من يباشر الضرر للمسلمين نصرة لأعداء الله، لأن الذين يظاهروهم مكنوهم من تفرقة المسلمين ومن تسليط العدو عليهم . ولو أن الحاكم المسلم ظالم، فإن أعداء الله ورسوله، إذا تمكنوا من المسلمين وأظهروا أنهم مصلحون . فذلك من السياسة الخرقاء التي بها يخدعونهم، حتى إذا استضعفهم سلبوا منهم دينهم وعوائدهم ومرافق حياتهم، كما فعلت روسيا في بخارى

وخوقند وسييريا، وكما فعل الإنجليز في الهند وجاوا وسومطرا والسودان، وفي مستعمراتهم في أواسط وجنوب وشواطيء إفريقيا، وكما فعلوا في عدن ونجد والعراق، وكما فعلت فرنسا في مراكش والجزائر وتونس .

وكما فعلت إيطاليا في طرابلس وإرتريا، وكما فعلت اليونان في تراقيا، وكما فعل الإنجليز في مصر بعد أن كان المجتمع الإسلامي يمثل رجلا واحداً كل فرد منهم كعضو واحد في الجسد لقوة رابطة الإخاء الإسلامي، فأصبحت الأمة بالتفرقة مستعبدة بسبب مظاهرتها لعدوها ديناً بعد قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١ بعد أن كان فوق رأس هذا المجتمع خليفة يمثل رسول الله ﷺ ص وآله أصبح المجتمع الإسلامي عزيز لكل جماعة ملك يعينه من كانوا عبيداً يباعون في أسواق المسلمين بل في زمان العثمانيين الأول .

السياسة العوجاء:

جاءت الحروب الصليبية في زمان تفرقة المسلمين وتكالب الإفرنج على المسلمين في الشرق، وكانت تلك الحملة سبباً في يقظة قلوب المسلمين ورجوعهم إلى العمل بالكتاب والسنة، فنصرهم الله على أهل الصليب، ووقع ملك فرنسا وملك الإنجليز في الأسر بمصر، ومن بعد ذلك أخذ الإفرنج يكيدون لنا في الخفاء ونحن ساهون لاهون، حتى كانت مصيبتنا في الأندلس، فأخذوا يستعملون الدسائس والكيد والسياسة العوجاء فتمكنوا من الشرق بصيغة أنهم مصلحون، فلما أن تمكنوا، لا أين لك ما بعد ذلك لأن العداوة للدين وأهله أصبحت علناً . انظر إلى فلسطين

وإلى مصر وإلى الشام وإلى وإلى وإلى، ترى الإفرنج أوقعوا العداوة والتفرقة بين أفراد كل أمة فترى في مصر حرباً عواناً بين المصريين وبعضهم، وترى أصحاب القوة من المصريين يفتخرون بصدافة الإنجليز، ثم انظر إلى مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ترى شراً من ذلك، فترى السلطة بيد الإفرنج والتنفيذ بيد أصحاب الدولة من الأمة، وترى المنافقين من المسلمين يسارعون في الإفرنج، بل انظر إلى أقرب مكان منك وهو السودان، فترى السواد الأعظم من السودان كما رأيت يحبون الله ورسوله حبا ملك عليهم قلوبهم، ومع ذلك فلا تخلو كل أمة من أهل النفاق، وإن في الغيب لبركاناً لو انفجر لأحرق هؤلاء المنافقين المدعين الإسلام قبل أن يحرق غيرهم، قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٢١.

العقل: لسياسة المجتمعات لا للغيب المصون:

ولنا أن نقول للعقل اسجد خاسئاً، فإنك لا سلطان لك على ما وراء الكون، ولا اطلاع لك على ما في قلوب الرسل من العلم بالله بل ولا على قلوب أهل العلم بالله تعالى، فإن الله تعالى خلقك لتكون ميزاناً للشئون الكونية فقط، في تدبير أمور الناس وسياسة المجتمعات، واختراع الصناعات وإتقان الزراعات . والتجارات والانتفاع بالبر والبحر . وليس لك أن تطلع على الغيب المصون . إن الخليل عرف نفسه وعرف ربه فهو في نظره بالنسبة لله خطاء مسيء مهما تقرب؛ لأنه ينظر إلى عظمة وكبرياء وجلال وجمال وبهاء وضياء ونور وكمال الله تعالى، وأنت أيها العقل تنظر إلى كون وإلى تدبير شئونه فسلم تسلم .

واعلم أن أقرب قربات الرسل يلزمهم عليها أن يتوبوا إلى الله تعالى ويستغفروا كما تجب التوبة على العصاة، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ الصافات: ١٦٤ وليس من استدل على وجود الله بخلقه كمن استدل على وجود الخلق بالله تعالى فأهل المقامات العالية عرفوا الخلق بالخالق، وأهل العقول عرفوا الخالق بخلقه، وشتان بين من محل نظره وجه الله تعالى فلا يغيب عن الله ولو غاب الكون عنه وبين من محل نظره الكون فإنه إذا حل به خيرا أو مصيبة شغل عن الله تعالى لأنه ما عرف الله إلا بالكون المحسوس .

أنواع سياسة المجتمعات:

قوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ البقرة: ١٥١ ذكر التعليم بعد التزكية وبعد تلاوة الآيات، ليعلمنا الله تعالى كيف نعلم الناس، فنبتدىء أولاً بتلاوة الآيات، ثم نقدم الوسائل التي بها تزكو نفوسهم، ثم نأخذهم بالعلم على قدر عقولهم، حتى يحصلوا من العلم ما به تخشى قلوبهم من الله تعالى، والكتاب هو القرآن المجيد، وتعليمه كشف أسرارهِ وبيان حكمه، وعلم الهيئات في الأحكام الدالة على العبادة بتفصيل المجمل منها بالعمل، حتى تكمل النفس ويكمل الجسم : ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ الحكمة هي أقوال رسول الله ﷺ وأعماله وأحواله التي يتذوقها من سمعوا التلاوة وزكت نفوسهم، وتعلموا الكتاب .

والظاهر عندي أن بلوغ الكمال المطلوب في نيل الفوز برضوان الله تعالى مرتب على تلك الحقائق . وإن كانت الواو لا تقتضى ترتيباً ولا تعقيماً وقد سبقت تلك الآية في دعوة الخليل عليه السلام فكانت كلمة : ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ في آخرها، ولكن تلك الآية هي من كلام الله تعالى وليست خبراً عن غيره كالأية السابقة التي هي

خبر عن الخليل إبراهيم عليه السلام، والحكمة التي يعلمنا إياها رسول الله ﷺ وآله عليهم السلام هي الحكمة النظرية، التي بها تقوى النفس بعد طهارتها فتسوح في عالم الملك والملكوت، وقد تشرف على حضرة العزة والجبروت . والحكمة العملية وهي الجامعة لهيئات العبادات صلاة وصوما وزكاة وحجاً، وبذلك يكون المسلم خليفة ربه في أرضه، يقوم لله بما فرضه عليه من أركان الإسلام، ومن حسن المعاملة والمبادلة، ومن جمال الأخلاق، فيكون غيثاً هاطلاً على الأرض لينفع إخوته المؤمنين، ولتجديد السنة، وإعلاء الكلمة بما منحه الله من العلوم والصناعات والفنون، وسياسة المجتمعات الأربعة المتزلية، والقروية، وسياسة المدن والمجتمع الإسلامي العام.

السياسة الحكيمة:

إن الله تعالى علم الأنبياء الصناعات وعلموها لأممهم، فعلم آدم الزراعة وعلم أولاده في زمنه تربية الحيوانات، وعلم نوحا النجارة، وعلم إدريس الحياكة، وعلم إبراهيم الحكمة النظرية، وعلم موسى الحكمة العملية، وعلم داود الحدادة، وعلم عيسى الطب، وجمع لخاتم الأنبياء كل الصناعات الجسمانية والروحانية فعلمه رعى الدواب صبيا والتجارة شابا، والزراعة، وعلو المهمة في إتقان الصناعات الضرورية والكمالية، فكان ﴿ص وآله﴾ طبيا رفيقا وعلمه السياسة الحكيمة في تدبير المنزل والقرية والمدينة والمجتمع العام وعلمه ﴿ص وآله﴾ أكمل سياسات الجهاد، وفوق ذلك علمه ﴿ص وآله﴾ علم الغيب المصون الذي به الفوز بالملك الكبير في جوار رب العالمين ، وعلمه سبحانه ما به كمال الأشباح حتى يكون الإنسان عالما أصغر ينطوى فيه العالم الأكبر، فكان بما تفضل الله به عليه ﴿ص وآله﴾ الحقيقة التي جعلها الله تعالى بما يحبه ويرضاه من خلقه، وبما ينال به الخلق كمال النعمة ودوام المسرات ، وكأن الله تعالى يقول : إن حبيبي محمداً ﴿ص وآله﴾ جعلته بما أحبه من خلقى عقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملة وأحوالاً، وكلفت عبادى أن يطيعوه فيما أمرته به بقدر استطاعتهم، وأن ينتهوا عما نهاهم مرة واحدة إلا ما أكرهوا عليه.

السياسة القويمة والسياسة العقيمة:

قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾ قال عمران: هـ
المكر: هو الإقدام على الشر خفية إذ هو إجماع الرأى و إحكامه و حسن التدبير في نجاح المقصد : و قد يطلق و يراد به إجماع فئة مخصوصة تعمل خطيئة مخصوصة في دجوة من الليل لا يعلم بها أحد للفوز بالمقصد، و بذلك يكون هذا العمل هو

السياسة التي يراها الناس من الكياسة والعقل . وعندى أنها كذلك إذا كان الذين يمحرون يريدون بمكرهم تنوير أفكار الأمم أو المجتمعات أو خيرا لا تسعد الأمة إلا به، ويكون الماكرون ممن ملأ الله قلوبهم رحمة وميلا إلى الخير، وهذا هو السياسة القويمة والمكر الحسن وهو كياسة الأنبياء والأئمة الهداة المرشدين. أما المكر الخبيث و السياسة العقيمة المعوجة التي يراد منها سلب منافع الأسرة أو القرية أو المدينة أو الأمة فهذا المكر كله شر و تلك كلها ظلم تدل على أن المسارعين إليها من شياطين الإنس الذين يوحى إليهم شياطين الجن .

الحرب حكمة وسياسة:

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ ﴾ المائدة: ٢٣. الفاء للفيضة أي: إذا كمل إيمانكم وقوى تصديقكم بالله تعالى؛ وسارعتم إلى إطاعة أمره؛ ودخلتم عليهم الباب - حصرتموهم في مكان ضيق قبل أن يخرجوا لكم في الصحراء حيث المتسع - أزعجتم قلوبهم بدخولكم، وأفزعتموهم فزعا يجعلهم يتخبطون في أعمالهم فيعجزون عن الالتحام بكم، وبذلك تكون لكم الغلبة عليهم. والحرب حكمة وسياسة، وفوق هذه الحكمة نصر الله الذي بشركم به، وكل جيش يجاهد في سبيل الله مؤيدا بنصر الله تكون له العاقبة، وعلى عدوه الذل والهوان

سياسة الرفق وسياسة الفتك:

قوله تعالى : وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ المائدة: ٥٨ الإشارة هنا عائدة إلى ما وصف الله به الكفار من سوء فعلهم مع رسول الله ﷺ من اتخاذ النداء إلى الصلاة هزوا ولعا، واتخاذ الصلاة أيضا أي: ذلك العمل الذي يعملونه بالاستهزاء واللعب دليل على أنهم لم يتعقلوا آيات الله، ولم يفهموا أسرارهم، لأنهم لو كانوا يعقلون لسارعوا إلى الإيمان بالله، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لقيام الحجة ووضوح الحجة؛ وأي عقل من العقول يسمع كلام الله أو يرى معجزات رسول الله ﷺ ولا يُقبل بكليته على الله سميعا مطيعا؟! فدل استهزاؤهم بالإسلام على فقد العقل منهم. ومن ظن أن الإفرنج أو العرب أو العجم غير المسلمين لهم عقل فقد جهل الحقائق، حيث لم يقيم دليل على ثبوت العقل لهم، وإن الصناعات والمخترعات التي

اخترعوها والسياسات التي وضعوها إنما هي ضرورة للإنسان بحسب هيئته واستقامته، فإن كل نوع من أنواع الحيوانات له سياسة خاصة ومجتمعات خاصة، وتعاون على جلب المنافع خاص. ولما كان الإنسان أكمل تلك الأنواع، لزم - بحسب ما أودعه الله فيه، وخلق له لأجله - أن يتميز عن الأنواع الحيوانية بفكر على قدر نوعه، وعمل على قدر جوارحه، واختراع على قدر عقله، فإن أنواع الحيوانات لكل نوع منها خصوصية؛ فمنها ما يبني البيوت على أعالي الشجر، ومنها ما يبنيهما في جوف الأرض كالنمل والجردان (الفيران)، ومنها ما يبنيهما في الجدران وفي السقف كالنحل والزنابير، ومنها أنواع برية وبحرية، وهي الحيوانات التي تعيش في البحر والبر فتبنى لها خنادق بين البر والبحر من فروع الأشجار التي تقطعها بعضو فيها كالمنشار، ثم تبنيها كالنجار الذي يصنع الخندق، فإذا جاءها الصياد من البحر خرجت إلى البر، وإذا جاءها من البر خرجت إلى البحر، وهذا العقل موهوب لها لسلامتها.

وهناك حيوانات تقف موقف الحرب مع بعضها ولها قواد ورؤساء فتقاتل بعضها، أو نوعا آخر من الحيوانات الأخرى في جزائر البحر المندى، وهناك نوع ينظم مجتمعه وله ملك ووزراء وقواد وجوش وهو النحل. وهناك نوع آخر له مملكة منتظمة ولها ملك يحركها كيف يشاء وهو الطير الذي يسمونه في مصر: الأوز العراقي.

فالذي خلق لتلك الأنواع كلها هذا العقل المدبر - وهي لا تعقل عنه شيئا من دينه ولا كماله ولا بئانه ولا ضيائه - هو الذي خلق للإنسان هذا العقل الحيواني الذي يخترع به ما اخترعه من آلات وأدوات طار بها في الجو، وغاص بها في البحر، وجرى بها على قضبان من حديد، واختراع سياسات كسياسات الثعالب أعد لها أسلحة وطيارات ودبابات مسلحة بما اخترعه من آلات جهنمية. كما خلق الله للحيوانات أنيابا ومخالب وجراة وشدة، وكذلك خلق للإنسان هذا العقل وأغناه به عن الناب والمخلب والشدة والقوة والضخامة، فاخترع به ما به يحصل قوته وأمنه ويحفظ عافيته، كما يفعل الإنسان. وقَّح الله الإنسان فإنه بما خلقه الله له بالنسبة لحالته لا يكفيه قوت اليوم، بل ولا قوت السنة، فهو يجمع المال معتقدا أنه مخلص إلى الأبد، لا يقنعه قوت سنة، لا، ولا قوت ألف سنة جهلا منه بحقيقته، أما ما عدا الإنسان من الحيوانات فإنها تكتفى بقوت الوقت إلا أنواعا سافلة جدا كالنمل والجردان فإنها تخزن قوتها مدة الشتاء، فالإنسان الذي لا يعقل عن الله أسرارَه أضل من البهائم، وأشر من الشيطان، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ عن الله تعالى، ففنى سبحانه عنهم العقل الذي يعقل عنه جل جلاله، وإن لم ينف عنهم العقل الذي يعقل عن الكون يعقول البهائم السائمة، والوحوش الكاسرة، والثعالب الخادعة.

ومن تأمل في النحل وفي تدبيره وحكمته، وفي دقة صنعته وهندسته في مساكنه، وفي تعاونه على النفع العام؛ وكان مهندساً سياسياً حكيماً؛ علم أن النمل خير من الإنسان في كل أدوار معيشته، وأن الإنسان لم يمنع عقلاً يكسبه رحمة ورفقا كما خلق الله للنمل، فإن النملة إذا رأت نملة أخرى في شدة حَمَلَتَهَا، فإن لم تنطق فرت إلى بيت النمل فأحضرت لها غملاً يحملها. أما في رعايتها مصلحتها الصحية؛ وبقاء حفظ ذخايرها - وهذا أمرٌ فوق العقول - بل وفي احتياطها لحفظ مساكنها من الغرق والشرق؛ بل ومن الهدم بسبب مرور الناس عليها فذلك عجب في عجب، وقد توسع في ذلك العلماء. انظر إلى هندسة النحل ولما أتقنه من الأشكال المسدسة، حتى يعجز أكبر مهندس أن يرسمها، وفيما خلقه الله فيها من المعمل الكيماوى الذي به تخرج فتلتقط رطوبة على أزهار النباتات، ثم تعود به فتطبخه عسلاً مصفى قائماً بمادة شمعية، في بيت على شكل مسدس يحيط بنحلة مولودة فيه ليغذوها بدل اللبن حتى يتم نموها، فسبحان الحكيم القادر الذي أظهر عجائب قدرته وغرائب حكمته في أنواع الحيوانات، وفيما أعده لها للحفظ والغذاء والنمو، وما أودعه فيها من العقل والسياسة والحكمة مما أعجز الإنسان. وليست المخترعات ولا أنواع الصناعات ولا القوة في تنفيذ السياسات بدليل على العقل الذي يعقل عن الله، ولا يدل على العقل الذي يعقل عن الله إلا الإيمان بالله وبرسوله ﴿ص وآله﴾، والمسارة إلى العمل بمحاج الله ومراضيه، لأن الله نفى العقل الذي يعقل عن أهل الكفر به، فمن قال إن أهل أوربا - الذين اخترعوا محو بنى الإنسان بالحديد والنار، وطاروا في الجو لاستبعاد خلق الله، وغاصوا في البحار لسلب مرافق العباد - عقلاء، فقد أثبت لنفسه الجهل بالله وبحقيقة نفسه.

حقوق أهل الذمة المواطنين للمسلمين:

وهنا سأل سائل: هل النصرارى واليهود والمشركون المواطنون للمسلمين في بلادهم يجب أن نحذرهم كما نحذر الإفرنج المتسلطين بقوتهم المادية على بلاد الشرق، فأجاب عليه السلام: إن النصرارى واليهود المواطنين لنا من أهل ذمتنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا إلا إذا خالفوا العهود والمواثيق بنصرتهم أعداء المسلمين أو بالظعن على الدين أو بكشف عورات المسلمين للأعداء، فإننا نبرأ منهم ونلزمهم بالرجوع إلى ما عاهدونا عليه، أو نوجب عليهم الخروج من وطن المسلمين، فإن خيانة أمثال هؤلاء لا يستهان بها لأنهم شر من العدو الخارج، وقد حذرنا الله منهم جميعاً، أما أعداء الله وأعداؤنا من أهل الكتاب والمشركين فإن الواجب علينا الوفاء لهم بما

عاهدناهم عليه، فإن جاسوا خلال ديارنا وطعنوا في ديننا فالواجب على المسلمين أن يكونوا يداً واحدة على عدوهم، فإن تفرقوا في مثل هذا الحال وتركوا العمل بأحكام الدين فالحكم الشرعى في هذا على المستضعف أن ينكر بقلبه، وأن يكون إما متحيزاً إلى فئة أو متحرفاً لقتال، فإنه يكون ناجياً . أما من رضي احتلال الأعداء وسارع فيهم أو تولاهم، فالحكم الشرعى أن من فعل ذلك يكون كافراً بالله ورسوله ﴿ص وآله﴾ وتكون زوجته حراماً عليه بصريح نص القرآن في قوله

تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ

الْأَذْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى

فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ ﴿الأنفال: ١٥ - ١٦﴾ وقال تعالى:

﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۖ﴾ المائدة: ٥١ . وقال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تَلْقُوتُ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ ۖ﴾ الممتحنة: ١ . فالنجاة في هذا الزمن وقد

تغلب الأعداء فجاسوا خلال ديار البلاد الإسلامية وأعانهم على ذلك أهل ذمتنا من اليهود والنصارى، وأعانهم المنافقون من المسلمين، حتى أخذوا علينا البر والبحر :

إذا حصل كل هذا فالواجب علينا أن نتحرف لهجرة أو قتال، أو نتحيز إلى فئة

قوية تدفع عنا أعداء الله وأعدائنا مع البغض الشديد بما يتزل بالمسلمين : وهنا تسن

المدارة شرعاً باللسان مع طمأنينة القلب حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً وبذلك

ينجو المتحصن بتلك الحدود .

علم السياسة وعلم النواميس:

قوله تعالى : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ^ع وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ البقرة: ٢٦٩ (يُؤْتِي

الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ^ع) بينت لك فيما سبق أن الإيتاء: إعطاء النعم للمعطى له لينتفع بها هو وغيره، بخلاف الإعطاء كما قال تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ^ع) أى يهب الحكمة لمن يشاء لينتفع هو ومن يشاء الله أن يمنحهم الحكمة، والحكمة هى استكمال النفس الإنسانية لتحصل ما عليه الوجود في نفسه، وما عليه الموجد جل جلاله، حتى يكمل العبد بالحكمة فلا يعمل إلا ما ينبغى، ويترك ما لا ينبغى لتصير كاملة مضاهية للعالم الروحانى، وتفوز بذلك بالسعادة القصوى الأخروية بحسب الطاقة البشرية، وهى تنقسم بالقسمة الأولى إلى قسمين :

(١) لأنها إن تعلقت بالأمور التى نصدق بها ونسلم بها وليس لنا أن نعملها سميت حكمة نظرية، كالعلم بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وبسر إيجاد الخلق وإمدادهم، وبسر القدر والنبوة والرسالة والولاية، وبالمؤمن به من المغيبات عنا وأخبار يوم القيامة .
(٢) وإن تعلقت بالأمور التى لنا أن نعلمها وأن نعملها سميت حكمة عملية .

و كل من الحكمتين منحصر في أقسام ثلاثة :
أما النظرية فلأن ما لا يتعلق بأعمالنا إما ألا تكون مخالطة المادة شرطاً لوجوده أو تكون، وحينئذ إما ألا تكون تلك المخالطة شرطاً لتعلقه أو تكون فالأول : وهو ما لا تكون مخالطة المادة شرطاً لوجوده، هو العلم الإلهى وهو العلم الأعلى، والثانى : وهو أن تكون المخالطة شرطاً لوجوده دون تعلقه وهو العلم الرياضى وهو العلم الأوسط . والثالث : وهو أن تكون المخالطة شرطاً لوجوده وتعلقه،

وهو الطبيعي كعلم المعادن والنباتات والحيوانات والطب والفلك والصنائع وهو العلم الأسفل .

و أما العملية فلأن ما يتعلق بأعمالنا :

(١) إن كان علما بالتدبير الذي يختص بالشخص الواحد فهو علم الأخلاق.

(٢) وإلا فهو علم تدبير المنزل إن كان علما بما لا يتم إلا بالاجتماع المنزلي.

(٣) وعلم السياسة إن كان علما بما لا يتم إلا بالاجتماع المدني .

ومبادئ هذه الثلاثة من جهة الشريعة الإلهية .

وفائدة الحكمة الخلقية أن يعلم الفضائل، وكيفية اقتنائها، لتتزكى بها النفوس، وأن يعلم الرذائل وكيفية الوقاية منها لتطهر منها النفوس، وفائدة المنزلية أن يعلم المشاركة التي ينبغى أن تكون بين أهل منزل واحد لتتنظم بها المصلحة المنزلية التي تتم بين زوج وزوجة، ووالد ومولود، ومالك ومملوك، وفائدة المدنية أن يعلم كيفية المشاركة التي تقع بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان، ومصالح بقاء نوع الإنسان . والمدنية قد قسمت إلى قسمين:

(١) إلى ما يتعلق بالملك والسلطنة، ويسمى علم السياسة .

(٢) وإلى ما يتعلق بالنبوة والشريعة، ويسمى علم النواميس . لهذا جعل بعضهم أقسام الحكمة العملية أربعة وليس ذلك بمناقضة لمن جعلها ثلاثة لدخول قسمين منها تحت قسم واحد. ومنهم من جعل أقسام النظرية أربعة بحسب انقسام المعلومات .

فإن المعلوم إما أن يفتقر إلى مقارنة المادة الجسمية في الوجود العيني أولا . والأول إن لم يتجرد عنها في الذهن فهو الطبيعي ، وإلا فهو الرياضى ، والثانى إن لم يقارنها البتة كذات الحق سبحانه وأسمائه وصفاته سبحانه فهو الإلهى، وإلا فهو العلم الكلى.

والحكمة الأولى كالعلم بالوحدة، والكثرة، والسبب، والمسبب، وأمثالها مما يعرض للمجردات تارة، وللأجسام أخرى، ولكن بالعرض بالذات، إذ لو افتقر بالذات إلى المادة الجسمية لما انفكت عنها، ولما وصفت المجردات بها. ولا منافاة بين التقسيمين كما عرفت فهذه جملة أقسام الحكمة. ومن استكمل نفسه بها فقد أوتى خيرا كثيرا .

وجائز أن تكون الحكمة ها هنا الإصابة في الرأي أو النبوة أو القرآن أو السنة أو العلم، فإن لفظة الحكمة وردت في آيات كثيرة في القرآن . بمعنى السنة، أو بمعنى العلم، أو بمعنى الإصابة في الرأي، أو بمعنى وضع الشيء في موضعه. وجائز أن تكون الحكمة بكل تلك المعاني يمنحها الله لمن يشاء فيكون سيد العالمين، فإنها بكل تلك المعاني منحت لرسول الله ﷺ وقد تفضل الله فمنح كل عبد أحبه قسطا منها، وقد يجمعها سبحانه لأهل الاصطفاء من خاصة خلقه، فتنتوى الرسالة والنبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه، ويحاسب يوم القيامة حساب الأنبياء .

الله تعالى علّم رسوله ﷺ الكتب السماوية والسياسة الملوكية:

قوله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ آل عمران: ١٠٥ أي : من بعد أن جاءكم الأدلة، والحجج والبيانات الموضحة للحقائق على لسان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، مما أنزله الله تعالى في كتبه السماوية. ومن أجل تلك البيّنات ما أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى وعيسى من إثبات نبوة محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء، أي لا نبي بعده، وأنه يأتي مصدقا لجميع الرسل من قبله. وما أنزله عليه من أخبار الرسل السابقين، مما لا يعلمه إلا أحبارهم، والرهبان من النصارى، فلا يعلمه عامة اليهود ولا النصارى . فكيف يحيط رجل عربي نشأ في جاهلية عمياء

صماء، لا علم له بالكتب السماوية، ولا بالسياسة الملوكية؟! وتلك الأسرار مما كتمه علماء اليهودية والنصرانية وغيره، مما في التوراة والإنجيل، ولكن الله كشف الستر عنهم، وأوحى إلى حبيبه ومصطفاه ﴿ص وَآلِه﴾ فأبَت نفوسهم الخبيثة وأطماعهم الدنيئة إلا أن يجحدوا وينكروا، حرصا على السیادات والریاسات . والله تعالى في هذه الآية يوقظ قلوبنا إلى أن نحافظ على أنفسنا من أن نقع فيما وقع فيه الأمم السابقة. لأن الله تعالى بين لنا كل البيان، حتى قامت الحجة، ووضحت المحجة على ما جاء به سيدنا ومولانا ﴿ص وَآلِه﴾ ومن وقع فيما وقع فيه الأمم السابقة بعد تلك البينات الجلية، حكم عليه بما حكم الله به على من تفرقوا واختلفوا من سبقنا. وهذا الحكم هو ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران: ١٠٥.

الفائدة الدينية من علم سياسة المجتمعات:

المؤمن يزيد إيمانه وينقص كما هو معلوم، وإنما مزيد الإيمان يكون بقدر ما ينبج للقلب من نور البرهان، وسطوع نور الدليل، والحكمة العملية التي منها الصناعات لا يمكن أن ينتفع الإنسان بها نفعاً عاماً إلا بعد أن يعلم خواص كل مادة من مواد عناصر الكون، ويعلم خواصها منفردة ومزدوجة ومتحدة، وما ينتج منها متحدة ومنفردة، فإذا ظهر للمسلم خواص الأشياء التي تحيط به وقدر منافعتها له واحتياجه إليها، علم حق علم العلم أن الذي خلق تلك الأشياء حكيم قادر لأنه سبحانه وتعالى خلقها مؤهلة لنفعه، وخلقها محتاجاً إليها، معتقداً أن وجودها ليس عبثاً، ولديها تنبج له أنوار الآيات بعد علم الخصوصيات، فيشهد في كل شيء آية دالة على قدرة القادر البديع وحكمة المبدع العليم، وتدبير المبديء المعيد ويفقه سر قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ الجاثية: ١٣ ويعلم

قدر النعمة عليه بالعقل الذي به استخدم كل شيء سخره له مولاه، فإذا قرأ القرآن بعد هذا العلم كان كأنه يسمعه من ربه، وإن أكثر آيات القرآن حاثّة على الفكر والنظر والعبرة والتبصرة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿كُنَّا نَتَعَلَّمُ الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ وَإِذَا قرَأْنَا الْقُرْآنَ أَزْدَدْنَا إِيْمَانًا﴾ وأصبحنا نحن الآن نتعلم القرآن قبل الإيمان. فالحكمة العملية التي منها تدبير النفوس منفردة ومجتمعة وعلم سياسة المجتمعات وفنون الصناعات به يزيد الإيمان .

رجال الرأي:

إن الأمة إذا وقفت أمام عدو قوي زهد أفراد الأمة فيما لهم من الكمالي رضاء بالضروري، حرصاً على نيل ما لا تقوم الحياة إلا به من الإرادة والحرية التي خلق الله الإنسان مجملًا بها، لتستفيع الأمة بآراء أهل الرأي، وفقه أهل الفقه، وصناعات أهل الصناعة، وشجاعة الشجعان، وسياسة الساسة، فتكون الأمة كالجسد الواحد كل فرد منها ككل عضو، وجميعها كالجسد الكامل. ولما كانت سعادة الأمة متوقفة أولاً وبالذات على آراء أهل العقل والحصافة الخنكين، الذين خبروا الدهر، وعلموا العلل والبواغث والأغراض التي تعمى الأبصار والبصائر عن الحق، وعرفوا حق المعرفة ما للنفوس الإنسانية من الزوع إلى الاستثثار بالخير، من نفوذ الكلمة، ووفرة المال، وكثرة الأنصار، ثم فهموا حق الفهم قصود الأعداء وخفي دسائسهم، وتريصوا الفرص التي تمكنهم من الغيرة لخير الأمة، واحتقار الحظوظ والشهوات، واحتقار الحياة أمام الخير العام للأمة، هؤلاء هم رجال الرأي الذين يجب أن تدمهم الأمة بما به تنفيذ آرائهم وتأيد مبادئهم .

على أن الأمة يجب أن تعتقد أن رجال الرأي ليسوا معصومين، فإنهم ليسوا رسلاً ولا أنبياء. يجب على الأمة ألا تضع ميزان النقد بالعدل من يدها، فإن الحكيم الجرب العالم بوجوه الرأي وسبل النجاة من مهاوي الهلكة، قد تعثره أمراض نفسانية فتفسد عليه رأيه، وتلفته إلى العمل بما يضر ولا ينفع. وكم من أئمة بارعين في رأيهم خبيرين بخفي الأمور وجليها، أعماهم الهوى عن وجه الصواب، قال سيدنا عليّ عليه السلام: ﴿الْهَوَى أَخُو الْعَمَى﴾ .

السياسة الظالمة تدعو والسياسة الطاغية تقضي:

جهل الإنسان رتبته في الوجود، ومزله في العالم حتى نسي من هو، ونسيانه هوى به إلى حضيض الأسفلين ومهاوي الأردلين .

الإنسان خلقه الله وسطاً بين العالمين، فلا هو ملك مطهر من مقتضيات الجسم ولوازمه، ولا هو بهيم محروم من البهجة. يعلم ما حوله وما فوقه ومن الاتصال بعالم الطهر، ولكنه غافل عن حقيقته، وعن حكمة إيجاده وسر إمداده، فهو يستخدم القوى التي بها يفوز بالمقام العلي الذي فيه تخدمه الملائكة في تحصيل شهواته البهيمية، وملاذه الإبليسية، حتى صار شرّاً من الشيطان وأضر من الوحوش الكاسرة، وهي السنة التي عليها بنو الإنسان إذا أهملوا تربية نفوسهم وتركوا تحصيل العلم النافع اشتغالا بالعلوم التي تجعلهم خدمة للظلمة من الملوك والمستعبدين من الكفار، طمعاً في نيل ما به تيسر حظوظهم ومشتهياتهم البهيمية، وتحصيل بهجتهم السبعية. فترى الإنسان يسعى لينتقم من نظيره، ويتلذذ في الانتقام منه وتسليط الظلمة عليه، كما يتلذذ السبع بتمزيق فريسته. ويستعين بالظلمة من أمثاله وبالكفرة من أعداء الله ورسوله

﴿ص وآله﴾، فإذا تسنى له الانتقام ممن عاداه - ولو كان من أولياء الله الاتقياء - سهر ليله، فرح وجهه غضب الله عليه وغضب رسول الله ﴿ص وآله﴾، فكان فرحه عين النقرة وحقيقة البلية عليه .

ينظر الإنسان بحسه، ويحجب عين عقله وعين نفسه وعين روحه، ثم يستخدم الروح والعقل والنفس لأسفل القوى وأدناها، كما يستخدم الكافر أسيراً تقيّاً وليّاً، أو كما يحكم الجاهلون على نبي من أنبياء الله تعالى. والفرد مملكة عظيمة .

بلغ الإنسان من الانحطاط مبلغاً حتى صار كالأنعام أو أضل، فحجد الله تعالى وأنكر شرائعه، وبأليته وقف عند هذا الحد فرحم بني الإنسان من شروره، ولكنه بعد هذا كله قام فنظر إلى نفسه نظرة جعلته يعتقد أنه رب يُعبد، ونظر إلى بني جنسه بعين الاحتقار والدناءة، فاعتبرهم نباتات ضارة، أو حيوانات سامة، فجمع الجموع ليحصد تلك النباتات لينتفع هو وقومه، أو ليقول تلك الحيوانات ليسلم هو وقومه، ويدفعه حفظه ويعينه هواه وأمله، ويقويه صبر الله عليه، واستدراجه سبحانه له .

نسأل أمم أوروبا.. ما هو الحق الذي لكم على الشرق حتى طالبتم به برشاشاتكم وغواصاتكم وطياراتكم؟! الجواب: لا حق لهم.. ثم نسألهم.. ما الضرر الذي لحق أهل أوروبا من الشرق حتى هجموا بآلاتهم الجهنمية والوحوش من عساكرهم على الشرق فحاربوه في الدين والأخلاق والأعراض والأموال، حتى أذلوا الأعراء وأعزوا الأذلاء، فمحنوا العبيد الحرية طغياناً وكفراً، ورحموا الحيوانات وجعلوا لها جمعية الرفق بالحيوانات، وأذلوا أهل الشرف والمجد والإمارة؟! الجواب: الشرق لم يضرب الغرب. ثم نسألهم سؤالاً آخر.. متى كنتم رحماً ترحمون الأقليات في الشرق، وأنتم تمزقون جلود بعضكم بالمقذوفات في بلادكم، فهلاً رحمت أنفسكم قبل أن ترحموا غيركم؟ متى استغاثتكم الأقليات أو وفدوا عليكم لأطفال فجرت

بطونها، وجلود خرفت بالمقذوفات، ورؤوس كسرت بالعصي الحديد، وأقاموا الحجة لكم أن الرؤوس ملئت ظلماً من رؤسائهم، وأن البلاد خلت من قادهم، وأن القبور ضاقت بقتلاهم؟! اللهم لا هذا ولا ذلك. الجواب: هي الأغراض تحل الحرام وتحرم الحلال. نسأل دول أوروبا.. أنتم ترحمون الأقليات.. فلم عذبتهم الأقليات؟ الأقليات في الشرق تستعيد بالله منكم، وتسارع إلى العمل لإخراجكم وإجلائكم عن البلاد، ولكنه الظلم يدعو، والطغيان يقضي .

ثم نسألهم.. ما الذي دعاكم أن تحكموا أنكم أولى بالشرق من أهله وأحق به من ذويه؟! هل أوحى الله إليكم بذلك؟! أم أنزل عليكم كتاب من السماء بين لكم خير الإنسان فقمتم لتخلصوا بني الإنسان من كفر وضلال وظلم وهوان؟. الجواب: كل ذلك لم يكن ولا بعض ذلك، ولكن ترك أهل الشرق العمل بدينهم فسلط الله عليهم أوروبا، كما سلط بختنصر على بني إسرائيل، وهذا التسلط متاع قليل . ولو قام المسلمون من نومة الغفلة، وعلموا من أين أخذوا لتركوا السياسة ورجعوا إلى دينهم، وأقاموا حدوده، وسارعوا إلى الله عملاً بكتابه وسنة رسوله، فقدف الله الرعب في قلوب أعدائهم وهزمهم أمامهم، قال الله تعالى مخبراً عن بني إسرائيل:

﴿لَنُقَسِّدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ الإسراء: ٤ - ٦ فأنبت سبحانه أن تسليط بختنصر إنما هو لأدب بني إسرائيل ولرجوعهم إليه سبحانه، فلما رجعوا إليه تعالى أمددهم وأهلك بختنصر. وهذا الحكم وإن كان سببه خاصاً فهو عام لكل أهل الإيمان، ولكن اليهود رجعوا إلى الظلم والإفساد في الأرض بغير الحق فلعنهم الله وأذهبهم إلى الأبد، فلا تقوم لهم قائمة أبداً، وما يدعونه من ملك فلسطين فهو سحابة صيف وفتنة تنتج دوام ذلهم والتشديد عليهم .

وقد أفسد المسلمون في الأرض بمخالفة وصايا رسول الله تقليدًا لأوروبا الذين فارقوا دينهم، وشتان بين دين أوروبا ودين الإسلام، فإن الإنجيل كتاب يطالب خراب الدنيا وعدم العمل فيها لها، ويحث على ترك الاشتغال بالدنيا والزواج، فتركوه لينالوا الخير الذي ناله المسلمون بالعمل. تركوا عقيدة المسلمين وعبادتهم، ولكنهم أخذوا همهم وعزائمهم. وجهل المسلمون، فتركوا عمل دينهم الحق الذي جمع الخيرات في الدنيا والآخرة، فسلط الله عليهم أهل أوروبا الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، لأنهم تركوا العقيدة والعبادة والأخلاق، وأخذوا بقسم المعاملات والتربية الاجتماعية، فكان ترك المسلمين لأحكام دينهم ذلاً لهم وهواناً، وشتان بين قوم تركوا دينهم فذلوا وبين من تركوا دينهم فسادوا وعزوا، ولكن السيادة المؤسسة على غير الإيمان والتقوى تنتج شر الظلم .

وإنا جماعة المسلمين قد أيقظتنا الحوادث، فعلمنا أن سعادتنا لا تكون إلا بالرجوع لديننا والعمل بسننه نبينا، والبرهان ما تفضل الله به علينا من النصرة والتأييد في هذا العصر بما أظهره على يد أنصاره سبحانه، فعلى جماعة المسلمين أن ترجع إلى مغفرة من ربنا وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، بتجديد شرائع الإسلام والغيرة له، وترك البدع المضلة، وعلى أن نشجع رجال صناعتنا وتجارتنا وفنوننا، وأن نتخلق بأخلاق نبينا من الرحمة والعطف والسماح والعفو والتعاون على البر والتقوى، والصلة والعفاف والكرم والشجاعة والعدل، وحسن الظن بإخوتنا جميعاً واعتقاد أولويتهم بالنفع والخير، ولديها يعيد الله لنا مجد سلفنا، ويجدد سؤددنا والخير الذي كان لهم من التمكين في الأرض بالحق، وجعل الأمم الأخرى أذلة لنا، والله لا يضيع أجر المحسنين .

المنطق: لسياسة الأمم لا لتلقي عقيدة التوحيد:

وقد بين الله تعالى التوحيد بياناً مفصلاً لا يحتاج إلى بيان بعده . ومن تلقى عقيدة التوحيد من غير القرآن هوى في هاوية الحجاب .

وأول بدعة مضلة اشتغال العلماء من زمان المأمون بالرد على من تلقوا فلسفة اليونان والرومان والبابليين، وجعلوا المنطق الذي هو ضروري للإنسان في تدبير منزلته وتدبير المدن وسياسة الأمم، لأن أصغر طفل يعلم البديهيات المنطقية، وكما كبر قويت عنده المبادئ المنطقية فتراه وهو صغير إذا أعطته أمه رغيفاً وأخذت منه لقمة بكى لأنه يعلم أن الجزء ينقص الكل، ويعتقد أن السماء فوق والأرض تحت، فيدرك البديهيات، فإذا كبر أدرك التصورات، فإذا كبر أدرك التصديق، ثم يدرك القضايا، ثم يحكم بالنتائج. فإن المنطق من ضروريات الإنسان، ووضع العلماء له كوضع الحساب والهندسة والطب والبيطرة من الصناعات الضرورية للمجتمعات، ولم يوضع لتقوم به الحجة لله تعالى، لأن اليقينيّات في المنطق هي المحسوسات، والحق هو الحاكم ويعلموا قدره أن يدركه الحس أو يحيط به علماً فضلاً عن إدراكه، وما عرف الله تعالى إلا من فقهه الله في كتابه العزيز فعرفه بكلامه .

والبدعة التي ابتدعها من ترجموا كتب الفلاسفة في الرد على أهل الإنكار والجحود
فبالغوا فيها حتى حكموا أن من لم يعلمها كافر بعد قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٣

- ه حكم هؤلاء القوم على أنفسهم بالجهالة لأنهم لم يفقهوا الفرق بين الإيمان والعلم، ولو فهموا الفرق بينهما لتحاشوا الوقوع في تلك الكبائر . وإني أبين الإيمان والعلم :

أما الإيمان: فهو تصديق المخبر في خبره حتى يبلغ تصديقه التسليم له، فإذا سلم له أخذ يبين له العلم بقدر عقله حتى يحصله .

أما العلم: فهو تصور النفس رسوم المعلوم تصورا يجعل المعلوم كأنه معاً لم بين عينيه، مع نزاهة المعلوم وقداسته عن أن تحوم الأرواح والعقول حوالى قداسة نزاهته، كما قال على عليه السلام : ﴿لَوْ كُشِفَ الْحِجَابُ مَا أَرْدَدْتُ يَقِينًا﴾ لأنه علم علماً تصوره به رسم المعلوم على جوهر نفسه .

إذا علمت الفرق بين العلم والإيمان حكمت أن الذين يؤمنون بالغيب لهم الزلفى عند الله تعالى، سواء علموا الدلائل أو لم يعلموها، وقد يرفعهم الله تعالى مقاماً علياً . أما أهل العلم بالله الذين عقلوا عن الله أسرار كلامه حتى منحهم الله اليقين،

فلهم درجات عالية عند الله . قال تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا تَفَسَّحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة: ١١

١١ فالذين آمنوا بالغيب يرفعهم الله تعالى، والذين أوتوا العلم أعد لهم درجات عنده سبحانه . وقد بشر الله المؤمنين بالغيب بما علمته، ثم حثهم على طلب العلم .

قال تعالى : ﴿ فَأَعْتَبُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ ﴾ الحشر: ٢ وقال سبحانه ﴿ قُلِ انْظُرُوا

مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يونس: ١٠١ فأهل الهمم العالية من المؤمنين لا تقف همتهم عند الإيمان بل يهاجرون إلى الصين وأبعد منها ليحصلوا العلم النافع، شوقا إلى الفوز عند الله تعالى بالدرجات العلا التي يمن الله بها على أهل العلم . قال

تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٩ ودليلنا على أن

الإيمان غير العلم قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴾ الروم: ٥٦ فعطف

الإيمان على العلم يقتضى المغايرة ولكن الجهلاء من الأدعياء جعلوا العلم والإيمان

سواء فقالوا : الإيمان من طريق النقل والعلم علم من طريق العقل، فما ورد من

طريق النقل علم، وماورد من طريق العقل فهو علم، وقد قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ

مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ

غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ٢٣ وكم تراهم لجهلهم بهاتين

الحقيقتين يلعن بعضهم بعضا كما أخبرنا الله تعالى عن أهل جهنم : ﴿ كَلَّمَا

دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ الأعراف: ٣٨ حفظ الله أمة محمد ﴿ص وَالْه﴾ من تلك

الفتنة، وتفضل علينا سبحانه بأن يجعل لنا نوراً في قلوبنا تهتدى به إلى سواء

السييل .

الفصل الخامس

السياسة في جهاد النفس وفي جهاد العدو

سياسة الزوجة والأولاد... سياسة محمودة:

الأعداء المفارقون وهم أعداء تخفى عداوتهم ويكونون من الزوجة والأولاد، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ

وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ التغابن: ١٤ فإن الزوجة قد

يطيعها الإنسان، فيعق والديه، ويترك أرحامه، ويترك الفضائل - اشتغالا بها - ويرتكب الدنيا لطلب ما يرضيها، ما لم يقف عند الحد الوسط . وكذلك الأولاد فإنهم سبب في البخل والجبن والفساد، وقد يهمل تربيتهم الشرعية حباً فيهم، فيكونون شروره في الدنيا وعذابه في الآخرة .

وعداوة هؤلاء تكون بالفتنة، ومنها حب الرجل زوجته وأولاده حباً يشغله عن شكر والديه المفروض عليه كما قال تعالى : ﴿أَنْ أَشْكُرَّ

لِي وَلِوَلَدِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ لقمان: ١٤ . أو يحبهم حباً يجعله يحرص على الدنيا فيطلبها من وجوها وغير وجوها، ويبخل بالمال فيجعله يجبن عن قتال العدو حرصاً على البقاء لتربية الأولاد والتلذذ بالزوجة، قال رسول الله ﷺ: ﴿ص و آله﴾:

(أَوْلَدُ مَجْبَنَةٍ مَفْسَدَةٌ مَبْخَلَةٌ) .

وقد تكون عداوتهم ظاهرة، كفساد أخلاقهم بسوء تربية الوالد، لأن خير تربية الأبناء قهرهم على التمسك بالدين في الصغر ورعايته أخلاقهم من الطفولة . ومجاهدة هذا العدو لا يقوم بها إلا الأفراد الذين جملهم الله تعالى بالشجاعة الدينية، ومنحهم النفوس المؤثرة، ولذلك

قيل في المثل : الرجل يسوس مملكة بحكمته، ويعجز عن سياسة زوجته . وما ذلك إلا لأن للشهوة سلطاناً قاهراً، قال هارون الرشيد :

مَلِكُ الثَّلَاثِ أَلْعَانِيَاتُ عَنَانِي وَحَلَلَنْ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تُطَاوَعُنِي أَلْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ أَلْهَوَى وَبِهِ قَضَيْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

فأكمل الحكماء حقاً من جاهد نفسه وساس زوجته وأولاده، والبيت الصغير مملكة كبيرة لأن رئيسه ملك مطلق لا يتقيد بدستور، وعلى مقدار تربية البنين الصغار تكون منزلة الأمة بين العالم . لأن الأمة تتكون من عائلات، وعلى حسب آداب العائلات يكون شرف الأمة أو ذلها، ومتى كثر أهل الحق قهروا أهل الباطل، وهي سنة العمران

حتى مع رسول الله ﷺ ﴿ص وَآلِهِ﴾ قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ

اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ٦٤ وكل مجاهد معه الحق منصور وإن كثر عدد عدوه وعدده .

حسن التدبير من السياسة الحكيمة:

أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يثبتوا في الجهاد متيقنين بنيل الحسنيين، أي: بنيل حسنى الشهادة في الدنيا، وجوار أنبياء الله تعالى صلوات الله عليهم في الدار الآخرة. والثبات: إما الإقدام بصدق إن أمكن، أو حفظ المركز الذي هو فيه حتى ينصره الله تعالى، أو يفتح له

باب الجنة، وهذه الآية ليست ناسخة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ

أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ الأنفال: ١٦ فإن التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة هو عين الثبات والحكمة، وهي من حسن التدبير الذي يسمى سياسة.

الفصل السادس

معرفة النفس وتربيتها ... والسياسة

معرفة النفس:

قال سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ﴾ (٤٣)، إن الإنسان إذا جهل نفسه، انخط فصار كالأنعام أو أضل، وربما انمسخ فكان شراً من الشيطان، يعبد هواه وحظه، لا يمنعه عن فعل الشر إلا سوط سلطان، أو مرض أو عدم إمكان، والجاهل بنفسه عدو نفسه، يرمي بها في مهاوي الهلكة، فلا يبالي أن يغضب الله ورسوله ﷺ إذا تيسر له حظه، لا ينظر بعين الفكرة، ولا يتدبر بباطن العبرة، وإنما قيمة الإنسان في المجتمع بقدر علمه بنفسه، فإذا رأيت إنساناً يستهين بأحكام الله، فلا يحرم ما حرم، ولا يقوم بما عليه أو جب، فاحكم عليه أن صورته صورة إنسان، وحقيقته حقيقة شيطان وتوق شروره، فلا تأمنه على مال، بل ولا على عرض، بل ولا على دين، وكيف تأمن من يهلك نفسه بمخالفة أحكام الله تعالى؟ خصوصاً ما كان منها صريحاً، ولا يقبل التأويل، فقد يترك الإنسان المسلم الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويظهر نفسه أمام الناس أنه ولي، وقد يستعمل الربا في معاملته، فيغضب الله تعالى ليجمع المال، وقد يشرب الخمرة مع تحقيقه بضررها، وصعوبة تناولها، وغلو ثمنها وحرمتها ديناً، وإفسادها للصحة، والعقل، والشرف بين الناس، ومع علمه الحقيقي بتلك المضار كلها، يشربها فرحاً متلذذاً، أمثل هذا يكون إنساناً؟ لا. بل ولا حيواناً، بل ولا شيطاناً، لأن الحيوان لا

(٤٣) [رواه أبو المظفر ابن السمعاني في القواطع عن يحيى بن معاذ الرازي وقال النجم قلت وقع في أدب الدين والدنيا للماوردي عن السيدة عائشة رضي الله عنها].

يضر نفسه، وإن أضر غيره، والشيطان لا يقصد ضرر نفسه، ولكنه يجتهد أن يضر غيره بالغواية، فإذا أضر غيره تبرأ منه. وهذا الجاهل بنفسه يضر نفسه، بعمل المحرمات، ويضر أقاربه وأحبابه لأنهم يقلدونه في أعماله إن كانوا جهلاء مثله، أو يقهرونه على ترك القبائح إن كانوا عقلاء، فتحصل العداوة والبغضاء.

تربية النفس أصل النجاة:

والواجب علينا المسارعة إلى تربية أنفسنا التربية الدينية التي بها يمكننا أن نتشبه بسلفنا الصالح، فنفوز بانجد في الدنيا، ونبيل الحسنى يوم القيامة.

عن كميل بن زياد قال: (سألت مولاي أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين: أريد أن تعرفني نفسي، فقال: يا كميل وأي الأنفس تريد أن أعرفك؟ فقلت: يا مولاي وهل هي إلا نفس واحدة؟ قال: يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية. ولكل واحدة من هذه خمس قوى، وخاصتان: فالنامية النباتية لها خمس قوى: جاذبة، وماسكة، وهاضمة، ودافعة، ومرتبة، ولها خاصتان الزيادة والنقصان وانبعاثها من الكبد.

والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع، وبصر، وشم، وذوق، ولمس، ولها خاصتان: الرضا والغضب، وانبعاثها من القلب.

والناطقة القدسية لها خمس قوى: فكر، وذكر، وعلم، وحلم، ونباهة، وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية ولها خاصتان: الزهارة، والحكمة

والكلية الإلهية لها خمس: قوى بقاء في فناء ونعيم في شقاء، وعز في ذل، وفقر في غنى، وصبر في بلاء، ولها

خاصتان: الرضا، والتسليم، وهذه هي التي مبدؤها من الله وإليه تعود، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا سَوَّيْتُهُ

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِدِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الحجر: ٢٩. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَكَايُنَا أَلْأَنفُسُ

الْمُظْمِئَةُ ﴿٢٧﴾﴾ أَرْجَوِ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً ﴿٢٨﴾﴾ الفجر: ٢٧ - ٢٨.

صفاء النفس:

النفس إذا صفت اقتبست من الغيب المصون، وآثار النفوس محسوسة، وانفعالاتها عند مقتضيات جليلة، ومن ذلك أهل الفراسة، والعرافون والكهان، والسحرة والمشتغلون بالرمل، وطرق الحصى، والتفائل، والحكم على غد بما هو في اليوم، والحكم على حصول الشئون بالنجوم، وأغلب هذه الظنون والتخمينات تحصل غالباً، وما يكون للفرد يكون للأمة.

اليوم ينبيء بالإشارة أن الله تعالى سيرفع من خفصتهم الغفلة، وأضعفهم النوم، ويخفض من غرقم المهلة وقواهم الغرور. الحق فوق الخلق، والملك يعطى بفضل الله، ويحفظ بالعدل، فمن وهب له الملك، وظلم الخلق، سلب منه الحق ما أعطاه، وسلط عليه من استضعفهم من عباد الله. ترك المسلمون وصايا نبيهم ﴿ص وآله﴾ وهجروا كتاب ربهم سبحانه - وبالكتاب والسنة مكنهم الله في الأرض، وصرفهم في الخلق، ومن ترك ما به رقية انخفاض، وهى سنة الله تعالى، سلط الله عليهم أما من غيرهم ليؤدبهم، فلما أن مكنهم الله منهم، وما كان لهم أن يتمكنوا من مجتمع كثير عدده وعدده لو اتحد، قوية شوكته، منيعة داره، بعيد مناله، لو حافظ على وصايا رسول الله ﴿ص وآله﴾، فلما سلطهم الله غرقم المهلة، قطعوا في دين الله، ونشروا الأكاذيب عن رسول الله ﴿ص وآله﴾، فغضب الله لدينه ولرسوله ﴿ص وآله﴾، فألقى العداوة والبغضاء والحرب بينهم، فذلوا بعد العزة والقوة والتمكين، وألقى الألفة والاتحاد على عبيده المستضعفين في الأرض فعزوا. سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فالיום ينبيء بخير الغد، وإذا ما أراد الله شيئاً هياً أسبابه، هذه كلمة الفراسة.

أما كلمة التنجيم، فقد قارن المريخ كيوان في آخر درجة من الميزان، فتم الهبوط، وابتدأ الصعود، ونادى كيوان برفعة أهل الإيمان، في كل مكان أما العرافة، فإذا حصل الهرج والمرج، وطاشت الأحلام، واستيقظ المحروم، من حقه المعلوم، وتغيرت الدول، وظهر التوحيد على كل الملل، أما الكهانة فإذا دارت الكنوس، وأزهقت النفوس، وطاشت الأحلام، وانتشر الملام، وتغير السلام، ورجعت الشمس إلى مشرقها، أما المنامات فقد كثرت، تشير إلى زوال الآفات، وتوالي البركات، وكل ما هو آت آت: وإنما الخير بتقدير الله وبالجدة لا بالحيلة والكد. يعطى بفضل الله وإحسانه، ويسلب بعدله وتقديره، ولا حول ولا قوة إلا بالله

قَالَ تَعَالَى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا الشرح: ٥ - ٦.

السياسة مرض في النفوس:

نيل القصد بالجد، بالسياسة والكد، أقول: السياسة مرض في النفوس، لأنها نوعان سياسة الإقدام لنيل البغية والمشتبهات من الغير مع ضرورة، وسياسة الإحجام عن الانتفاع بما هو نافع، حرصاً على الحياة، أو استبقاء لها بالقليل مما لا بد منه، وهى سياسة الأمم الجاهلية، والأمم المضلة؛ لأنها فطرة في الإنسان من حيث هو إنسان وهذان النوعان من السياسة يستعملها الإنسان، حتى من سن الطفولية، إلا أن الوسائل تتفاوت، فقد تكون قهراً ظاهراً بالخداع والختل، عند المساواة في القوة. وكلا النوعين مضران جداً بالمجتمع الإنساني، وهو أشبه بعمل الوحوش منه بعمل الحيوانات الداجنة، فالإنسان مهما ارتفع كعبه في العلوم والفنون والصناعات، فهو أضر من الوحوش وشر من الشياطين، ما لم يتهذب بالآداب الشرعية،

ويتأدب مزكيا نفسه برعاية ما جاء به رسول الله ﷺ، كيف يتلذذ الإنسان بالانتقام من غيره، ويفرح بسلب نعمة غيره وهو غني عنها؟! وفرح بحزن الغير هو فرح الوحوش.

الفصل السابع

قصة قصيرة

السياسي والحكيم والغشيم

السياسة : تدبير المنزل والمدن والمملكة، مأخوذة من ساس يسوس سياسة أي أصلح إدارة المنزل أو المدينة أو المملكة، لجلب المنافع ودفع المضرات مع رعاية الرحمة العامة بالمجتمع الإنساني.

فإن خرجت السياسة عن أصلها كانت ظلماً وجوراً وكيداً ومثال السياسة الحقّة ما فعله الصديق يوسف عليه السلام مع أخوته، من أخذ أخيه منهم لينالوا الخير العام في المستقبل وعمل تلك التدابير لنيل الخير مع الإخلاص سياسة، وقد مدحه الله عليها فقال ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف: ٧٦. وأما ما يسميه الناس الآن سياسة فهو كسياسة القط مع الفأر أعاذنا الله وإخواننا منها .

الحكمة : هي وضع الشيء في محله واستعمال كل شيء فيما وضع له مع رعاية الشريعة المطهرة .

الغشم: التسليم من غير روية ولا نظر .

الغشيم: بين أبنائه وحفدته وأقاربه في مزارعه ومصانعه وأسواق تجارته في هناء وصفاء.

السياسي: نظر إلى نفسه وأبنائه وأقاربه نظرة إعجاب، فكّرهُ أن يعملوا عملاً نافعاً لغيرهم وأحب أن يتسيطر بالقوة القاهرة على الغشيم ومن معه، وكان عند الغشيم رجل حكيم .

السياسي: جمع الجيش وهجم على الغشيم

الحكيم: رأى الغشيم خرج من غير تدبير ليقابل السياسي فمنعه وقال : دعهم يدخلون البلاد واجمع قومك وأعد العدة حتى إذا فرحوا بالنصرة وملكوا بعض القرى أمكنك أن تحصن قومك وبلادك، وترسم طريقة حكيمة تستأصل بها هذا الجيش الظالم .

الغشيم: سلم له وأقامه إماما.

الحكيم: أمر بإخلاء القرى أمام العدو.

السياسي: تيقن النصرة وأمن جانب الغشيم .

الحكيم: أنزل قومه في مكان محصن، ثم أمر بالسلاح فحمل وأقام أهل الرأي قوادًا، وأمرهم بالصبر حتى يصدر أمره ورسم المناورة بروية، فأرسل قسما خلف جيش السياسي من طريق مجهول وأبقى قسما داخل البلد وجعل قسما جناحًا أيمن وقسمًا أيسر، ثم أرسل الطلائع وأمرهم بالهزيمة أمام الجيش.

السياسي: فرح جدًا وأمر الجيش بالتقدم من غير روية، معتقدًا أنه تمكن من عدوه، فأبعد في داخل البلاد معتقدًا تحصيل ضروريات الجيش من البلاد فتفرق جيشه من السرعة والبطء فرحًا بالغنائم .

الحكيم: انتهز تلك الفرصة وأمر الجناحين والقسم الذي خلف العدو أن يلتقوا في نقطة كذا.

السياسي: لم يشعر إلا وقد أحاطت به الجنود فلم يجد له نجاة إلا بالهزيمة أمامه معتقدًا عدم القوة الاحتياطية فهلك أكثر جيشه ولما أن وصل إلى داخل البلاد قابله الجيش الاحتياطي فأسر البقية وبعد ذلك اصططحوا على شروط مخصوصة .

الغشيم: علم أن هذا الفوز بإتباع الحكيم فأمر قومه أن يحافظوا على أوامر الحكيم ليدوم لهم الملك والمجد.

السياسي: رجع حزينا واعتقد أن الغشيم مادام مقتديا بهذا الحكيم لا يمكن أن يتمكن منه فجمع قومه وطلب أن يكيدوا معه للغشيم كيذا يخرجونه عن إتباع الحكيم ليتمكنوا منه ويجعلوا الجميع عبيدا له، فحضر معه إبليس في صورة إنسان، وقال : الرأي عندي أن ترسلوا لهم ما يفسد عقولهم، ويضر صحتهم ويضيع أموالهم، وبذلك يخالفون الحكيم فنملكهم . فسألوه : ما هي تلك الأشياء ؟ وما الطريق في انتشارها بينهم ؟ فقال أما ما يزيل العقل فالخمر والحشيش والبنج . وأما ما يفسد الصحة فالعاهرات خصوصا المريضات بالزهري، وأما ما يضيع المال فانتشار الربا ولهذه الأشياء رابع لا بد منه وهو التفرقة بينهم .

السياسي: (سأل) من أنت ؟

إبليس : أنا العدو اللدود للغشيم .

السياسي : لم عاديته ؟

إبليس : إنه أطاع عدوي الحكيم، فأمره بالمخالفة بعد أن كانوا جميعا عبيدا لي .

السياسي : كيف نتمكن من انتشار تلك المفاسد بينهم ؟

إبليس : ترسل أولاً تلك المفاسد إلى كبرائهم، فإذا تمكنوا من الكبراء قلدهم

الأتباع، والأمير إذا فعل قبيحا لا ينكر عليه ولا يقدر أن يمنع من ارتكابه .

السياسي : أرسل تلك الأنواع المضرة في طريق الخفاء، فأرسل نساء عاهرات بآلات الطرب ومعهن الخمر إلى الحكام، فانتشرت تلك المضار بسرعة حتى تناسي الناس وصايا الحكيم.

السياسي: أرسل رجلا من أهل الخبث يحملون تلك الأشياء في الأسواق لتباع علنا، بعد أن يقدم كل واحد منهم هدية لحاكم المدينة التي يحل فيها ويتردد عليه صباح مساء ليعلم أهل المدينة أنه محسوب الحاكم .

آثار الحكيم: كان في المدينة تلاميذ للحكيم، فصاحوا صيحة النصيحة، فأصغى إليهم أهل التسليم وقالوا : هذا يخالف وصايا الحكيم فيجب مصادرته ورد حاملين له .

وفود السياسي: حاملون للشرور – أسرع كل واحد منهم إلى الحاكم في مدينته وقالوا له : كيف يصفوا لك الملك وفي المدينة حزب ويسعى في سلب الملك ويعصب عليك قومك؟ فتدارك الأمر واقتلهم شر قتلة .

الغشيم: قبل منهم الكلام وعظم عليه الأمر فأرسل للحكام المشتركين معه في حب تلك المضار، أن يسجنوا من تظاهر ضد الرؤساء فقبضوا على تلاميذ الحكيم واعتقلوهم .

وفود السياسي: تمكنوا من القوم فأزالوا عقولهم، وأضروا أبدانهم وأضاعوا أموالهم وعقاراتهم حتى بلغ من جنونهم أنهم اعتقدوا أن السياسي ورجاله أرحم بهم من والديهم .

الغشيم وقومه: تفرقوا حتى صاروا يمدحون السياسي بما قام به لهم من المصالح والإصلاح ويذم بعضهم بعضا وهم في هاوية الذل لا يشعرون بمكايد السياسة .

السياسي: لم يرض بإفساد العقول ولا بضعف الأجسام ولا بتحصيل الأموال ولكنه سعى نحو الدين والأخلاق فجمع العقلاء لهذا الغرض فجاء إبليس وجلس معه، فرجعوا إليه فأمرهم بأن يبدلوا المال للغشماء الجهلاء من أعدائهم ويخرجوهم من الدين ويجعلوهم آلة في ذم دينهم بين قومهم ومدح غيره ويظهروا أن الذي يخرج من الدين ينال المال الكثير والجاه ثم نشروا بين القوم زخارف الأباطيل وأكاذيب الأضاليل وأظهروا أنفسهم بأنهم رحماء بالحيوانات وبالمرضى ليسلبوا عقول البسطاء بغرورهم فتمكنوا من إضلال رجال من أهل دينهم ، فادعوا أنهم من دين الأمة وأنهم ارتدوا عنه، ونشروا المفاصد والأكاذيب فلم يرق ذلك عند

الأمة، ولكنهم لما أصابهم من ضرر المفساد المنتشرة بينهم لم يتمكنوا من دفع هذا الشر، لأن السياسي استولى على الأسلحة والأمتعة .

القوي القهار خالق السموات والأرض غضب على السياسي وقومه، لأنه لم يرضه أن يقهروا عباده ويفسدوا بلاده بل قاموا فكذبوه وكذبوا رسوله ﴿ص﴾

وآله ﴿فغار لدينه غيرة منتقم قهار فأوقع نار الحرب الانتقامية بينهم، ونظر إلى عباده نظرة حنان وأيقظ قلوبهم إلى وصايا الحكيم .

الغشيم: تذكر مجده ومملكه وبحث بروية كيف نال هذا الملك وبأي شيء سلب منه؟! فتحقق أنه ما قهر السياسي قومه وتسلط عليه إلا بإهمال المحافظة على وصايا الحكيم وما زال مجده ومملكه وسلطانه إلا بترك وصايا الحكيم فأطلق تلاميذ الحكيم من السجون وجلس بين أيديهم ذليلاً ييكي ويتوب إلى الله، وطلب منهم أن يغيروا كل ما خالف وصايا الحكيم وأن يعيدوا الأمر إلى الماضي الذي وضعه الحكيم فعرضوا كل شيء في المملكة على القرآن والسنة، ومحو أنواع الشرور كلها وقامت الأمة من نومة الغفلة ورقدة الجهالة .

السياسي: جمع عقلاء جميع مملكته ليتدارك الأمر فجاء إبليس فقالوا : ماذا ترى ؟ فقال لا رأي لي أعداؤكم رجعوا إلى القوي القهار الحكم العدل الذي يهب الملك لمن يشاء ويترع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ولطم على وجهه ومنتف لحيته وفر يدعو بالويل والثبور .

تلاميذ الحكيم انتشروا بين قومهم فقام في كل بلد حكيم أو صورة للحكيم وكان لسان حال الأمة ينادي:

إِنَّا لَنَرُخْصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَإِنْ نُسَامِ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِيْنَا
 إِنَّ تَبْتَدِرَ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصْلِيْنَا

وصار كل فرد منهم هو المعني بقول الشاعر:

وَبَارَبَّ يَوْمَ ذَوْبِ الْغَشِّ نَارَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَارِمٌ
وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَعْرُكَ بِاسْمٍ

وصار كل فرد منهم حكيماً، لأنه اتبع الحكيم الأكبر ﴿ص وآله﴾ فاستخلفهم الله في الأرض، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، فساسوا العالم أجمع بالعدل والرحمة، ومحا الله الظلم وأهله، والعاقبة للمتقين .

مواضع العبرة والعظة في هذه القصة

في قصة (السياسي والحكيم والغشيم) يشخص الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام أزمة الأمة الإسلامية تشخيصاً شاملاً ودقيقاً وكاملاً .

فالسياسي: في هذه القصة رمز لأعداء الإسلام من الأوروبيين والأمريكان وغيرهم، الذين يستطيعون بدعائهم ومكرهم وخداعهم إفساد أحوال المسلمين من حكام وعلماء وشعوب .. ويقىمون أنظمة ديكتاتورية متسلطة عن طريق انقلابات عسكرية لمنع الحرية عن المجتمعات الإسلامية لأنهم يعلمون أن المسلمين إذا أعطوا الحرية الحققة عادت لهم حضارتهم ودولتهم وقوتهم ... وهم يفسدون حكام السوء في البلاد الإسلامية وكذلك الشعوب عن طريق الخمور والمخدرات وأماكن اللهو والعهارة وإفساد التعليم ونظمه ونشر البنوك الربوية والسياحة والعري وإقامة أحزاب سياسية هلامية تتناحر فيما بينهما على مصالحها الشخصية وتتنكر لمصلحة الأمة وهذه وسائل برع فيها الإنجليز قديماً .. والأمريكان حديثاً، يدعمهم في ذلك اليهود من وراء حجاب .

وأما الحكيم : فهو رمز للعالم الرباني والعارف الروحاني والوارث المحمدي الذي يجدد للأمة أمر دينها والذي يحزنه حال الأمة المتردي بسبب حماقة الحاكم

(الغشيم) وتسليمه لأعداء الأمة فيقف موقف الناصح للحاكم (الغشيم) ويحذره من دسائس أعداء الأمة ومكائدهم وشعاراتهم وصلحهم ووعودهم الكاذبة .
أما الغشيم : فهو رمز (لحكام السوء) الذين يسلمون للأعداء من غير فكر ولا روية ولا وعي وتدعوهم حماقتهم وجهالتهم إلى معاداة المصلحين ، ومعاداة العلماء العاملين وينخدعون بأقوال أعداء الأمة ، ويصدقون وعودهم الكاذبة ، وسلامهم الخادع وحديثهم الماكر عن حقوق الإنسان ، والشرعية الدولية ، والنظام العالمي .. وكل هم الحاكم (الغشيم) هو الحفاظ على كرسي الحكم ولو بموالة الأعداء ومعاداة الحكماء !!.

وكأني بالإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام يختصر التاريخ السياسي للأمة الإسلامية ويكشف أمراض الأمة في أمسها ويومها باقتدار واختصار !!.
وما زالت أمة الإسلام تعاني حتى الآن من السياسي الغربي (الأمريكي والإنجليز ... إلخ) وتعاني من (الغشيم) أي حكام السوء المتصدرين للسلطة ، ولا علاج لهذه الأمة إلا بالتلقي من الحكيم إن أرادت عودة مجدها ودوام عزها .

الباب الرابع

دور الإمام المجدد عليه السلام

الجهادي ضد الاستعمار في العالم الإسلامي

الفصل الأول

دوره الجهادي عليه السلام :

إن دور الربانيين من علماء هذه الأمة ، وعمل الأئمة المجددين أن يكونوا طليعة المجاهدين في كل عصر ضد قوى الظلم والبطش ، ضد التسلط والديكتاتورية ، ضد البغي والفساد ، ضد أعداء الأمة في الداخل والخارج .

ويذكر لنا تاريخ الإسلام أن الواحد من هؤلاء العلماء الربانيين كان كجيش جرار تحابه الملوك والسلاطين ، لقد زهد الربانيون في الدنيا وخالفوا أهلها ، وكانوا قدوة حسنة أمام أفراد هذه الأمة ، حتى في زمن الخلفاء الراشدين .

فهذا أبو ذر الغفاري ، وأبو هريرة ، وسلمان الفارسي رضي الله عنه يكتبون لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخوفونه من الدنيا فيقبل منهم ، كذلك ملحمة الإمام الحسين عليه السلام الكبرى في مواجهته لطغيان يزيد بن معاوية ، والفضيل ومواعظه لهارون الرشيد ، وابن عربي قي نصائحه للملك الكامل ، والغزالي مع يوسف بن تاشفين ، وعز الدين بن عبد السلام مع سيف الدين قطز ، والإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام في عصرنا في مواجهة الملك فؤاد وقادة الأحزاب في مصر ، بل والطغاة خارج مصر في وقت كان فيه علماء الأزهر أداة طيعة في يد القصر إلا القلة .

ولقد كانت حياة الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم إمام العلماء الربانيين
عليه السلام في هذا العصر حياة جهاد من أجل دينه وأمته ، فلم يهرب صاحب سلطة ،
ولم يخش ذا سلطان ، ولم يخف من حاكم مستبد أو ملك ظالم .
لقد وقف عليه في وجه الطغاة والطغيان في مصر والبلاد العربية والإسلامية ، بل
في وجه الاستعمار الإنجليزي بكل سطوته وجبروته .

لقد تصدى للملك فؤاد ، وواجه اللورد كرومر ، وتصدى لرسل باشا حكامدار
الأمن الإنجليزي ، وواجه مستر وينجت الحاكم الإنجليزي بالسودان ، إلخ .
إنها حقاً مواجهات وتحديات كبرى ومعارك جهادية مستمرة خاضها الإمام المجدد
عليه السلام منفرداً ضد الظلم والتسلط ، ضد الصليبية والعلمانية ، ضد الماركسية
والصهيونية والماسونية ، خادماً لهذا الدين ، وسادناً لهذه الرسالة ، وحارساً للعقيدة
، وهكذا يكون دور الأئمة المجددين .

وها هي بعض ملامح هذا الدور الجهادي للإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام .

جهاده عليه السلام ضد الاستعمار في العالم الإسلامي:

وقد تصدى الإمام أبو العزائم عليه السلام للاحتلال الإنجليزي بالمؤتمرات التي كان يعقدها
مع زعماء الأمة في داره ، وبالمقالات التي كان يكتبها في الجلات التي كان
يصدرها وهي مجلة ﴿ السعادة الأبدية ﴾ ، و ﴿ الفاتح ﴾ ، و ﴿ المدينة المنورة ﴾ ،
مما دفع سلطات الاحتلال الإنجليزي إلى اعتقاله أكثر من مرة مع ابنه الأكبر السيد
أحمد ماضي أبي العزائم عليه السلام .

وعندما قامت الثورات في أرجاء العالم العربي والإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى
كانت يد الاستعمار تعمل لتحطيم قوى الإسلام والمسلمين ، فقام عليه السلام بتأييد
ثورة تونس سنة ١٩٠٨م بقيادة الزعيمان علي باشا حمية وعبد العزيز الثعالبي ،
 واجتمع بثوار الهند محمد علي جناح ومحمد إقبال وشوكت علي ومحمد علي

والشيخ القرشي وطالبهم بتكوين دولة إسلامية ، كما التقى بالزعيم الشريف السنوسي قائد ثورة طرابلس ضد قوى الاحتلال الإيطالي وذلك في عام ١٩١١م ، وفي عام ١٩١٢م تكونت جمعية دينية إسلامية في جاكارتا بإندونيسيا فاتصل الإمام عليه السلام بزعمائها حيث التقى بهم الإمام عليه السلام في موسم الحج عام ١٩١٢م وكان لهذا اللقاء أثره حين عودتهم إلى بلادهم .

وفي عام ١٩١٨م قامت ثورة الجزائر فكان يغذي الثورة بعلومه وندواته وصحافته فتكونت جمعية علماء المسلمين بالجزائر ، وكان السيد أحمد توفيق المدني زميل الإمام بالأزهر الشريف من أبرز العاملين بهذه الجمعية ، وفي عام ١٩٢٠م انتصر الزعيم الإسلامي عبد الكريم الخطابي في المغرب العربي وألف حكومة إسلامية وطنية تقدمية ، ولكن أسبانيا وفرنسا عاودتا مهاجمته ثم اضطر بفعل الخيانة إلى الاستسلام فنفته فرنسا مع أسرته .

وقد جعل الإمام أبو العزائم عليه السلام من داره مثابة للاجئين من المغرب كما جعل مجلاته ميدانا ينشر فيه انتصارات الثورة ويدعو لتأييدها وتشجيعها .

وفي عام ١٩٢٤م قام الضباط الوطنيون بالسودان بثورة مسلحة ضد الإدارة الاستعمارية ، وكان قائد الثورة علي عبد اللطيف تلميذا للإمام أبي العزائم عليه السلام منذ حداثة سنه ، كما كان زملاؤه كلهم ممن تخرجوا على يديه في كلية غوردون وفي مقدمتهم حسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم وعبد الفضيل أُلماظ .

وفي عام ١٩٣٦م أعلن ثوار فلسطين ثورتهم الكبرى على الصهيونية ، وكان الإمام أبو العزائم عليه السلام يبعث للثوار ويلتقي بهم في داره ، وفي مواسم الحج ، وينبهم إلى مواطن الضعف بينهم فكان وكأنه معهم بأرض المعركة .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يندد بالدعوة الماسونية ١٩٠٦م — ١٣٢٤هـ :

كان أبو العزائم عليه السلام في مصر وهو يكتب في جريدة " المؤيد " يجاهر برأيه في الماسونية وهو بعد طالب بدار العلوم ، ثم دوي صوته بعد التحاقه بالتعليم ، فمن أقاصي الوادي ومن بلدة سواكن ومن مسجدها العام تنبعث صيحاته ، ويقرع الأذان صوته الحق منبها إلى خطر الماسونية ، وإلى مكامن الصهيونية من خلفها ، وما تريده للعالم من دمار وفساد وإلحاد ، وكانت رسائله إلى أبنائه وإلى أتباعه وإلى أصدقائه وزملائه في مصر تشير دائما وأبدا إلى خطورة تلك الدعوة ، وكان مريدوه في السودان يكتبون عنه ما يقول ، ويدونون دروسه في علوم الحكمة وأسرار القرآن الكريم ، منتهزا فرصة تفسير آياته على بني إسرائيل أيام داوود وسليمان عليهما السلام فيرجع نشأة الماسونية إلى تمردهم على حكم نبيهم .

فيقول : ﴿ إن سليمان عليه السلام لم يكن ملكا محليا على أورشليم ، بل امتد ملكه حتى شمل معظم المعمور من الأرض ، وكانت اليهود طائفة امتازت فقط بأنها أمة لها كتاب ، ولكنهم كانوا مصدر قلق وإثارة في المملكة قديما كما هم في كل عصر حتى يومنا هذا ، وقد اتخذوا من صور وصيدا في فينيقيا مركزا لهم ، وتعلموا فيه صناعة الأسلحة والذخائر وبناء السفن ، ثم نشروا الفساد وسيطروا على عقول العامة ، وأكلوا أموالهم بالباطل ، وعثوا في الأرض فسادا ، وأرادوا الاستقلال عن المملكة ، وقتلوا حامية البلاد ورجال الجباية عندما طالبوهم بما عليهم من ضرائب ، فجرد عليهم سليمان حملة بقيادته ، وحاصره أياما حتى استسلموا جميعا فأسرهم ، وأحضرهم إلى القدس ، ووزعهم عبيدا يحرثون ويزرعون أرض الدولة ، ووزع الفائض منهم على الأمراء والإقطاعيين والأثرياء كخدم وفعلة وبنائين ، ويورد الإمام عليه السلام الأدلة على ذلك من آيات الكتاب المبين في قوله تعالى :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿ ص : ٣٥ - ٣٧

ومن المعروف أن للإنس شياطين ، كما للجن كذلك وقوله تعالى في داوود :

﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ۖ﴾ سبا: ١٠ - ١١ وقوله

سبحانه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

رَأْسِيَّتٍ ۖ﴾ سبا: ١٣

والحديد إذا ظهر في الأرض ثارت فيها الثورة الصناعية ، فكانت كتلك الثورة التي شهدتها أوربا في القرنين الماضيين ، وهذا يدل على أن عصر داوود وسليمان عليهما السلام كان عصر تقدم وحضارة ومدنية وعلوم .

ظل اليهود رقيقا في القصور وعبيدا في الأراضي إلى ما بعد موت سليمان عليه السلام ، وقبل موته عملوا سرا على أن تكون لهم اجتماعات سرية يعقدونها فيما بينهم في أمكنة متفق عليها ، ما لبثت أن تمحضت عنها أول جمعية سرية تبنت على مر العصور جميع الحركات الهدامة التي ظهرت في العالم إلى العصر الحاضر ، وقد أطلقوا على هذه الجمعية اسم " جماعة البنائين الأحرار " أي: " الماسون " ، ولما كان مؤسسوها بنائين فقد اتخذوا من آلة البناء رمزا لها وهي " المسطارين " ، وبينما هم يدبرون للقيام بثورة مضادة ضد سليمان عليه السلام ، إذا بهم يكتشفون موته واقفا على عصاة في الوقت الذي كان يختاره لعبادته ، وما كاد نبأ موته يعلن حتى قاموا يعيشون في الأرض الفساد ، فشتتهم ابنه من بعده ، ومن جاء من أحفاده قرونا طويلة حتى أطلقوا على هذه القرون " عصور التشتت " ..

تلك هي الماسونية القديمة ونشأتها خلال العصور كما يصورها الإمام أبو العزائم عليه السلام ، وهذه هي الماسونية الحديثة التي تطورت عنها وتحمل نفس التعاليم ، وتعمل نفس الأعمال منذ القديم ، وإن زادت عليها من جهنميات العصر الحديث ، وأن من يبحث في التاريخ ليجد لها يدا في جميع القلاقل والثورات والفرق والملل والنحل

والمذاهب المنحرفة والآراء الهدامة ، فما وجد اليهود في أرض إلا وكانت مرتعا
للفساد والشهوات والبغي والعدوان ، يوقعون بين الشعوب البغضاء والشحناء
والفرقة ليستفيدوا خيراتهم ، ويمتصوا دماءهم ، ويتركوهم كمًا مُهملاً لا حياة فيه
ولا غناء عنده .

ولقد ثارت ثائرة الماسونية عندما أشار الإمام أبو العزائم عليه السلام ذات مرة إلى مرجع
لم يكن يعرفه آنذاك إلا نفر أقل من القليل فلقد صدرت في عام ١٩٠٦م بالولايات
المتحدة الأمريكية دائرة المعارف الماسونية وجاء فيها بالحرف الواحد : "
أن يكون كل محفل ماسوني رمزا لهيكل ، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً
لملك اليهود ، وأن يكون كل ماسوني تجسيدا للعامل اليهودي " فاستدعاه حاكم
سواكن سير جرانفيل وطالبه بالمرجع الذي أشار إليه فيشير إليه الإمام عليه السلام بيده
إلى صدره (٤٤)

قائلاً : هذا هو المرجع .

فتعجب الحاضرون وزاد عجبهم عندما قال لهم : إنه ليس لديه نسخة من دائرة
المعارف ، وإن منزله تحت أمرهم ليتأكدوا من ذلك ، وقال : إن المؤمن يرى بنور
الله عز وجل لأن الله هو المؤمن ، وبعد أن كان الإمام أبو العزائم عليه السلام يسأل أمام
الحاكم صار هو الذي يسأل الحاكم
فيقول له : " أهذا المطبوع موجود أم لا ؟!

ويجب الحاكم بالإيجاب فيعقب الإمام أبو العزائم عليه السلام بقوله : إذن فقيم
الاستجواب ؟! إنني أتكلم معكم بما تقولون عن أنفسكم .

ويخرج الإمام أبو العزائم عليه السلام منتصرا ، بل ومرهوبا من جانب الإنجليز ، ولم
يكف عن اتهاماته بل زادت ، فكانت تصدر مجلاته ونشراته في مصر وفي العالم

(٤٤) لعل ما يؤيد ذلك في العصر الحاضر إمكان الاتصال عن بعد بواسطة " الجلاء البصري " أو " التليبثاتي " .

الإسلامي كله ، وهي تندد بالماسونية وتكشف وسائلها ومخططاتها من واقع تصرفات أعضائها ، ومن أقوال زعمائها وأقطابها في جميع أنحاء العالم — فالماسونية في نظر الإمام أبو العزائم عليه السلام هي أب للصهيونية وليس العكس كما يقول البعض ، فالصهيونية هي الطفل الوليد والوحيد للماسونية ، أما الصهيونية فهي الشاب الذي سيظهر في فلسطين مقيما للدولة اليهودية على أشلاء أهلها من العرب ..

وبالرغم من تنبيه وإنذار الإمام عليه السلام للزعماء المسلمين والعرب من أخطار الماسونية والصهيونية ، وما احتوته الصحف اليومية ومجلاته الأسبوعية فضلا عن دروسه وخطبه في جميع المناسبات ، فإن أحدا لم يعر الموضوع اهتمامه ، وكأن في آذانهم وقرا ، حتى بعد أن أقام الاستعمار فرعا للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر ، إبان الحرب العالمية الأولى والثانية ، لتراقب عن قرب تنظيم الهجرة إلى فلسطين ، ولتبثت بالمساعدات المالية والحربية والبشرية إلى اليهود في فلسطين ..

ولا يسع القاريء المسلم وهو يطلع على ما كتب هذا الإمام عليه السلام في مجموعة مجلاته خلال أربعين عاما عن هذا الموضوع بالذات إلا أن يشعر بأنه كان يعيش الأحداث قبل وقوعها بعشرات السنين ، وأنه كان يعلم عن الحركات والمذاهب والاتجاهات السياسية والمذهبية أكثر بكثير مما يعلمه كبار الساسة والمفكرين الذين يقودون ويحكمون ، والذين يتخيلون أنهم يؤثرون في روح الشعب وكيانه ، وليت شعري كيف حال من كانوا يسفهون رأيه بالأمس عندما رأوا الحق ناصعا لا لبس فيه ؟! فعرفت ثورة ١٩٥٢م حقيقة الماسونية فقضت عليها طال الزمان أم قصر ، فلا أهمية للزمن في عمر الأمم فإن الحق عائد لأصحابه ، وما العقوبات في سبيله إلا لتكون دروسا للشعب للمحافظة أكثر وأكثر عند استعادة حقوقه ..

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يتحدى اللورد كرومر ١٩٠٦م — ١٣٢٤هـ:
ارتبط اسم اللورد كرومر الحاكم الإنجليزي بمصر بحادثة دنشواي .. حين أصدر
أوامره بنصب المشانق للفلاحين المصريين الذين وقفوا ضد جنود بريطانيا العظمى
عام ١٩٠٦م — ١٣٢٤هـ ، وطبقت أحكام القتل بالشنق على أهل دنشواي بلا
رحمة ولا شفقة .. بأوامر صارمة من اللورد كرومر ووقف مصطفى كامل يفضح
أساليب بريطانيا واللورد كرومر في صحف العالم .

ودق ناقوس ثورة شعبية في صميم الريف المصري بين الفلاحين المعدمين العزل من
السلاح ، وبين جنود بريطانيا المتربعة على عرش العالم آنذاك ، فاعتبر الإمام أبو
العزائم عليه السلام ما حدث في دنشواي أول ثورة شعبية حقيقية في مصر بغض النظر
عن الحيز الذي شغلته ، وعن عدد الثائرين الذين قاموا بها ، وعنده عليه السلام : ﴿ إِنَّ
الثَّوْرَةَ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ﴾ ولم يكن أكثر جوراً وأشد ظلماً من
الاستعمار ، وقد كان لموقفه من هذه الثورة صدى كبير لدى الأوساط السياسية
والشعبية ، ورغم بعده عن مصر في أقاصي السودان فقد اتصل بالزعيم الشاب
مصطفى كامل^(٤٥) وزميله محمد فريد^(٤٦) وعبد العزيز جاویش^(٤٧) ، كما اتصل
بحكام مصر وساستها ، وعاب على الهلباوي موقفه موقف المدعي من هؤلاء
الفلاحين الشرفاء ، ولم يثنه بغى وطغيان كرومر عن أن يرسل إليه بقصيدة بهذه

(٤٥) مصطفى كامل باشا الأعلام ٧ / ٢٣٨ . " ١٨٧٤م — ١٩٠٨م " " ١٢٩١هـ — ١٣٢٦هـ " . أنشأ

جريدة اللواء ١٩٠٠م . وأنشأ الحزب الوطني ١٩٠٧م .

(٤٦) محمد فريد بك الأعلام ٦ / ٣٢٨ . " ١٨٦٨م — ١٩١٩م " " ١٢٨٤هـ — ١٣٣٨هـ " . رئيس

الحزب الوطني ١٩٠٨م . وحسب ونفي ١٩١٢م .

(٤٧) عبد العزيز جاویش الأعلام ٤ / ١٧ . " ١٨٧٦م — ١٩٢٩م " " ١٢٩٣هـ — ١٣٤٧هـ " . تولى

تحرير جريدة اللواء ١٩٠٨م . وأصدر جريدة الهلال في الأستانة ثم مجلة الهداية ثم مجلة العالم الإسلامي .

المناسبة وليكن ما يكون ، وعلى كل فقد كان حادث دنشواي نهاية لحكم الطاغية كرومر وهذه أبيات القصيدة التي يتوجه بها إلى المولى عز وجل فيقول الإمام أبو العزائم عليه السلام: ١٩٠٦م — ١٣٢٤هـ

إِلَيْكَ أَمْرِي يَا مَوْلَايَ أَرْفَعُهُ وَأَلْعَبْدُ يَسْأَلُ بِالْإِخْلَاصِ مَوْلَاهُ
أَنْتَ الْغَيُورُ عَلَى الْفُقَرَاءِ تَنْصُرُهُمْ وَمَنْ أَتَى ضَارِعًا لِلَّهِ أَغْنَاهُ
يَا سَيِّدِي غَارَةً مِنْ سَوْطِ نَقْمَتِكَمْ عَلَى مَنْ يُرِدْ ذُلُّهُمْ وَالتَّانَصِيرُ اللَّهُ
طَعَى عَلَيْنَا بِمَا قَدْ نَالَ مِنْ نِعَمٍ مِنْ زِينَةِ الْعَرَضِ الْفَانِي وَمَبْنَاهُ
وَلَيْسَ لِلْفُقَرَا غَوْثٌ يُغِيثُهُمْ إِذَا رُمُوا غَيْرَ قَوْلٍ "حَسْبِيَ اللَّهُ"
يَا غَارَةَ اللَّهِ إِنَّ الظَّالِمِينَ طَعَوْا بَعِيًّا عَلَيْنَا وَكَيْدَ الْقَوْمِ نَحْشَاهُ

ثم أشار الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى كرومر قائلا :

فَأَسْرِعِي فِي دِمَارِهِمْوُ بِكَارِثَةٍ تَرْمِي عَمِيدَهُمْوُ فَأَلْبَغِي أَعْمَاهُ

وتحققت دعوة الإمام المجدد عليه السلام وفضح كرومر عميد الطغيان وأقصي عن مصر وذهب إلى غير رجعة كما تنبأ الإمام المجدد عليه السلام .

تأثير الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام على ثورة الهند ١٩٠٦م — ١٣٢٤هـ

وفي عام ١٩٠٦م قامت ثورة عارمة في الهند واتحدت نحو هدف واحد هو التخلص من سيطرة بريطانيا ، وحكم الهند نفسه بنفسه ، وكان حزب المؤتمر الذي تأسس عام ١٨٨٧م ، والذي ضم عناصر المثقفين والقادة السياسيين يضم كثيرا من رجالات الإسلام الهنود أمثال محمد علي جناح^(٤٨) ومحمد إقبال^(٤٩) وشوكت علي

(٤٨) محمد علي جناح : " ١٢٩٣هـ — ١٣٦٧هـ " — " ١٨٧٦م — ١٩٤٨م " . أول رئيس لباكستان " ١٩٤٧م — ١٣٦٦هـ " . ورئيس الحلف الإسلامي " ١٩٠٦م — ١٣٢٤هـ " .

والشيخ قرشي وغيرهم .. ولما كان المسلمون أقلية بالنسبة للملايين من الهندوسيين فقد رؤي تكوين حزب لهم فكان " حزب الرابطة الإسلامية " عام ١٩٠٦م والذي يعتبر بداية مولد باكستان التي قامت باسم تسعين مليوناً من المسلمين على أساس من العقيدة والحضارة الإسلامية والمثل الأخلاقية العليا ، ولم تقم على أساس من العنصر ، وقد نص دستور باكستان على أنها جمهورية إسلامية تعيش بحسب تعاليم الدين الإسلامي وعلى هديه ، وتعمل في الميدان الخارجي على ضوء صلتها بالدول الإسلامية ، وقد كان دور الإمام أبي العزائم عليه السلام في إنشاء دولة باكستان من أوضح الأدوار فيها ، فقد شهدت داره منذ نهاية الحرب العالمية الأولى اجتماعات زعماء الحركة الباكستانية إلى آخر أيام حياته ، وكان من بينهم من تولى الحكم بعد الاستقلال في الهند عام ١٣٦٦هـ — ١٩٤٧م ، وعلى رأسهم ظفر الله خان وزير خارجية باكستان وعبد الستار سيت سفير باكستان في مصر وقد ظلا على وفائهما بعد وفاته كما كانا له حال حياته يزورون ضريحه ويجتمعون بابنه الإمام أحمد أبي العزائم عليه السلام ويتدارسون تراثه "

قيام الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام بعمره سياسية :

ويعبر الإمام عليه السلام البحر إلى أراضي الحجاز في أول عمرة له في سبيل الدعوة ، وفي سبيل الوطنية والإسلام ، ولم يكن أمر هذه الرحلة معلوما لدى أتباعه ، ويلوح لنا أنها كانت عمرة لعدم موافقة تاريخها للأشهر المعلومات ، وأيا كانت رحلة الإمام عليه السلام ، وسواء أكان حاجاً أم معتمراً ، فإن الغرض والباعث على الارتحال كان سياسياً ، وإن الإنسان ليأخذ العجب وتستبد به الدهشة عندما يطلع على آثار

(٤٩) محمد إقبال : " ١٨٧٦م — ١٩٣٨م " — " ١٢٩٣هـ — ١٣٥٧هـ " دعا إلى إنشاء باكستان

والاستقلال عن الهند .

هذا الرجل مما أطلق عليه " علم الجفر " (٥٠) فإن ما قاله منذ أعقاب القرن الماضي إلى عشية وفاته يطلعنا على كتاب القدر ، مما دفع بمريديه وشرائح نظرياته إلى اعتناق كل ما جاء به كقضاء مبرم ، وذلك لتحقيق كل ما أشار إليه من أحداث عالمية وإسلامية وعربية .

قابل الإمام أبو العزائم عليه السلام الشريف حسين بن علي (٥١) في مكة ، ولكم كانت دهشة الأمير العربي عندما أطلعته الإمام أبو العزائم عليه السلام علي مكنون اتفاقاته مع الحلفاء قبل الحرب العالمية الأولى ، وربط له الأحداث العالمية بالأحداث الإسلامية والعربية والتركية ربطا محكما بأطماع الاستعمار والصهيونية ، ونتائج مؤتمر بانرمان لرعماء الاستعمار الذي انعقد بلندن في سبتمبر ١٩٠٧ م ، والتآمر ضد الخلافة الإسلامية ذاتها بصرف النظر عن الأشخاص والملوك والأمراء ، وقال في مختتم حديثه مع الشريف " إن ما تعاني منه الأمة الإسلامية هو من نتائج مرض التفرقة الذي أعدم الثقة بين المسلمين ، وأنشأ بينهم العداوة والبغضاء كركوهم إلى أعداء دينهم .

انتهت مقابلة الإمام أبي العزائم عليه السلام بشريف مكة بعد أن تعهد بعدم إفشاء ما حدث فيها ، غير أنه كان حائثا في عهده قبل أن يتلفظ به ، فلم تمض أيام حتى كان هنري مكماهون في مصر وريجنالد وينجت في السودان على علم بما حدث بين الإمام عليه السلام والشريف .

(٥٠) علم الجفر : علم مرموز إليه بكلمة جفر وهو منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام — انظر مقدمة ابن خلدون تحقيق الدكتور عبد الواحد وافي .

(٥١) الحسين بن علي : " ١٨٥٦م — ١٩٣١م " شريف مكة والحجاز ١٩٠٨م ، نشأ في استانبول ، أعلن الثورة العربية ١٨١٦م ، وطرد الأتراك ، وأصبح ملك الحجاز ، هزمه ابن سعود ١٩٢٤م فترك البلاد وأقام في نيقوسيا ، توفي في عمان ودفن في الحرم الشريف ، خلفه ابنه علي ثم تنازل ١٩٢٥م ، ملك ابنه عبد الله في عمان وفصل في بغداد .

تأييد الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام لثورة تونس وضيافته لزعمائها ١٩٠٨م — ١٣٢٦هـ:

وفي عام ١٩٠٨م ثار الزعيم التونسي على باش حمية وزميله عبد العزيز الثعالبي^(٥٢) ، وكانوا ممن حضروا على الشيخ محمد عبده في مصر مجاورين بالأزهر مع الإمام أبي العزائم عليه السلام ، وكانت ثورتهم تتلخص في تكوين حزب لتنوير الشعب وتعريفه حقوقه وواجباته ، فتألف "حزب تونس الفتاة" وكان لهذا الحزب دوره مع الإمام عليه السلام حيث توحدت جهوده في تكوين جماعة الخلافة الإسلامية في تونس عام ١٩٢٤م ، وكان الثعالبي يؤمن باتجاهات الإمام أبي العزائم عليه السلام تلك الاتجاهات التي تعارض الاحتلال الأوربي ، وترى فيه عدوانا صليبيا ، ومظهرا من مظاهر الاضطهادات الدينية التي شهدتها أوروبا في القرون الوسطى ، وقد أزعجت حركة الحزب المستعمرين الفرنسيين وسببت لهم الكثير من الخسائر والمتاعب ، فلجأت إلى حل الحزب قبيل الحرب العالمية الأولى ، وشتت شمل القائمين به بين معتقل ومنفي ، فلجأوا إلى مصر واستضاف الإمام أبو العزائم عليه السلام الثعالبي وباش حمية إلى ما بعد الحرب حيث كونوا الحزب الدستوري عام ١٩٢٠م ، وآزره الملك محمد الناصر إلى أن حله الفرنسيون عام ١٩٣٣م .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يقف بجانب الثورة التركية ١٩٠٨م — ١٣٢٦هـ:

وفي عام ١٩٠٨م حدثت ثورة الاتحاديين في تركيا وتكونت "جمعية الاتحاد والترقي" إلى جانب "جمعية تركيا الفتاة" ووحدتا جهودهما ضد استبداد

(٥٢) عبد العزيز بن إبراهيم الثعالبي : " ١٨٧٤م — ١٩٤٤م " " ١٢٩١هـ — ١٣٦٣هـ " رئيس الحزب الدستوري " ١٩٢٠م — ١٣٣٨هـ " ، حله الفرنسيون " ١٩٣٣م — ١٣٥٢هـ " ، أعتقل عدة مرات ، غادر تونس إلى البلاد العربية ١٩٢٣م وعاد ١٩٣٧م ثم أعتزل السياسة .

السلطان عبد الحميد^(٥٣) وقد أثرت تلك الجهود فأعاد الدستور بعد أن ظل معطلا ربع قرن ولكنه كحركة مضادة كون جمعية رجعية باسم " الجمعية المحمدية " وأجبر علماء الدين في مختلف الولايات على عضويتها ، وتزعم الجمعية الشيخ أبو الهدى الصيادي^(٥٤) داهية السلطنة ، وظن أبو الهدى أن يستطيع أن يضم إليه الإمام أبا العزائم عليه السلام ، فأرسل إليه أحد أتباعه متخفيا في زي الدراويش ، ولما اطمئن إلى خلوته بالإمام أبي العزائم عليه السلام سلمه رسالة أبي الهدى طالبا منه الرد كتابة ، ولكن الإمام عليه السلام استطاع أن يرده بكلمات شفوية لأنه لم يكن يرتاح إلى سياسة أبي الهدى القائمة على التفرقة ، وإثارة العناصر والتجسس ، وكلها أمور على نقيض سياسة أبي العزائم عليه السلام التي تقوم أساسا على قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٣

ولو لم يقدر زوال الرياسة عن أبي الهدى لكان له مع الإمام عليه السلام موقف آخر كذلك الذي وقفه من جمال الدين الأفغاني^(٥٥) وغيره من العلماء والقادة التقدميين وقد قام الإمام أبو العزائم عليه السلام بإرسال الرسالة تلو الأخرى إلى كل من زعماء الاتحاديين وزعماء حزب تركيا الفتاة وإلى السلطان ورجال الحاشية بالأستانة محذرا من التفرقة ، ومن تشتت الكلمة في الوقت الذي تربص فيه أوروبا بدولة الخلافة

(٥٣) السلطان عبد الحميد : " ١٨٤٢م — ١٩١٨م " " ١٣٣٦هـ " سلطان عثمانى ١٨٧٦م ، عرف باستبداده وسفك الدماء ، عزل " ١٩٠٩م — ١٣٢٧هـ " .

(٥٤) أبو الهدى الصيادي : " ١٨٤٩م — ١٩٠٩م " " ١٣٢٧هـ " أشهر علماء الدين الإسلامي في عصره ، قربه السلطان عبد الحميد .

(٥٥) جمال الدين الأفغاني : الأعلام ٦ / ١٦٨ " ١٨٣٨م — ١٨٩٧م " " ١٢٥٤هـ — ١٣١٥هـ "

وبالعالم الإسلامي والعربي ، وتنتظر الساعة التي تنقض فيها على الشرق انقضاء
الوحوش ، ويستثير حماسة السلطان عبد الحميد مذكرا إياه بموقفه الصلب في وجه
الصهيونية العالمية ممثلة في زعيمها هرتزل^(٥٦) عندما أراد أن ينتزع من السلطان أمرا
بإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين وبينه في الوقت نفسه إلى أن الصهيونية لن
تسكت على هذه الإهانة وأنها لابد مدبرة أمرا والله عز وجل يقول : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ النساء: ٧١.

غير أن القضاء كان قد وقع فلم يلبث عبد الحميد إلا قليلا حتى أقصي عن الخلافة
عام ١٩٠٩م وكانت تلك بداية لنهاية الخلافة الإسلامية وما أعقبها من أحداث .

(٥٦) هرتزل : " ١٨٦٠م — ١٩٠٤م " " — ١٣٢٢هـ " مجري يهودي أسس الصهيونية .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يؤيد الثورة الليبية ويؤوي ثوارها ١٩١١م —

: ١٣٢٩هـ

وفي عام ١٩١١م كانت الثورة في طرابلس تُقَضُّ مضاجع العالم الغربي فقد أمكن لمائه وخمسين من جنود طرابلس بقيادة الشريف السنوسي^(٥٧) من إبادة ٣٠٠٠ جندي إيطالي قبل أن تحصدتهم مدافع الإيطاليين ، وانهار التأييد بالمال والسلاح والمتطوعين على ليبيا ، وأكدت صحافة الإمام أبي العزائم عليه السلام الناشئة أن دور المسلم مهما تضاعل فهو مؤيد بالحق وتوالت الهزائم على إيطاليا ، والكوارث على الثوار ، وبرزت حركة شعبية بمصر مؤداها أن مصر للمصريين ، وأنه لا داعي لإرسال الأموال والأنفس إلى ليبيا ، لأن تركيا تخلت عنها ، وإيطاليا تؤازرها الدول الأوروبية القوية ، ومن ثم فلا بد لإيطاليا من احتلال ليبيا ، ومن واجب العرب والمسلمين أن يوفرُوا أموالهم وأرواحهم ، وكان يتزعم هذه الحركة وحزب أبناء الأسر في مصر وبعض المثقفين وقد تصدى الإمام أبو العزائم عليه السلام لهم بمقالات كثيرة ، واستمرت حملته إلى ما بعد الحرب حيث استؤنف القتال بين الثوار وإيطاليا ولجأ السيد أحمد الشريف السنوسي إلى تركيا ثم إلى مصر وكان ملازما ومن معه من الثوار لدار الإمام أبي العزائم عليه السلام حيث كانت تنشر مجلاته أنباء الثورة ، وترد على مزاعم المستعمرين ، وترسل الاحتجاجات إلى ملك إيطاليا ، وقدااسة البابا ، وكبار الساسة الأجانب ، وقناصل الدول^(٥٨) .

(٥٧) الشريف السنوسي : الأعلام ١ / ١٣٥ ، " ١٨٦٧م — ١٩٣٣م " " ١٢٨٤هـ — ١٣٥٢هـ " قاتل الإيطاليين ١٣٣٩هـ رحل إلى الأستانة — والى حركة مصطفى كمال الاستقلالية.

(٥٨) مجلدات السعادة الأبدية والمدينة المنورة منذ عام ١٩٢٢م .

أثر الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام على يقظة شباب إندونيسيا ١٩١١م —

: ٥١٣٢٩

وفي عام ١٩١١م تنبه الشباب الوطني في إندونيسيا إلى حقوقه ورغب في رفع مستوى الشعب ثقافيا واجتماعيا ودينيا فتأسست جمعية "نودي أوتومو" أي التزعة إلى الفضيلة ثم خطوا خطوة اقتصادية هامة في محاربة المستعمر فتأسست شركة "دامانج إسلام" أي الشركة التجارية الإسلامية والتي تحولت فيما بعد إلى حزب إسلامي يستهدف غايات سامية في إطار تعاليم الإسلام وفي عام ١٩١٢م تأسست الجمعية المحمدية بمدينة "جوجاكرتا" واتصل الزعماء وعلى رأسهم محمد حتى وشهرير عام ١٩١٢م في موسم الحج بالإمام أبي العزائم عليه السلام وكان لهذا اللقاء أثره فما كادوا يعودون إلى بلادهم حتى كونوا جمعية دينية إسلامية باسم "جمعية نهضة العلماء" وقد قامت هذه الجمعية على الأسس التي وضعها الإمام أبو العزائم عليه السلام ليقظة الشعوب الإسلامية ووسائل استعادة مجدها^(٥٩)، ورأت الجمعية أن توسع نشاطها فأنشأت فروعاً في جميع أنحاء البلاد، وكادت تنجح في أعقاب الحرب العالمية الأولى في القيام بحركة للاستقلال، غير أن الدول الاستعمارية هبت لنجدة هولندا، وقد اشتركت الجمعية وزعمائها مع الإمام أبي العزائم عليه السلام في العمل على إحياء الخلافة الإسلامية، وكان لوفدها في المؤتمر الإسلامي بمكة شأن عظيم معه كما كان زعماء إندونيسيا — أحمد سوكارنو^(٦٠) وزملاؤه من أعضاء الحزب الوطني على صلة شخصية دائمة بالإمام أبي العزائم عليه السلام.

(٥٩) الإسلام نسب لأبي العزائم عليه السلام طبعة عام ١٩١٤م.

(٦٠) أحمد سو كارنو: "١٩٠١م — ١٩٧٠م" سياسي اندونيسي، أعلن استقلال بلاده عن هولندا

١٩٤٥م — رئيس الجمهورية "١٩٤٥م — ١٩٦٧م".

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام في مواجهه الحاكم الإنجليزي وينجت ٢٦ رمضان

١٣٣٣هـ - ١٩١٥/٨/١ م :

وأعلنت الحرب العلمية الأولى ودُعي الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى حفل غداء بسراي الحاكم العام فامتنع عن تناوله بحجة الصيام بينما لم يوافق اليوم يوما من أيامه ولا مناسبة من مناسباته ولما سأله الحاكم الإنجليزي عن سبب صيامه ؟ قال : إنه شكر الله تعالى على نعمة المساواة ..

فقد أعلنت الحكومة البريطانية الحماية على مصر والسودان فأصبح المصري والسوداني والبريطاني أمام القانون سواء بحيث أنني لو لطمت سيادة الحاكم العام الإنجليزي كفا على صدغه " هكذا " لكننا سواء أمام القانون لا فرق بين حاكم ومحكوم وهذا يستحق الشكر لله تعالى صوما له عز وجل وقد سرَّ الحاكم لذلك سرورا عظيما وضحك الحاضرون من هذه الدعابة وقرب وينجت منه الإمام أبا العزائم عليه السلام منذ تلك الواقعة التي لم تنطل على من حاولوا شرحها فيما بعد . لم تنته الأحداث بين السلطان وبين الإمام أبي العزائم عليه السلام عند هذا الحد فقد أمكن للحاكم البريطاني أن يحدد موقف الكثير من قادة السودان وزعمائه بأن يكونوا تحت لواء الاستعمار .

كما استطاع " مستر وينجت " الحاكم العام الإنجليزي بالسودان أن يجند بعض علماء السلطة لخدمة الإنجليز بالسودان والدعوة لطاعتهم بحجة أنهم أولو الأمر حيث ردّوا أن طاعة الإنجليز واجبة بنص القرآن

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩.

فكانوا يرددون تلك الآية ثم يقفون عند كلمة ﴿وَأُولِيَ الْأَمْرِ﴾ .

وانتشرت هذه الأفكار الخبيثة بين مسلمي السودان وهنا انبرى الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام لتوضيح الأمر لأهل السودان فألقى خطبة في الجامع الكبير بالخرطوم

مبيناً أن الذين قالوا ذلك من علماء السلطة خانوا دينهم كالذين قالوا: ﴿لَا تَقْرَبُوا

الصَّلَاةَ﴾ النساء: ٤٣

و لم يقولوا: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ النساء: ٤٣

فالقرآن يقول: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩

أي: ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها المسلمون وليس من الإنجليز .

واستدعى الحاكم إليه الإمام عليه السلام وطلب منه أن يكتب مؤيداً بريطانيا وإصلاحاتها الإدارية وأن يبين مثالب الحكم العثماني وكان الإمام أبو العزائم عليه السلام لا يعترف بقوانين الجنسية أو الإقليمية أو النعرة القومية بين الأمم الإسلامية فكان عنده الإسلام هو النسب والانتساب والقومية والجنسية أيما كان المسلم وكيفما كان وكان جدال بينهما انتهى بسؤال من الإمام عليه السلام إلي الحاكم البريطاني نصه أكتب ضد الإنجليز؟

فقال : كيف هذا وأنا رجل متعلم !؟

ورد الإمام عليه السلام: إذن كيف تطلب مني أن أكتب ضد وطني وأنا معلم !؟
ثم شرح له نسب الإسلام ونظرياته في الجنسية فلا تكون هذه هي الأخيرة ، ويصر الحاكم على أن يضم إليه أبا العزائم عليه السلام ، أو أن يقصيه نهائياً عن البلاد ، وأعد حفلاً كبيراً بنادي الضباط لتعارف البريطانيين والمصريين والسودانيين وإقرار التعاون فيما بينهم لحكم السودان ، وما كادت الدعوة تصل إلي الإمام أبي العزائم عليه السلام حتى جمع أتباعه ومريديه وقاطع الحفل ، فلما أرسل الحاكم العام إليه طالباً إعلان موقفه ذهب إلى المسجد العام بالخرطوم ، وبعد صلاة العصر أعلن الإمام أبو العزائم عليه السلام رأيه في آيات قرآنية تلاها بأعلى صوته فرددتها جوانب المسجد وخرج من الصلاة إلى بيته ، وهو يعلم مصيره الذي أعد له ، وكان النفى الذي

خففته جهود محمود باشا سليمان وحمد باشا الباسل إلى تحديد إقامته وأسرته بالمنيا ، ربما ينظر في أمر عزله من وظيفته بكلية غوردون كمدرس للشريعة الإسلامية بها وفي أغسطس عام ١٩١٥م جاءه قرار الوقف من وظيفته بحجة الإجراءات الاقتصادية^(٦١) ولعل في نشر صورة هذا القرار ما يغني عن التعليق .

قرار إقصاء الإمام المجدد عليه السلام من وظيفته ٢٦ رمضان ١٣٣٣هـ

— ١٩١٥/٨/٣٠ م :

ولقد كان الإمام أبو العزائم عليه السلام يرى أن أهم وظائف الرجل الديني وواجباته الأولى ، معالجة الشئون السياسية والتدخل فيها وفهمها حق الفهم ، وكان يرى أن المعنى المفهوم من السياسة هو الوعظ والإرشاد والنهي عن الفساد والنصيحة للحاكمين بل لعامة الناس ، والتحذير من الوقوع في حبال الاستعمار والاستعباد ، ولذلك كانت حملته على الإنجليز في السودان خطيرة عليهم زلزلت كيانهم وقوضت كثيرا من دعائمهم ، وكان تفسير قوله تعالى : ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المجادلة: ٢٢ أشد عليهم من ضربات السيوف ، فأقصت عنهم أذنانهم وفرقت أعوانهم وعرفت المواطنين أن أذئاب المستعمرين وأنصارهم هم أعداء الله وأعداء الوطن ، وفطن الإنجليز لخطر الإمام أبي العزائم عليه السلام في السودان ، وعرفوا قوة أنصاره وأعوانه التي كانت في ازدياد مستمر فعجلوا بإقصائه في ١٣٣٣هـ وأقصي الإمام أبو العزائم عليه السلام بوثيقة كتبها الحاكم العام للسودان في ٢٦ رمضان ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥/٨/١ م فاستقبل أمر الإقصاء بصدور رحب لأنه كان يجاهد في سبيل الله .

(٦١) انظر كتاب " الإسلام في السودان " لجون سبنسر تريمينجهام " — الباب السادس — تحت عنوان :

الطرق الصوفية وبالتحديد في الفصل الخامس عشر عن الطريقة العزمية ص ٢٣٩ .

إبعاد الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام من السودان :

وكذلك أصدروا أمرهم بنفي الإمام عليه السلام من الخرطوم إلى مالطة ، وبالفعل سافر في نفس اليوم الذي ألقى فيه هذه الخطبة ، حيث أشاع الإنجليز كذبا أنهم نقلوه للعلاج من رمد أصابه ، حتى لا يحدث في السودان هياج أو اضطراب لكن سرعان ما تجلت الحقيقة غير أن السودان وقتها كان يرزخ تحت حكم عسكري وأحكام عرفية قاسية ، حتى إذا انزاحت هذه الأحكام طالب السودانيون باستقلالهم فقبض الإنجليز على القادة المرحوم علي عبد اللطيف وإخوانه ، وفي هذه المحاكمات تجلت روح علاقات هؤلاء الزعماء بالإمام أبي العزائم عليه السلام مما جعل الإنجليز يدركون حقيقة عظمتهم وأثر عداوته لهم ، وكيف كان أثره في السودان الأثر الذي فجر هذه الثورة المباركة التي بدأت السودان تخطو على أنوارها إلى حيث نالت حريتها واستقلالها .

ولقد سافر الإمام عليه السلام يوم سفره من الخرطوم إلى حلفا ومعه زوجته وأولاده وكانت تأتي في كل محطة من المحطات التي يقف عليها القطار بالسودان قوة عسكرية إنجليزية لتطمئن على وجوده في بالقطار . ولما وصل الإمام عليه السلام الشلال كان ينتظره هناك آلاف من تلاميذه ومن خيرة رجالات مصر ، وكان الباخرة التي أقلته من حلفا إلى الشلال الحاكم العسكري العام سير دار الجيش المصري " ونجت " ، فتقابل مع " ونجت " تلاميذ الإمام عليه السلام وعلى رأسهم المرحوم محمود سليمان باشا ومحمود الشندويلي باشا وأحمد باشا الشريعي وحمد الباسل باشا ، وكثيرون من أعلام المحاماة والطب والعلماء والأعيان . وطلب هؤلاء من الحاكم العام أن يكون نفي الإمام عليه السلام في قريته بالمنيا فاتصل الحاكم بالجنرال لاسلكيا ، وصور لحكومته خطورة نفيه إلى مالطا ، فوافقوا على أن ينفي إلى قريته في " المنيا " وبقي فيها حتى ضاقوا به ذرعا ، إذ كانت

القرية مدرسة للإمام عليه السلام خرجت أعلام الوطنيين وأئمة المجاهدين الذين بدأت بهم الثورة الوطنية سنة ١٩١٩م ، فطلبوا منه أن يترك قريته وأن يقيم بالقاهرة تحت أعينهم ورقابتهم فصعد بالأمر .

أثره في أهل السودان:

غير أنه عليه السلام ترك أثارا كبيرة في أهالي السودان حيث أنه جذب القلوب إليه بأخلاقه العالية وصفاته السامية خاصة زهده وورعه عليه السلام وقد وصل به الأمر إلى أن الفقراء كانوا يتعرضون له في اليوم الذي يقبض فيه راتبه فيوزعه عليهم ويرجع إلي داره بغير شيء معتمدا على فضل الله عز وجل ، ولما استاء من حوله من هذا الأمر عاتبوه ذات مرة وبينما هو يتحدث معهم إذا بسيارة محملة بكل ما يتطلبه المنزل من حاجات أرسلها رجل كريم من أهل اليسار فقال عليه السلام : " لقد أحضر الله لكم كل ما تحتاجون إليه بغير نصب ولا تعب وكأنه يعاملكم معاملة أهل الجنة " وخص عليه السلام بحبده وعطفه الفقراء حتى كان أكثر من مرة يطلب من أهل بيته تجهيز اللوائم الفاخرة بحجة أنه سيزوره بعد صلاة الجمعة نفر من الوجهاء والأمراء ثم يعود إلى المنزل وليس حوله إلا نفر من الفقراء فيعجب أهل المنزل من ذلك الوضع ويقولون له : " لم تكلفنا وأنت تعلم أنه لن يأتي معك أحد من الوجهاء " . ولما تكرر هذا الأمر منهم

قال عليه السلام لهم ومعلما لنا : ألا ترون ؟! أليس عندكم بصيرة ؟! هذا وأشار إلى فقير ذي أسمال بالية عند الله وجيها وهذا وأشار إلى مسكين حافي القدمين يلبس المرفعات وجيها في الدنيا والآخرة وهذا أمير الزهاد وهكذا يضع لكل واحد من الفقراء ما يناسب حاله ومقامه عند الله عز وجل .

ويتمثل بقول سيدي أبي مدين رحمته الله :

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفُقَرَا
عَنِ السَّلَاطِينِ وَالسَّادَاتِ وَالْأُمَرَا

رأي المستشرقين في الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام

وإليك يا أخي ما شهد به الأعداء أنفسهم ما جاء في كتاب " الإسلام في السودان
" (٦٢) تأليف جون سبنسر تريمينجهام في الباب السادس تحت عنوان الطرق الصوفية
وبالتحديد في الفصل الخامس عشر عن الطريقة العزمية ص ٢٣٩ .

Azmiyya :

This was Founded in the Sudan by an Egyptian
Sheikh , Muhammad Madi Abul _ Azaim (1870 -
1936) who was a teacher at Gordon College from
1905 to 1915 when he was deported to Egypt for this
ten , deatious political principles In Egypt , he
established his seat .

His son Ahmad has now succeeded him .

والترجمة العربية لهذه الفقرة هي كالآتي :

الطريقة العزمية :

أسس هذه الطريقة شيخ مصري هو محمد ماضي أبو العزائم
﴿ ١٨٧٠م - ١٩٣٦م ﴾ وكان يعمل مدرسا بكلية غوردون في الفترة من عام
١٩٠٥م حتى عام ١٩١٥م حيث أبعاد إلى مصر بسبب ميوله السياسية وفي مصر
استقر خلفه الآن ابنه أحمد في رئاسة الطريق .

(٦٢) الكتاب مطبوع في إنجلترا والناشر هو فرنك كاس وشركاه ليمتد رقم ١٠ شارع ووبوره ووك بلندن
بالاتفاق مع مطابع جامعة اكسفورد الطبعة الأولى في ١٩٤٩م والطبعة الثانية في عام ١٩٦٥م .

تصحيحه عليه السلام الفكرة الخاطئة عن التصوف وشهادة المستشرقين بذلك :
لقد تركت العهود السابقة طابعها على التصوف وما كان طابعها إلا الجمود
والضعف والانهيار ، لقد أهمل شأن التصوف حتى انطفأت مصابيحها وانقلب إلى
عادات وتقاليد وطقوس ، فنادى الإمام أبو العزائم عليه السلام بتطهير ما أدخل على
التصوف من خرافات وشعوذة وتهميد وعبادة للأشخاص ومتاجرة بالكرامات
وعمائم ملونة ، وقام عليه السلام ييصر الناس برسالة التصوف الروحية والأخلاقية
والوطنية ، ويبين أن التصوف أخلاق نبيلة ، وكمال مثالي ، وجهاد وتفوق في
العمل كما هو جهاد وتفوق في العبادة ، وأن واجب رجال الطرق الصوفية أن
يكونوا مصابيح مشعة بالخير والحق لأنفسهم والناس كافة .

ولذلك فقد ظن المستشرقون أن فكر الإمام أبي العزائم عليه السلام عن التصوف تأثر
بدرجة كبيرة بمبادئ محمد بن عبد الوهاب بما لمسوه من محاربة الإمام عليه السلام
لأعمال أدعياء التصوف على أنها من تعاليم الصوفية .
فلقد جاء في كتاب " الإسلام في السودان " لجون سبنسر تريمنجهام في صفحة
٢٤٠ .

Muhammad Madi Abul Azaim , originally a
Shadhili , had been strongly influenced by Wahhabi
reformist principles , He aimed at the destruction of
The influence of the great hereditary religious
sheikhs , urging that sanctity had nothing to do with
hereditary , He condemned the veneration of
sheikhs , worship at tombs , and mourning a
funerals , The tariqa membership reached its zenith

in the Sudan , where his followers are called Azmiyya in the nineteen _ twenties .

والترجمة العربية للعبارة السابقة هي كما يأتي

﴿ محمد ماضي أبو العزائم الذي كان أصلاً شاذلياً تأثر بدرجة كبيرة بالمباديء الوهابية الإصلاحية فكان هدفه هو تحطيم النفوذ المتوارث بالمشايخ الكبار داعياً إلى أن القداسة لا علاقة لها بالأصل والنسب واستنكر تقديس المشايخ والتبتل عند الأضرحة والحداد في الجنازات . وقد بلغت طريقته نجاحاً من حيث الانتماء إليها في السودان في العشرينات وكان أتباع الطريقة يسمون بالعزمية ﴾ .

والمطلع على فكر الإمام أبي العزائم رحمته الله يجده ينهض برسالة التصوف رسالة الحق والخير والإيمان رسالة الطهر والأخلاق والكمال ، ولا يدخل رحمته الله في جدل ولا حوار ولا سفسطة مع المتعشقين في اتهام المسلمين بالشرك والكفر والبدعة والفسق ، مع المولعين بالسباب والشتائم ، مع دعاة احتكار الصواب أو الانفراد بالوصاية علي الإسلام من أمثال محمد بن عبد الوهاب . إن تعاليم الإمام أبي العزائم رحمته الله تعمل في الباطن والظاهر ، إنها تربية تشمل الضمير والوجدان والحس كما تشمل اليد واللسان والجوارح .

لَا تَهُمُّ شَاهِدُوا نُورًا مِنْ أَلْبَرٍ
فَلَا يَنَامُونَ طُولَ اللَّيْلِ لِلْفَجْرِ
وَعَيْرُهُمْ فِي ظِلَامٍ أَلْكَوْنَ فِي قَبْرِ
أَعْلَى الْمَعَالِي وَحَازُوا غَايَةَ الْفَخْرِ
مَعَ الْحَبِيبِ عَلَى شَوْقٍ لَدَى الذِّكْرِ
تَرَى ضِيَاءَ عَلِيٍّ لَاحَ كَأَلْبَدْرِ

حَالُ الرِّجَالِ عَلَيٍّ عَنْ أُولِي الْفِكْرِ
الرُّوحُ تَجَذَّبُهُمْ لِلرَّبِّ تُسَعِدُهُمْ
الْحَقُّ وَاجْهَهُمْ بِأَلْوَجْهِ جَلَّ عِلَا
فَرُّوا إِلَيْهِ بِعَزْمٍ صَادِقٍ رُفِعُوا
اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَحْلَى مَجَالِسَهُمْ
فَاقْرَأْ كَلَامَ رِجَالِ اللَّهِ مُبْتَهَجًا

الفصل الثاني

الإمام المجدد عليه السلام يربي شباب ثورة ١٩١٩م ويجتمع بزعمائها وقادتها

دعوته عليه السلام في المنيا بعد إبعاده عليه السلام من السودان ١٩١٥م — ١٣٣٣هـ:
وبعد أن أقاله الإنجليز من عمله في السودان ، أصدروا قرارا بعدم اشتغاله في الأعمال الحكومية ، وقرروا تحديد إقامته بمديرية المنيا ، فأخذ عليه السلام يتنقل في ربوع تلك المحافظة ، ناشرا لدعوته الدينية ، وعاملا على تربية أحبابه على المثل الإيمانية والأخلاق الإسلامية ، حيث أن الدعوة الصوفية عند الإمام أبي العزائم عليه السلام ، تتركز في إعداد الأفراد دينيا وسلوكيا وخلقيا لحمل الأمانات التي من أجلها اختار الله عز وجل الإنسان لعمارة الكون ، ويعتبر عليه السلام بناء الإنسان هو حجر الزاوية في أي نهضة أو تقدم لأي مجتمع من المجتمعات ، وكان يذكر إخوانه دائما بالحوار الرائع الذي دار بين سيدنا علي عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم ، عندما دخلوا بيت مال المسلمين بعد أن وزع سيدنا علي عليه السلام كل ما فيه على المسلمين ، وطلب من الخازن أن يكنسه ويرشه بالماء ، ثم دخل فصلى فيه ركعتين .
وقال لأصحابه : تمنوا .
فقال بعضهم : أتمنى أن يمتلك بيت المال ذهبا وفضة ننفقها على الجهاد والمجاهدين في سبيل الله .
وقال آخر : أتمنى أن يمتلك سلاحا وعتادا يجهز به المجاهدين في إعلاء كلمة الله .

وقال آخر : أتمنى أن يمتلك طعاما وكساء يوزع على فقراء المسلمين حتى لا يبقى بينهم فقير أو محتاج .

ثم تنبه رجل منهم وقال : وما تتمنى أنت يا أمير المؤمنين ؟
فقال سيدنا علي عليه السلام : أتمنى أن يمتلك رجلا مثل المقداد وسلمان وبلال وصهيب رضي الله عنهم .. فالصوفية في جوهرها كما جلاها ووضحها الإمام أبو العزائم عليه السلام هي بناء الفرد على السلوك الحميد والصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة حتى يكون نموذجا يحتذى في نشر كمالات هذا الدين لكل من تقع عينه عليه ، وفي سبيل ذلك يكلف بالمجاهدات والرياضات الروحية والعبادات الدينية وغيرها من عوامل تهذيب الفرد وبناء سلوكه .

عودته عليه السلام إلى القاهرة ١٩١٦م — ١٣٣٤هـ:

غير أنه في تلك الأثناء اتصل نفر من ذوي الجاه من إخوانه ومحبيه وهم :
محمود باشا سليمان وحمد باشا الباسل بالسلطات المعنية ، وأفهموهم أن وجود الإمام أبي العزائم عليه السلام في القاهرة يسهل لهم مأمورية متابعته ومراقبة حركاته وسكناته ، فسمحوا له بالانتقال إلى القاهرة ، وهنا بدأ عهد جديد في الصراع بينه عليه السلام وبين المستعمر .

دعوته عليه السلام في القاهرة ١٩١٦م — ١٣٣٤هـ:

أقام عليه السلام في منزله بجوش الشرقاوي إلى أن وفق بسكنى " داره " بالحنفي ثم اشتراها وصارت جامعة لآل العزائم ، ومن القاهرة انطلق يطوف بالأقاليم في أوقات من العام ، منددا بالاستعمار ومستنهضا الهمم وداعيا إلى إحياء آثار السلف الصالح ، على هدي من ضوء علوم العصر .

واستطاع وهو في القاهرة أن يجمع شمل المجاهدين وأن ينفث في روحهم ، وأن
يجتمع بالزعماء والقادة الذين قادوا الثورة وأججوا نارها وأشعلوها ، وأن يثب بهم
روح التضحية والثورة ، وكم شهدت داره بالحنفي اجتماعات خطيرة جمعت بين
سعد وأصحابه ، وبين شباب كانوا الشرارة الأولى في وقود الثورة ، بل كانوا الدم
الطاهر الزكي الذي روى تربة مصر ، فأنبثت روح الفداء والتضحية في نفوس
المؤمنين والمخلصين . ودع الإمام عليه السلام عهد الوظائف الحكومية تاركا خلفه
صحائف بيضاء ، صحائف سطر عليها التاريخ آيات ، بل وصورا من الكفاح
والكفاية ونزاهة اليد وعلو النفس وصدق الوطنية كما قال البارودي :

رَاجَعْتُ فِهْرَسَ أَيَّامِي فَمَا لَمَحْتُ بَصِيرَتِي فِيهِ مَا يَزِرِي بِأَعْمَالِي

ولا ننس دور تلاميذه في الأرياف خصوصا مديريات المنيا وأسيوط وسوهاج فإن
لهم آثار وأي آثار في وقود الثورة وإشعالها ، ولم يفته أن الثورة في حاجة إلى أفلام
تزيد ألسنتها ، وتكشف عن خزايا الإنجليز ونواياهم الخبيثة وتحاسب الإقطاع ،
وهم أذئاب الإنجليز وأعوانهم ، وتقدم أركان البغي من سلاطين مصر وحكامها
الخونة ، فاشترى مطبعة كبيرة وجعلها في داره ، وعكف على كتابة المنشورات
وتوزيعها سرا في مناحي القطر من مينائه إلى شلاله ، وكان لهذه المنشورات أكبر
تأثير ، حيث أوججت نيران الثورة وبعثت وعيا وطنيا لولاه لانطفأت جذوات
الثورة ، خاصة حين اعتقل سعد وصحبه ونفوا إلى سيشل ، وبدا الإنجليز يعتقلون
الوطنيين والمجاهدين العالمين لخير البلاد ويسومون المؤمنين العذاب والنفي
والتشريد .

و.ممنشورات الإمام عليه السلام اشتعلت نار الثورة ، واجتمعت كلمة الأمة ، وبدأ تنظيم الصفوف ، لتعمل في قيادة موحدة عملا مقلقا لبريطانيا ، وبدأت أمثال هذه الثورات تشب في أقطار كالسودان وسوريا وفلسطين وتونس ومراكش والجزائر ، ومن عجب أن يربط الإمام عليه السلام بين هذه الثورات ويوصلها بالإمدادات الروحية والمادية والفكرية تحريضا ودفعاً ، حتى أصبح العمل الثوري يصدر في صورة جماعية أمام المستعمرين ، كما بدأت في تركيا حركة الثورة الكمالية وقد أيدتها الإمام عليه السلام بكل قواه حتى انتصرت ، لكنه بعد أن ألغى الأتراك الخلافة حاول علاج الأمر باتصالات لم يكتب لها النجاح بسبب سعايات الاستعمار ودس أعداء الإسلام ، رغبة في وجود الفرقة والخلاف بين المسلمين .

على أن الإمام عليه السلام كان ينظر إلى الخلافة بصفة عامة كرمز ديني له قداسته ، وقد عاش المسلمون على مر القرون منذ كانت الخلافة الراشدة حتى الخلافة العثمانية في ظل خلافة أيا كانت هذه الخلافة ، يدينون لها بالولاء والطاعة ، وكان الملوك الأقوياء في مصر أو غيرها يرون أنه لا بد من قيام نظام الخلافة بجانبهم ليستمدوا منه قوة النفوذ على الشعب المسلم ، فسعوا بقوتهم ونفوذهم إلى أن يأخذوا موافقة الخليفة ضعيف السلطة ، على تنصيبهم ملوكا ، حتى تكون لهم الصبغة الشرعية في حكم المسلمين ، على أن هؤلاء لم تكن لهم أية سلطة زمنية ، وكانوا يعيشون في حماية هؤلاء الملوك الأقوياء ، ولا شك في أن سعى هؤلاء الملوك الأقوياء إلى استرضاء الخلفاء وإعلان حكمهم للشعب باسم الخليفة كان راجعا إلى ما هؤلاء الخلفاء على ضعفهم ، من سلطة روحية على المسلمين ، وكانت السلطة الروحية هؤلاء الخلفاء تمتد إلى قلب كل مسلم في أي جهة كانت ، ولهذا كان للخلافة العثمانية نفوذ روحي على المسلمين سواء كانوا يعيشون في ظل دولة الخلافة أم

يعيشون في دولة أخرى . لعل أبرز مثل لهذا في عصرنا الحديث ما رأيناه من تعلق المسلمين في مصر والهند وغيرها من البلدان الإسلامية بالخليفة العثماني ودفاعهم عن هذه الخلافة بكل ما في وسعهم .

ومن هنا كان الإمام أبو العزائم عليه السلام ينظر إلى الخلافة العثمانية على أنها مركز لتجميع المسلمين ، وأنها في ذلك الحين هي التي يمكنها صد التيار الغربي الزاحف عليهم وإنقاذ مجد الإسلام وتراثه من عبث الغرب به ، هذا إلى أن المسلمين كانوا يتطلعون إليها كحامية ، بعد أن فقدوا ملكهم في أوطانهم ... وإلى أنهم كانوا يعتبرون تألب الغرب على الأتراك حركة صليبية حديثة ، ومن أجل ذلك ولذا رأينا المسلمين في كل قطر يهون لمساعدتها في حربها مع الدول البلقانية وفي حربها مع روسيا وفي حربها مع إيطاليا في طرابلس ، ويبعثون إليها بالمساعدات تلو المساعدات ، وكانت للإمام أبي العزائم عليه السلام أياد كبيرة في تنظيم هذه المعونات وجمعها وتجميع المتطوعين لقتال أعداء الخلافة والإسلام ، مما يذكر له بالفخار والشرف . ولقد فزع الإمام عليه السلام فزعا عظيما لدخول إنجلترا الحرب ضد الأتراك ، فأعلن أنه يقف في صف تركيا ، وقد انتشرت هذه الدعوة في العالم الإسلامي مما جعل الإنجليز يصانعون المسلمين ويلتمسون لأنفسهم المعاذير في دخولهم الحرب ضد دولة الخلافة ، ووعدهم بأنه سوف لا تمس دولة الخلافة بسوء .. وعندما عازمت تركيا وبدأت إنجلترا تنكث بعهودها ثار الإمام أبو العزائم عليه السلام وثار لثورته مسلمو الهند وغيرها من البلاد الإسلامية خصوصا العراق والشام والمغرب وجاوا وعمت هذه البلاد ثورات جارفة سقط فيها بالهند خاصة مئات الضحايا .

وقامت حركة الخلافة في مصر على يد الإمام أبي العزائم عليه السلام ، وفي الهند بإيعاز منه على ידי المجاهدين الشقيقين محمد علي وأحمد علي . وكان القصد من ذلك تنظيم جهود المسلمين من أجل المحافظة على الخلافة ولا عجب فإن كل مسلم يعتقد أن السبب في نكبة المسلمين وتمكين الغرب من السيطرة عليهم واستعمارهم ماديًا وفكريًا إنما هو غفلتهم عن الخليفة وتفريطهم في الدفاع عن دولة الخلافة التي كانت تجمعهم وتوحد شملهم ، على أن المسلمين العرب في الجزيرة العربية كان حماسهم للأتراك والخلافة لا يذكر ، خصوصًا إذا قيس بما عاناه العرب ، قاسوا من حكم الأتراك الظالم الفاسد الجائر .. وقد أضعف التعصب عاطفة العرب نحو تركيا حتى جعلهم أحيانًا يسعون للتخلص منها عكس مصر خاصة والهند التي لم يمسها هذا الظلم بل مسها ظلم الاستعمار الإنجليزي ، وطغيانه وعدوانه الآثم شنيع ، ولو أن المسلمين العرب نسوا أو تناسوا مؤقتًا ما كان لدولة الخلافة من مظالم ، ووقفوا بجانبها ضد الغرب لأمكنهم الاحتفاظ بوحدهم الإسلامية الجامعة ، ولما استطاع المستعمر أن يثبت قدمه في بلادهم ، ولما أمكن لليهود انتزاع فلسطين من أهلها وطردهم منها ، ولكان من الممكن للمسلمين بعد ذلك أن يصفوا حسابهم مع دولة الخلافة ، ويأخذوا حقوقهم منها .

كان ذلك هو رأي الإمام عليه السلام ومع هذا فقد كان عليه السلام شديد الأسف مع كثير من المرارة لما أصاب المسلمين بسبب تفككهم وتخليهم عن دولة الخلافة . على أن البلاد العربية جميعها وخاصة مصر ساندوا دولة الخلافة لما حل الاستعمار الغربي في بلادهم ، وذلك لما عانوه من الاستعمار اللعين ، وكان مولانا أبو العزائم عليه السلام من أكبر الزعماء والقادة الذين أبلوا بلاء حسنًا في خدمة الخلافة ومساندتها ،

وكم دعا المسلمين بقلمه وبيانه إلى شد أزرها والوقوف بجانبها وإعلان الثورة على الإنجليز والفرنسيين والحلفاء المستعمرين حين أعلنوا الحرب عليها .

لقد كان الإمام عليه السلام إماما عميق الإيمان ، شديد الإحساس بالروابط الدينية التي تربطه بإخوانه المسلمين في كل مكان ، كثير العناية والاهتمام بمشاكلهم منذ كان شابا ؛ حتى دفعه هذا إلى إصدار مجلات ﴿ السعادة الأبدية ﴾ و ﴿ الفاتح ﴾ و ﴿ المدينة المنورة ﴾ لتعبر عن رأيه وليبلغ بواسطتها دعوته ، فوق ما كان ينشره في الجرائد اليومية ﴿ النظام والأفكار والأخبار والبلاغ والأهرام والمقطم والسياسة والشعب والدستور والجمهورية المصري ﴾ وغيرها من الجرائد اليومية ، كما كان يكتب في كل الجرائد التي تصدر في الشرق الإسلامي توجيهها للرأي العلم وتوحيدا لصفوف المسلمين في المطالبة بحرياتهم ودفاعا عن دولة الخلافة .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يمد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعلومه وتراثه ١٩١٨م — ١٣٣٦هـ :

سافر الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري إلى مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٨م ، ليعلن وجوب الإصلاح في الجزائر والمساواة بالفرنسيين ، وإلغاء القوانين الاستثنائية ، فنفته الحكومة الفرنسية ، وفي باريس كون مصالى الحاج جمعية " نجم شمال أفريقيا " ، عام ١٩٢٤م ، وتكونت في الجزائر جمعية باسم " نادي الترقى " وكان السيد أحمد توفيق المدني ، زميل الإمام أبي العزائم عليه السلام في الأزهر الشريف ، من أبرز العاملين فيها ، وعلى اتصال وثيق به في مصر ، فتكونت " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " التي قاومت البدع والضلالات وألغيت المبشرين والمستعمرين ، وعملت على إحياء الثقافة الدينية الصحيحة ، وكان أثر هذه القوة

الدينية واضحا في الأراضي الجزائرية ، ثم تقدمت الجمعية ببرنامج حافل مؤداه " إن الجزائر بلادنا والعربية لغتنا والإسلام ديننا " وطالبت بإعادة الأرض المغتصبة وبانسحاب الجيوش المحتلة ، ولم تخمد هذه الصيحة حتى انتقال الإمام أبي العزائم عليه السلام عام ١٩٣٧ م ، وكان يغذيها دائما بعلومه وتراثه ، واتحدت جماعة الخلافة الإسلامية بمصر بجمعية علماء الجزائر فتوحدت جهودهما ، كهيئة واحدة حال انعقاد المؤتمر الإسلامي للخلافة في يونيو ١٩٢٦ م بمكة المكرمة .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يكشف نوايا الصهيونية ١٩١٨م — ١٣٣٦هـ:
كان الإمام أبو العزائم عليه السلام على يقين بكل ما يحاك للعالم الإسلامي من مؤامرات وكان يرى أن الصليبيين إذا كانوا قد أخفقوا منذ العصور الأولى للإسلام في الاستيلاء على فلسطين ، محتجين ببيت المقدس كعلة ، إلا أنهم قد أفادوا من الدروس ما يجعلهم يتفادون الهزيمة ، فواقع العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة ، وتحالف الصهيونية العالمية بأموالها الوفيرة إلى جانب القوى الصليبية الحديثة تضمن لهم الفوز والنجاح في إخماد ما بقي من أنفاس المسلمين .. هكذا كان تصور هذه القوى مجتمعة . ولذلك فقد وجه الإمام أبو العزائم عليه السلام كل ما أوتي من قوة في الدعوة إلى الوحدة والاتحاد . وفي مواجهه الفرقة والعزلة التي تردت فيها الأمة الإسلامية . ولقد نبه منذ أعقاب القرن الماضي وحتى انتقاله عليه السلام ، إلى أن أخطر المخاطر على الوطن الإسلامي ، إنما يكمن في تحالف الاستعمار مع اليهودية العالمية ، وأن مواجهة هذا التحالف تكون باتحاد العالم الإسلامي ، ووقوفه صفا واحدا تجاه المؤامرات التي تدبر له .

ومنذ فجر هذا القرن ، وقبل أن تأخذ مشكلة فلسطين الشكل الذي اتخذته بعد وعد بلفور ، بل قبل أن تسيطر إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا على الجزء العربي من الوطن الإسلامي ، يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام نظما فيما كان يكشف به من عالم الملوكوت

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَدًّا	عَمَّ مَنْ كُلِّ الْوُجُودِ
جَاسَ أَهْلُ الْكُفْرِ دَارًا	بَلْ طَعَى أَهْلُ الْجُحُودِ
أَنْتَ يَا مَوْلَايَ أَوْلَى	بِالْجَمِيعِ مِنَ الْجُدُودِ
قَدْ طَعَى الْكُفَّارُ حَتَّى	عَزَّزُوا كُلَّ الْيَهُودِ
أَذْرَكَ الْأُمَّةَ أَسْرَعُ	حَقَّقَ كُلَّ الْوُعُودِ

ولا شك أن الإمام عليه السلام يعلم ما يجري في أرض فلسطين ، وإلا لما أشار إلى أن موسى شاريت اليهودي ، يعمل ضابطا بالجيش العثماني في فلسطين ، ليمهد لدخول الجيوش الإنجليزية ومعها الكثير من مهاجري اليهود ، كما يشير إلى فيلق البغالة بحملة الجنرال اللنبي في فلسطين ، وإلى أن قائده دافيد بن جوربون الصهيوني الخطير ، وهذان إنما كانا يعملان على إثارة القلاقل والفتن ، وتدبير المؤامرات حتى يسهل دخول الجيوش منتصرة انتصارا رخيصة .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يقف بجانب الثورة التركية للمرة الثانية ١٩١٨م
— ٥١٣٣٦ :

وفي تركيا للمرة الثانية ، ما تكاد تضع الحرب أوزارها عام ١٩١٨م ، لتجلس تركيا في مقعد الهزيمة وليملي عليها الحلفاء المنتصرون شروطهم ، حتى اندهش مندوبو الدول الكبرى عندما وجدوا أن مقعد تركيا ما زال خاليا ، فقد أعلن

الاميرالاي مصطفى كمال^(٦٣) الثورة ضد الحلفاء والرجعية ، والتف حوله الكثير من زملائه وتبرع الكثيرون بما لديهم من أموال لينقذوا بها بلادهم من الهاوية ، وبينما الإمام أبو العزائم عليه السلام في شغل شاغل على دولة الخلافة ، محط آمال العالم الإسلامي ، وإذا به يتسلم برقية من الأناضول وإذا بها من الأميرالاي مصطفى كمال يطلب فيها : " دعوات ولي الله لثورتنا بالنصر حتى ننقذ الإسلام والمسلمين ونعيد مجد سيد المرسلين " وجاءته في اليوم التالي برقية من السيد أحمد الشريف السنوسي تقول : " قام الغازي مصطفى باشا كمال بثورة مسلحة في الأناضول وطلب إلينا قراءة القرآن للاستغاثة والنصر ومولانا الإمام عليه السلام خير من يقوم معنا بهذه المهمة وهو أهل الإيمان والتقوى " ^(٦٤) .

ويسارع الإمام أبو العزائم عليه السلام في جمع أبنائه والوقوف صفا لأداء صلاة الاستغاثة والنصر ، ويعث برقيقته إلى كمال يطمئنه بنصر الله القريب ، ويلقبه بزعيم الأنصار ، ويرسل إليه أبياتا نظميه من " جفر " كان قد أفيض على قلبه ، يقول عليه السلام له فيه :

تَجَلَّى حَتَّى تَرَاهَا أَلْعُيُونُ	بَيْنَ نَفْسٍ وَبَيْنَ نَفْسٍ شُئُونُ
وَلَدَى الْأَصْبَرِ كُلُّ كَرْبٍ يَهُونُ	وَمَعَ الْعُسْرِ إِنَّ تَدَبَّرْتَ يُسْرًا
مَنْ يَشَأْ بِالْقَضَاءِ وَهُوَ الْمُعِينُ	يَرْفَعُ اللَّهُ دُونَ طَرْفَةِ عَيْنٍ
— لِوَذَاكَ غَيْبٌ مَصُونُ	سِرُّ مَا فِي غَدٍ خَفِيٌّ عَنِ الْعَقْ

(٦٣) مصطفى كمال " ١٨٨١م — ١٩٣٨م

مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها ١٩٢٣م غير كتابة التركية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني وألغى الخلافة الإسلامية ١٩٢٤م .

(٦٤) شكيب أرسلان — سلسلة أعلام العرب للدكتور الشرباحي .

إلى أن قال عليه السلام :

يُلْقَى مَا بَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ حَقْدٌ

وَحُرُوبٌ يَشِيبُ مِنْهَا الْجَنِينَ

وقال عليه السلام :

حَيْثُ لَا مِدْفَعٌ يُدَافِعُ عَنْهُمْ

أَوْ خِدَاعٌ أَوْ دَارِعَاتٌ تُعِينُ

وَقَضَاءُ الْقَهَّارِ لَا يَدْفَعُهُ

عَنْ أُولِي الشَّرِّكِ مِدْفَعٌ أَوْ حُصُونٌ

وتقوم في مصر قومه ، يغذيها الاستعمار ، وتسندها الرجعية ، وتؤازرها السراي ،
لتشكك المسلمين في القوة الجديدة ، والروح التي سرت في الشعب التركي بقيادة
أتاتورك ، وتنطلق أبواق الدعاية من أفواه بعض المسلمين والعرب منددة بكمال
وثورته ، متهمة إياه بالإلحاد والكفر^(٦٥) ، وتتصدى صحافة الإمام أبو العزائم عليه السلام
الأسبوعية والصحافة اليومية المؤيدة له ، لحملات المستعمرين ، فيرد الإمام أبو
العزائم عليه السلام بقلمه على شيخ الإسلام السابق في تركيا مصطفى صبري^(٦٦) ليقول
له ، " إن الإسلام يحتاج الآن لجهاد السيف والمال والنفس^(٦٧) ، ولا يحتاج لجهاد
اللسان الفارغ من عمل القلوب ، وإن الإسلام يحتاج اليوم إلى معالجة داء التفرقة .
والحال أنكم تخدمون المستعمر الذي يحتل بلاد المسلمين بينما تركيا لا تحتل أي
جزء من أرضهم ، ولا تعتدي عليهم في حين يبید المستعمرون الأشخاص
والممتلكات ، ولم تسلم منهم آبار المياه والمزروعات ... "

ولا يحرك شيخ الإسلام والمسلمون ساكنا ..

(٦٥) تراجع جرائد الأهرام والمقطم والمؤيد في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

(٦٦) مصطفى صبري " ١٨٦٩م — ١٩٥٤م — ١٢٨٦هـ — ١٣٧٣هـ " الأعلام ٧ / ٢٣٦ شيخ الإسلام

في الدولة العثمانية ، وقاوم الحركة الكمالية .

(٦٧) مجلة المدينة المنورة المجلد الأول .

وانتصر كمال في تركيا ، واستعاد أراضيها ، وأملى هو شروط الصلح التي يرتضيها مخلصا لبلاده ، وشرع ينظم أمور الدولة في الداخل ، بعد أن حقق لها استقلالها في الخارج ، ولكن فلول الرجعية متعاونة مع أمراء آل عثمان ، أقامت في وجهه العراقيل ، مستخدمة من الخلافة الإسلامية ، سلاحا تشهره في وجه كمال ، وتغرر به الشعوب الإسلامية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أخذ أقطاب جماعة الاتحاد والترقي ، الذين انضموا إلي الكماليين ، وعلى رأسهم العالم الفيلسوف ضيا كوك ألب^(٦٨) الذي يعتبر مؤسس أيولوجية تركيا الحديثة ، وضيا نور وجمال فوزي وغيرهم ، يعملون على نبذ فكرة الدين وفصله عن الدولة ، في حركة طورانية علمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية نهائيا ، ولم يجد أتاتورك والحالة هذه بدا من التزول على إرادة هذه الحركة ، فقد كان واقع الدولة يحتاجها لتجتاز أزمات ومحن عديدة .

ولم يكن الإمام أبو العزائم عليه السلام ليجد غضاضة في استمرار تأييده كمال أتاتورك ، رغم تغير سياسته التي بدأها بالتجائه إلى المخلصين من رجال الدين ، وحجته في ذلك أن تركيا تجتاز موقفا ، واجب الوقت الشرعي فيه ، التخلص من التخلف والجهل والقائمين به ، وأن تصون استقلالها وتتجنب مؤامرات دول أوربا القريبة منها ، حتى إذا وقفت على قدميها وعلى أرض ثابتة صلبة ، استطاعت العودة إلى حظيرة الإسلام ، مبرا مما ألصق به من ضلالات وبدع ، فتعرفه حق معرفته ، فتعود لها القوة الحربية ، والقوة الروحية ، ويكون للإسلام على يديها المجد والعزة

(٦٨) يعتبر ضيا كوك ألب فيلسوف الثورة التركية فلقد اضطهد إبان حكم عبد الحميد وفصل من عمله في الحكومة التركية إلى أن قامت ثورة أتاتورك فشارك فيها بكل قواه ثم سيطرت فلسفته على مخططات الثورة وأهمها تكوين دولة علمانية بعيدة عن الدين .

والسؤدد ، ومع ذلك فما كانت تمر شاردة أو واردة ، يرى الإمام عليه السلام أنه يجب عليه أن يوجه فيها نظر أتاتورك أو الأمة التركية إلا أجراها — فلم يتوان لحظة عن أن يوجه نظر أتاتورك إلى ما عمله بنبذه اللغة العربية ، وإلى كتابة التركية بالأحرف اللاتينية ، وإلى العزلة التامة عن البلاد العربية والإسلامية ، كما كان يكتب أيضا لكبار فلاسفة الأتراك ، ومنهم على سبيل المثال ، الفيلسوف التركي وعالم الاجتماع الكبير " ضيا كوك ألب " ومن رسالة له يقول : " تعلمون يا دولة الغازي أن الإسلام مريض ، وأن مرضه في القائمين على أمره ، المدعين الدعوة إليه ، وأنه ليس من الحق أو العدل في شيء أن نحكم على مريض بالموت فور مرضه ، بل من الحق والعدل أن نشخص داءه ونصف دواءه ، ودواء الإسلام الآن هو الشفاء من مرض التفرقة ، الذي أشاع عدم الثقة بين القادة وأفراد الأمة الإسلامية ، وأحب أن ألفت نظر دولتكم إلى أن ما يتجاذب العالم الآن من صراع المذاهب يتلخص في الاتجاه العلماني الذي تتبناه الرأسمالية الغربية ، والذي يبعد الكنيسة عن الحكم ولا يبعد الدين كما يظن لأول وهلة ، والاتجاه الماركسي المادي الذي يكفر بالدين ، هذا من جهة ومن جهة أخرى اليهودية العالمية ، بما تنشره من إلحاد وزندقة وكفر بالقيم والمثل العليا ، هذه الاتجاهات في حرب دائرة كلها لمحاربة الدين الإسلامي ومبادئه ، حيث رأت في التطور التاريخي للدعوة الإسلامية انتشارا مذهلا في فترة وجيزة من الزمن .

" وأن الأمة الإسلامية لتنظر إلى الأتراك اليوم على أنهم الدولة الوحيدة الإسلامية ، التي من بينهم جميعا لها القوة والمنعة والعزة ، فعزة الأمة التركية عزة

للمسلمين جميعا ، وأن أُملي في الله عز وجل كبير ، في أن يعيد الله مجد الإسلام على أيدي الترك " (٦٩) .

الإمام المجدد أبو الغزائم عليه السلام يندد بعميل الصهيونية الحسين بن علي ١٩١٨م — ٥١٣٣٦ :

ويلحق الشريف حسين بن علي رأس جيش من العرب ، في اتصال بأذيل جيش القائد البريطاني ميجر جنرال اللني في مارس ١٩١٨م بعد أن قام جيش الحسين العربي المسلم بقتل جنود الحامية التركية وسحل قوادهم في ذيول الخيل ، وتسليم القائد البريطاني مفاتيح بيت القدس ، ويقف متكبرا متجبرا أمام قبر صلاح الدين بن يوسف ويقف خلفه صغيرا ذليلا القائد العربي ، ويسمع بأذنيه اللني ، وهو يقول لصلاح الدين " اليوم واليوم فقط يا صلاح الدين انتهت الحروب الصليبية ، ولم يفهم الشريف المعنى لأنه كان فرحا مسرورا ، ينتظر الهدية الفاخرة من يد الاستعمار ، وهي خلافته على المسلمين ، وإقامة دولة عربية ، موحدة وليس من شك في أنه كان على ثقة من إنحاز الإنجليز وعدهم له ، ولكنه لم يكن على ثقة بأنهم سيغدرون به وبالأمة الإسلامية ، وسيتركون التاريخ يحمله مسئولية ما حدث في حياته وما يحدث بعد مماته ، وقد كان جزاؤه منهم النفي إلى جزيرة قبرص ونهايته فيها ، على أن الحسين إذا كان قد مات هذه الميتة وانتهى هذه النهاية ، فإن ما جره على العالم الإسلامي لم تنته آثاره بعد ، إن لم تكن قد بدأت ، فلقد خلفه أولاده وحفدته الذين تجري في عروقهم دماء غير إسلامية بل غير عربية فأذاقوا العرب والمسلمين الأمرين ، وما موقف الملك عبد الله من حرب فلسطين ببعيد ، وأقرب منه موقف حفيده حسين .

(٦٩) انظر في هذا المعنى أيضا تحديد التفكير الديني للفيلسوف إقبال .

وكان الإمام أبو العزائم عليه السلام يتوجه بالخطاب إليه يذكره بإعلان وعد بلفور عام ١٩١٧م ، وعندما استولى الإنجليز على فلسطين ، ليعطوها لليهود لقمة سائغة ويقول له : " لعل الشريف حسين بن علي لم يسمع بوعد بلفور بعد ، ولعل له العذر فقد لا يكون قد علم به ، لأن وزير خارجية بريطانيا صرح به على بعد آلاف الأميال ، ولكن ألم يسمع الشريف بأذنيه ما قاله النبي عام ١٩١٨م مخاطبا صلاح الدين ، لا أظن ذلك ؟! فقد كان يقف إلى جانبه إن لم يكن خلفه .. أفبعد هذا ما زلت يا حسين تثق بعهود ووعود هؤلاء ، وهل وفوا بعهودهم ووعودهم ، لأمثالهم من أمم وشعوب ودول أوربا المسيحية التي تدين بدينهم ، وتتشاكل معهم في اللغة والآداب .. ﴿ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ الاعراف: ١٨٥ .

وفي أعقاب عام ١٩١٨م نشرت الحركة الصهيونية صورا لمشروع هيكل جديد ، يقام مكان الصخرة المباركة ، مطالبين بشراء المنطقة التي تحيط بجائط المبكى ، وكونوا لذلك جمعية حراس المبكى ، وعندئذ بادر المسلمون بإنشاء جمعية " حراس المسجد الأقصى " ، ومع ما كان الإمام أبو العزائم عليه السلام يتعرض له في مصر بسبب مناوأة للاستعمار والتشهير بالمستعمرين مما دعا إلى تحديد إقامته وإحصاء حركاته ، إلا أن ذلك كله لم يقف حائلا دون مواصلة حملته ، فكان يبعث بالبرقيات وبالرسائل إلى قناصل الدول ، وإلى الصحافة المصرية ، ويبعث برسائل إلى الملوك والرؤساء العرب والمسلمين ، يحثهم فيها على الجهاد ، ويذكرهم بأعمال الاستعمار الاستيطاني في أمريكا وأستراليا وجنوب أفريقيا ، ويكشف لهم عن نوايا الصهيونية في إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين وامتداده من الفرات إلى النيل ، ويقول لهم أن ما يتعرض له فلسطين اليوم ما هو إلا بداية لما قد يتعرض له الوطن الإسلامي والعربي كله ..

الإمام المجدد يجمع توقيعات للزعيم سعد زغلول أعقاب مؤتمر الصلح ١٩١٨م
— ١٣٣٦ هـ :

وكان الإمام أبو العزائم عليه السلام يحض زعماء مصر وقادتها ويشد أزهرهم ما أحسنوا وينصح برفق إذا ما أساءوا ، وذهب سعد زغلول^(٧٠) وصحبه إلى دار الحماية ، أعقاب انعقاد مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٨م ، ليطالبوا بحقوق شعب مصر في الحرية والاستقلال ، وطالبهم المندوب السامي بإبراز ما يثبت توكيلهم عن الأمة ، وعاد علي باشا شعراوي وحمد باشا الباسل على مصر ، وطلبوا من الإمام أبي العزائم عليه السلام أن يجمع لهم توقيعات أحبابه فاستمهلهم أسبوعا ليكون عندهم عشرات الألوف من العرائض الموقع عليها من المواطنين بعناوينهم ، فكان لهذا الصنيع أكبر الأثر في نفوس الزعماء السياسيين ، كما كان له أسوأ الأثر في نفوس البريطانيين .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يصدر لسان حال دعوته .. مجلة المدينة المنورة
١٩١٩م — ١٣٣٧ هـ :

سئل الإمام المجدد عليه السلام لم اخترت يا سيدي اسم المدينة المنورة ونحن في بلاد مصر ؟!

فأجاب قائلا عليه السلام أريد بهذا الاسم المجتمع الإسلامي الذي يمثل رسول الله ﷺ وآله وأصحابه وهذا لا يعدم أبدا إلى أن تقوم القيامة ولكنه قد يكون ظاهرا مشهورا أو خفيا مغمورا وقد يكون كل مسلم عضوا من أعضاء هذا الجسد الحمدي المبارك وقد يكون أكثر عدد من يدعي الإسلام خارجا عن المدينة قال

(٧٠) سعد زغلول : " ١٨٥٧م — ١٩٢٧م — ١٢٧٣هـ — ١٣٤٦هـ " رئيس الوزراء ١٩٢٤م ، أسس الحزب السعودي أو الوفد نفي إلى مالطة ١٩١٩م — ١٣٣٧هـ ، ونفي إلى سيشل ١٩٢٢م — ١٣٤٠هـ .

رسول الله ﷺ

﴿الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وقال الله تعالى في وصف أهل المدينة
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾ الفتح: ٢٩ وإذا قلت
المدينة فإنما لا أعني الأسوار والبيوت كما يقال بيت هاشم وبيت قريش يعنون
الأسرة ولا يعنون الجدران وأن العقل لقد أثبت بعد الحجة القوية أن أول مدينة
بمعناها الحقيقي أسست على وجه الأرض هي المدينة المنورة وهذا أمر جلبي لأحق
العقول ما لم تكشفها الحظوظ والأهواء والعلل الخفية والأدواء وكيف لا وقد
أشرق هذا النور في ظلمات متكاثفة وجهالات متوالية والإنسان بين ظالم أو
متظالم ومعلوم أن كل رسول من رسل الله على نبينا وآله وعليهم الصلاة والسلام
قام في قومه فلم يتمكن من تأسيس المدينة على الوجه الذي يحبه الله تعالى ويرضاه
وهذه بطون التواريخ وعلى فرض وجود مدينة كما كان في زمن سيدنا موسى
عليه السلام مع بني إسرائيل فلم تكن كاملة شاملة لكل ما يحتاج الإنسان ليكون معافى
آمناً ميسراً له قوته إنساناً حقاً . هذا وكل مدينة أسست لم يكن أسسها رسول الله
ﷺ وآله فليست بالمدينة المنورة مهما بلغت من الترف والصناعات لأن الإنسان
له لذتان لذة الجسم ولذة النفس ولا كمال للإنسان إلا ببهجة النفس الناطقة التي
لا تبتهج إلا بالفضائل الحقة التي أساسها محبة الله تعالى والرغبة فيما عنده والرحمة
الواسعة لجميع بني الإنسان حتى يرى عليه من الحقوق لغيره أكثر مما يرى على غيره
في البر والإحسان وطمعا في نيل العفو والرضوان من الله تعالى وهذا المبدأ هو
أساس الدين الإسلامي وإنما سميت المدينة المنورة بهذا الاسم لبيان تلك الحقيقة
وإعلائها لجميع المسلمين ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ ﴿ص وَآلَهُ﴾ جُعِلَتْ لِي
الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ﴿ فلا ميزة لأرض على أرض إلا بما يجعله الله تعالى فيها
من هداية أهلها وقيامهم بمحابة الله سبحانه ومراضيه ولذلك فإنه ﴿ص وَآلَهُ﴾ هاجر

من مكة إلى المدينة وهي بلد جده الخليل عليهما وآلهما الصلاة والسلام وأحب البلاد إليه وبها حرم الله وبيته ولكنه ﴿ص وآله﴾ هاجر منها ليشرب بعد أن هدى الله تعالى به ﴿ص وآله﴾ كثيرا من أهلها وعاهدوه علي أن ينصروه ويعملوا بما جاء به فهاجر إليهم ﴿ص وآله﴾ وكون بهم المجتمع الفاضل الذي أحبه الله ورضي عنه وعندها سماها ﴿ص وآله﴾ المدينة المنورة بيانا لتلك الحقيقة ولم يكن على وجه الأرض مدن فاضلة بل ولا قبله ﴿ص وآله﴾ وللمعترض أن يقيم الحجة على وجود مدينة فاضلة كالمدينة المنورة جمع الله لأهلها الكمال الإنساني علما وعملا ، وهذا أول إنسان وجد على الأرض لم يتمكن أن يكون مدينة مع أولاده ، من صلبه وقصة هابيل وقايل حجة لنا ومن قرأ تاريخ أصحاب رسول الله ﴿ص وآله﴾ وما كانوا عليه قبله وما نالهم من الكمال الإنساني الروحاني به ﴿ص وآله﴾ يعتقد أن الله على كل شيء قدير ويتحقق ألا مدينة إلا المدينة الإسلامية وأن كل مدينة أسست على غير المبادئ الإسلامية فليست بمدينة في الحقيقة ونفس الأمر فإن القوانين الوضعية حتى لو وضعها من كملت قوته العلمية والعملية من غير أن يعرف نفسه ويعرف ربه لا تحصل لهم السعادة التي أهل لها الإنسان ولا يدرك العقل حقيقة الخير المنشود للإنسان لأن الإنسان من حيث هو إنسان يحب الله تعالى وذلك لأنه يشترك إلى خير لا شر فيه ، وإلى نفع لا ضرر فيه ، وإلى أمن لا خوف فيه ، وذلك لا يكون إلا بالله ومن الله ومع الله تعالى وما أضر الإنسان إلا أئمة السوء الذين أخفوا عنه طريق الله تعالى الموصلة إليه لنيل شهواتهم وملاذهم وإلا فالإنسان لا يجذب بالكلية إلا بما فيه من الشوق إلى الله تعالى وحب التدين وهنا أبين لك أنواع المدن ليتضح لك الحق جليا وتعلم أن المدينة لا تكون مدينة كاملة بمعناها إلا إذا استكمل أهلها المعاني التي يكونون بها مسارعين إلى نيل محاب الله ومراضيه وعاملين لنيل

الخير الذي به يعيشون في عافية وأمن ووسعة وفي مساواة وحرية متنعمين بما تفضل الله به عليهم من الخيرات السماوية والأرضية .

دوره عليه السلام في ثورة ١٩١٩م — ١٣٣٧هـ:

كان دور الإمام أبي العزائم عليه السلام في ثورة ١٩١٩م دورا خطيرا ، فمطابعه كانت مطابع جمعية اليد السوداء التي تعقبها الإنجليز في كل مكان ، وقد انكشفت على يد بعض الخونة أمر هذه الجمعية واعتقل الإمام أبو العزائم وابنه الأكبر الإمام السيد أحمد ماضي أبو العزائم عليهما السلام على أثر منشور طبعه ضد الاحتلال الإنجليزي .

مطابع الإمام المجدد عليه السلام كانت مطابع جمعية اليد السوداء في ثورة ١٩١٩م:

ومنذ كان أبو العزائم عليه السلام في السودان ، ومنذ فصله الإنجليز من وظيفته ، كأستاذ للشريعة الإسلامية بكلية غوردون عام ١٩١٥م ، ومنذ أن حددوا إقامته بمدينة المنيا ، ثم بالقاهرة ، وهو يربي جيلا استطاع أن يحمل أمانة الثوار ، واستطاع الإمام أبو العزائم عليه السلام أن يجد بين أبنائه وأتباعه ومريديه في مصر والسودان ، من يعي دعوته حقا ، ويتبع بصدق وإخلاص تعاليمه ، فيحول كلماته إلى روح وإلى عمل وإلى تضحية وفداء ، ووجد من يعيد إلى الأذهان ما كان عليه السلف الصالح ، من نكران الذات ، والعمل دون انتظار أجر مادي أو معنوي .

تطوع لإشعال نار ثورة ١٩١٩م ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأدوا واجبه في صمت ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم ظل مجهولا عند الناس ، معلوما في السماء ، ومن ينتظر منهم ، ظل في جهاد دائم في نفسه وهو الجهاد الأكبر ، فكان هؤلاء

وهؤلاء هم النور والضياء الذي أثار السبيل أمام إخوانهم ممن يلونهم من المجاهدين ،
لا يرجون إلا الشهادة في الحق والاستشهاد في سبيل الله ، فطوبى لهم وحسن
مآب ..

كانت دار الإمام أبي العزائم عليه السلام في مصر بحى الحنفى ، في أعقاب ١٩١٨م أشبه
بخلية نشطة ، يتجمع فيها شباب مؤمن بوطنه وبربه ، ينتشر في النهار داعيا إلى
الثورة حاملا منشورات تلهب حماس الشعب ، فتذكره بأجماده وبطولاته ، فإذا جن
الليل عادوا إلى السراي متخفين فهجعوا في سراديبها ومخازنها ، متوارين عن أعين
جواسيس الاحتلال .

فإذا قضيت صلاة الفجر استأنفوا جهادهم .. وكانت هذه السراي محاطة من جميع
جوانبها بدروب وحواري وأزقة لا ترى من الشارع الرئيسي ، وهو شارع الخليج
المصري " بورسعيد " الآن ، مما يجعلها أشبه ما تكون بحصن منيع يحمي فيه الثوار
عن أعين الرقباء ، فضلا عن اطمئنان نفوسهم وسكينة قلوبهم في جوار أستاذهم
ومربي أرواحهم .

وكانت للإمام أبي العزائم عليه السلام مطبعته التي كانت تطبع مجلاته وكتبه ، والتي
كانت تطبع المنشورات للحض على الثورة ، وقد أطلق عليها اسم " مطبعة المدينة
المنورة " تيمنا باسم مدينة الرسول ﷺ ، وعنها صدرت مجلته " المدينة
المنورة " مجلة أسبوعية دينية اجتماعية ، وتنبه في الوقت نفسه العالم الإسلامي إلى
ما يبينه الاستعمار والصهيونية ، ويصدر الإمام عليه السلام كتابين ليحدثا دويا هائلا في
الأوساط السياسية والإسلامية ، فكتابه " الجهاد في الإسلام " يشير إلى النتائج
الباهرة التي حققها المسلمون الأوائل ، والتي لو تمسك بها المسلمون ، في العصر

الحاضر لعاد إليهم مجدهم . ويشير كتابه " محكمة الصلح الكبرى " إلى أن الساسة
المجتمعون حول مائدة الصلح بباريس ، هم وحوش وذئاب ، يجتمعون على الإيقاع
بالفريسة ، حتى إذا وقعت تفرقوا طمعا في اقتسامها فيما بينهم ، كل يبني لنفسه
أكبر نصيب منها ، ولذا فلا يرجى منهم خير ، ولا ينتظر منهم صلاح أو وفاء
بوعد أو عهد ، لأنهم لا إيمان لهم ولا عهد لهم ولا ميثاق .

اعتقاله ﷺ للمرة الأولى ١١ ربيع الأول ١٣٣٨هـ:

والاستعمار يضيق بوطنية زعماء الدين ، لأنه يعلم مدى تأثيرهم في نفوس المسلمين ، خصوصا إذا كان الداعي على صدق في دعوته ، ولقد حاول الاحتلال أن يسكب صوت الإمام أبي العزائم ﷺ بكل وسيلة ممكنة ، فتدرج معه من الإغراء إلى الإرهاب ثم إلى العنف والقمع ، وكان أن ألقى القبض عليه مرتين في عام واحد الأول في ١١ ربيع الأول ١٣٣٨ هـ ، والثانية في ١٧ رمضان من العام نفسه ، ويوافق عام ١٩١٩م — ولندع المرحوم السيد محمود أحمد بن أخ الإمام ﷺ ، ورئيس قسم التحرير والترجمة ، بمجلة السعادة الأبدية يحدثنا في مذكراته عن حياة الإمام ﷺ ، عن ظروف الاعتقال الأولى فيقول في ذلك تحت عنوان : " حادث يوم المولد الشريف بسراي آل العزائم والسلطة العسكرية في ١١ ربيع الأول ١٣٣٨ هـ والذي نشر بالجرائد : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠. اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يطهر قلوب الصديقين من الركون إلى الخلق بالمرّة ، حتى لا يلتفتوا إلى غير الله تعالى ، ولا تتقلب قلوبهم إلا فيما يحبه ويرضاه ، وهي سنته في أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فتسليط أهل الباطل على أهل الحق هو أكمل عناية ورحمة بهم ، ليفوزوا بمقامين عظيمين ، مقام المجاهدة في سبيل الله ومقام الإقبال على الله بالكلية ، وبالفراغ من الخلق والوحشة منهم . فأذية أهل الباطل للرسول عليهم الصلاة والسلام ، ولأولياء الله الأطهار ﷺ بمثابة منة من الله عليهم بها ، وحنة الله البالغة التي تقوم على أهل الباطل ليستحقوا العذاب الأليم عدلا من الله سبحانه الحكم العدل ..

" بينما أنا مهتم بتنجيز طبع ملحق السعادة الأبدية يوم الخميس ١١ ربيع أول ١٣٣٨ هـ ، المتضمن حكمة الآيات التي أظهرها الله سبحانه وتعالى في ليلة

مولده ﴿ص وآله﴾، وما تفضل الله به على العالم أجمع ، وكلنا في عمل الاستعداد للاحتفال بليلة ذكرى سطوع أنوار تلك الشمس المحمدية ، بسراي سيدنا ومرشدنا حجة الإسلام محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام ، نفعنا الله به ، وكأننا بما نحن فيه من المسرات بالحبيب المحبوب ﴿ص وآله﴾، نشاهد أنواره المحمدية ونتمثل النعم العظمى ، التي فاز بها المجتمع الإسلامي بيمين طالعه ، وبعد صلاة الظهر مع سيدنا الإمام عليه السلام وسماع ما أحيى الأرواح من سيادته في شرح المقامات المحمدية عليه السلام سارع كل منا إلى تجهيز معدات الاحتفال وإذا بجيش جرار يقوده ضابط إنجليزي من الضباط العظام ومعه أركان حرب وغيرهم والجيش مدججة بالأسلحة ، ثم هجموا على المنزل ، بعد أن أحاط بعضهم به من الخارج وصاح الضابط بالنداء العسكري في صفهم ، وأمر بالهجوم ، فأسرعت فصيلة منهم إلى فوق الأسطح ، وأخرى على الأبواب وثالثة إلى الحجرات دون حياء وكان الحرب قد أعلنت ..

" وما شهدت أبصارنا هذا المظهر ، إلا وتذكرنا عناية الله بأوليائه ، ورحمته بهم فاطمأنت قلوبنا ، ولديها أقبل علينا سيدنا الإمام عليه السلام هاشا باشا مسرورا قائلا : " قولوا الحمد لله " .

ثم قابل الضابط الإنجليزي ، فقال له الضابط أن لديه أمرا من السلطات العسكرية بتفتيش البيت كله . وكانوا يدخلون الحجرات بقسوة ، وجفوة ، وبعد حديث الإمام عليه السلام حصل لنا جميعا الأئس ، لأننا اعتقدنا أن هذه أكمل آية تدل على قبول الله لنا ومحبته إيانا ، حيث سلط علينا في هذا اليوم الشريف هذا البلاء ، واعتقدنا أن الأمة يجب عليها أن تبذل النفس والنفيس في سبيل نيل المجد والاستقلال .

حتى تكون القوة في أيدي المسلمين الذين يحترمون شعائر الدين وعوائد الأمة ومواسمها ولو أن رجال السلطة كانوا من الأمة ودعت الضرورة الشديدة إلى هذا الإجراء ، في مثل هذا اليوم ، وفي هذا البيت لتركت ذلك رعاية لحرمة صاحب المنزل الدينية ، وحرمة هذا اليوم الذي هو أقدس عيد يحله جميع المسلمين . وبعد أن فرغوا من التفتيش كما يحلو لهم ، أخذوا الإمام عليه السلام معهم فأصر أولاده جميعا على أن يكونوا معه وفي خدمته ، ورضخ الضباط لهذا الطلب ، وأودعونا جميعا ثكنات قصر النيل ، وقد حوله الإمام عليه السلام وأتباعه ومن كانوا معتقلين فيه من الوطنيين المصريين ، إلى مسجد تقام فيه الصلوات الخمس ويؤذن فيها بالدعوة إليها ، وتتصاعد دعوات المصلين في لعنات يصبونها على المستعمرين في معتقلهم ، وقد أفيضت على قلب الإمام عليه السلام مواجيد لدنية واستغاثات محمدية ، تدعو بالويل والثبور لمن غيروا وبدلوا سنن الهدى من بني الأصفر الضالين المضلين .

وتقاطرت وفود أتباعه من جميع أنحاء البلاد ، وتدخل بعض ذوي النفوذ لدى السلطات ، وصوروا لهم الأمر وخطورته ، لأن لزعماء الدين حرمة وحصانة يجب صيانتها ، فأفرج عنه الإنجليز فوراً ، ليعاودوا نشاطهم من جديد ، وليعودوا إلى القبض عليه واعتقاله مرة أخرى "

اعتقال عليه السلام للمرة الثانية ١٦ رمضان ١٣٣٨ هـ ومواجهته مع حكمदार الأمن الإنجليزي:

ويتحدث فضيلة الإمام السيد أحمد ماضي أبي العزائم عليه السلام ، نجل الإمام عليه السلام عن مرة الاعتقال الثانية فيقول : " كانت المنشورات مع بعض المجاهدين ممن تتلمذوا على يد السيد الوالد عليه السلام وكانوا يلجئون إلى السراي ابتعاداً عن أعين مخابرات الإنجليز وجواسيسهم ، وكانوا كثيرين ، وكانت مطبعة المدينة المنورة لا

تكف عن طبع المنشورات السرية ، التي تحرص على الثورة ، وكنت مديرا للمطبعة ، ورئيسا لتحرير مجلتي " السعادة الأبدية " و " المدينة المنورة " .

وكان والدنا الإمام عليه السلام ، لا يكف عن إنزال اللعنات على المستعمرين ، سواء في
الدرس العام ، أو في تجواله بالبلاد ، أو في كتبه ومقالاته في المجلات والصحف ،
وقبيل منتصف ليلة السابع عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٣٣٨ هـ ، سمعت
وقع أقدام خيول وسيارات وجلبة صاحبة ، فأسرعت على المطبعة أخفي
المنشورات وأعدم " المسودات " وأبلغت سيدي الوالد عليه السلام ، الذي كان يجلس
بغرفة نومه بالطابق الأول ، وما هي إلا لحظات حتى أحاط بالبيت الجنود من كل
جانب ، شاهري أسلحتهم في منظر رهيب ، أشبه بإعلان الحرب ، وسأل قائدهم
عن الإمام عليه السلام ، فقلت له أنه يجلس بغرفة نومه ، فأسرع إليها شاهرا مسدسه
وطلب تفتيش الدار جميعها بحثا عن مكاتبات سرية بين الإمام أبي العزائم عليه السلام
وبعض الزعماء المسلمين وفي مقدمتهم كمال أتاتورك — وكان يحارب الحلفاء
وقتذاك — وكنت أعرف أن والدي يضع المكاتبات السرية في صندوق كبير بغرفة
نومه ، فأمسكت أنفاسي لأني أيقنت أنهم سيعثرون عليه لا محالة ، إذ كيف السبيل
إلى إخفائه ، ولشدة ما دهشت عندما رأيت والدي عليه السلام يجلس فوق الصندوق
ويقول للقائد : " فتش كما تريد فليس عند الشيخ شيء يخفيه " ، وازدادت
دهشتي عندما خرجوا جميعا من الغرفة ، دون أن يتنبهوا إلى أن الإمام أبا العزائم
عليه السلام يجلس على صندوق وبجواره الكرسي الذي اعتاد الجلوس عليه ، وذهب
الإمام أبو العزائم عليه السلام معهم ورافقناه إلى ثكنات قصر النيل " ولم يكذباً
اعتقله يشيع بين أنصاره وأتباعه حتى أبرقوا إلى المندوب السامي مهددين متوعدين
إن لم يطلقوا سراحه ، وقد ذهب رسل باشا ليتفقد الإمام عليه السلام في معتقله فوجده

يصلي ووراؤه الموكلون بحراسته من الجند الذين كان يربو عددهم على ٨٠٠ جندي ، ولما أتم صلاته دعا فقال : " اَللّٰهُمَّ اَهْلِكِ الْاِنْجِلِيزَ ، اَللّٰهُمَّ اَخْرِجْ هٰذِهِ الْفِرْقَةَ الطَّاغِيَةَ مِنْ بَلَدِنَا ، اَللّٰهُمَّ اَبْطِلْ كَيْدَهُمْ " ، والجند من ورائه يقولون " آمين آمين " .

فانزعج رسل باشا وأمر بإطلاق سراحه فوراً لأنه في سجنه أخطر عليهم من حريته .

تلاميذه عليه السلام يشعلون ثورة ١٩١٩م:

وقامت ثورة ١٩١٩م في مصر ، ثورة شعبية شاملة كاملة ، وفرح الإمام أبو العزائم عليه السلام بها لأن الكثير ممن أشعلوها من أبنائه وتلاميذه .
وتحقق أمل الإمام أبو العزائم عليه السلام في يقظة الشعب في مصر ، ليوظ الشعب العربي والإسلامي في أنحاء العالم المعاصر ، فقد ظل الإمام عليه السلام يعمل من أجل هذا اليوم ، فإذا كان قد رأى شعباً متحداً متوحدة كلمته ، متفقة أهدافه ، مدوية صرخته ، فتلك إذن جوهر دعوته ولب دعائيه .

مساندته عليه السلام للثورة الفلسطينية " ١٩٢٠م — ١٩٢١م — ١٣٣٨هـ — ١٣٣٩هـ :

وقامت ثورتان في فلسطين عام ١٩٢٠م — ١٩٢١م ، فيكتب الإمام عليه السلام لقادة العرب في فلسطين وفي غيرها من الوطن الإسلامي ويؤيد الثورة بكل قواه ومما قاله في ذلك :

فِي فَلَسْطِينَ قَدْ يَلُوحُ شُؤْنٌ مَحْوَ صُهَيْوْنِ وَالْقَوِيَّ اَلْسَالِبُ

وكانه يعيش أزمة الأردن الأخيرة إذ يقول الإمام عليه السلام :

شَرْقُ أُرْدُنَ فِتْنَةٌ مِنْ عُمَانٍ

نَارُ حَرْبٍ تُنْذِلُ كُلَّ مُلَاعِبٍ

والإمام عليه السلام لا يرى فارقا بين أردني وفلسطيني وشامي وعراقي وعن أحداث الأردن يشبه الإمام عليه السلام أن اليد تلطم وجهها وأن الرجل تركل صدرها ويتعجب كيف يحدث هذا بين المسلمين وهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

موالته عليه السلام الثورة المغربية ١٩٢١م — ١٣٣٩هـ :

وهو في مراكش حاولت فرنسا ، إخماد ثورة ابن محمد الريسوني^(٧١) ، ضد السلطان عبد العزيز بن مولاي الحسن^(٧٢) عام ١٩٠٩م ، فثار الشعب ، وتولى مكانه مولاي عبد الحفيظ^(٧٣) ، ففقد ولاية شعبة ، وهاجم الثوار العاصمة فأس في مارس ١٩١١م ، فاستنجد بالفرنسيين الذين احتلوا فأس ، بينما احتلت أسبانيا العرائش ، وقبل السلطان الحماية في ٣٠ مارس ١٩١٢م ، وقامت الثورة فأجبرت فرنسا السلطان على التنازل عن عرشه لابنه يوسف الذي استسلم للفرنسيين ، وفي نفس العام ٢٧ نوفمبر ١٩١٢م ، اتفقت فرنسا وأسبانيا على تقسيم البلاد إلى مناطق ثلاث :

١ — منطقة النفوذ الفرنسي وعاصمتها الرباط .

٢ — منطقة النفوذ الأسباني " الريف " وعاصمتها تطوان .

(٧١) الريسوني : ١٨٥٤م — ١٩٢٥م — ١٢٧٠هـ — ١٣٤٣هـ ، انتصر على الأسبان بقرب تطوان ، وعقد مؤتمر الصلح ١٩١٢م — ١٣٣٣هـ ، وأسره عبد الكريم الخطابي لما امتنع عن مناصرته ووالى الأسبان ، ومات في تلمسان ، الأعلام ١/ ٢٥٠ .

(٧٢) عبد العزيز بن الحسن : ١٨٨١م — ١٩٤٤م ، سلطان المغرب خلفا لأبيه ١٨٩٤م ، قوي في عهده النفوذ الفرنسي ، خلع ١٩٠٨م ، وتوفي في طنجة .

(٧٣) مولاي عبد الحفيظ : ١٨٦٣م — ١٩٣٧م ، سلطان المغرب ١٩٠٨م ، اعتزل ١٩١٢م .

٣ — منطقة طنجه وتبقى دولية .

ولم يستسلم الشعب رغم الكوارث التي حلت به ، وكان الإمام أبو العزائم عليه السلام يوالي ثورة عبد الكريم الخطابي^(٧٤) بكل نفس فيه وبكل قطرة من دمه ، لمعرفة بما عليه قلب ذلك الزعيم الإسلامي من إخلاص وصدق وشجاعة ، وفضائل إسلامية قل أن توجد في عصره ، ولذا فقد كان الإمام أبو العزائم عليه السلام عائشا في الريف مع القائد ومع الجند ، وقد جعل من بيته مثابة للاجئين من الريف ، كما جعل من مجلاته والصحافة الموالية له ميدانا ينشر فيه انتصارات الثورة ويدعو لتأييدها وتشجيعها وقد لاقت دعوته رواجاً وتأييداً منقطعى النظير ، فسارت الثورة من نصر إلى نصر .

انتصر عبد الكريم في الريف عام ١٩٢١م — ١٣٣٩هـ ، انتصاراً أذهل العالم كله ، وألف حكومة إسلامية وطنية تقدمية .

وعاودت أسبانيا مهاجمته عام ١٩٢٣م — ١٣٤١هـ ، فكانت هزيمتها حديث العالم كله ، إلى أن تدخلت فرنسا إلى جوارها ، فصمد الأمير حتى عام ١٩٢٦م ، وتولى القيادة بعده أخوه الأمير محمد ، فقاتل قتال الأبطال ، ولفت إليه أنظار العالم ، بما أبداه من شجاعة وحسن بلاء ودمائة خلق ، تجلّى في معاملته للأسرى من الأعداء ، ثم اضطر بفعل الخيانة إلى الاستسلام ، فنفته فرنسا إلى جزيرة ري يونيون مع أسرته وتولى بعده من حمل راية ثورة حرب العصابات " الأطلس الأوسط " فكانت تُقَضُّ مضاجع المستعمرين وتترل بهم الخسائر ، ثم قام علال القاسي بعد أن

(٧٤) عبد الكريم الخطابي : ١٨٨٢م — ١٩٦٣م — ١٢٩٩هـ — ١٣٨٢هـ ، زعيم قبائل الرغبة بالمغرب ، ثار على الأسبان وهزمهم قرب مليلة ١٩٢١م استسلم إلى الفرنسيين ١٩٢٦م وتوفي بالقاهرة ، الأعلام ٦ / ٢١٦ .

مكث في مصر وقتا طويلا وقاد المقاومة السلبية والسياسية ، فاضطهده الفرنسيون ، وحلوا الكتلة السياسية التي ألفها في ١٨ مارس ١٩٣٧ م ، قبيل وفاة الإمام أبي العزائم عليه السلام فتألف على أنقاضها الحزب الوطني ، وقامت مظاهرات صاحبة ، فمنعت فرنسا إصدار الصحف الوطنية وهي الأطلس ، والمغرب ، وعمل الشعب ، واعتقلت زعماء الشعب ، وخلقت فرنسا قضية البربر وجعلتها وسيلة للتفرقة .

تلاميذه عليه السلام كانوا الشرارة الأولى في وقود الثورة السودانية ١٩٢١م —

١٩٢٤م — ١٩٣٩هـ — ١٣٤٢هـ :

وفي السودان حيث أمضى الإمام أبو العزائم عليه السلام من سني شبابه قرابة ربع قرن ، ربي أثناءه جيلا من خيرة شباب البلاد وشيوخه ، ممن كانوا يحضرون دروس الحكمة في المساجد والمجتمعات ، وممن كانوا يتلقون العلم على يديه في المدارس والكلليات ، ولقد دخل السودان في طور جديد من تاريخه ، بعد توقيع اتفاقيه الحكم الثنائي ارتبط فيه ببريطانيا ارتباطا وثيقا في شتى مناحي حياته ، وأخذت الإدارة البريطانية تنشيء دواوينها ، وتنظم أعمالها ، وتخطط مشروعاتها الاقتصادية والثقافية ، وتفرض ضرائب على الناس حتى تفجرت الثورات في الجنوب والشمال ، ففي الجنوب وحده قامت ثلاث عشرة ثورة أولها عام ١٩٠٢م وآخرها عام ١٩٣٤م ، وكانت أهمها جميعا ثورة ١٩٢١م — ١٩٢٤م ، ومن أهم أسباب ثورة السودان ، أن الإدارة الاستعمارية لم تخف سياستها ، بل أوضحتها في المذكرة التي قدمتها للجنة ملنر التي حضرت إلى مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩م ، ومؤداها فصل جنوب السودان عن شماله ، وإبعاده عن أي أثر إسلامي ، وعزل الجنوب وضمه لشرق أواسط أفريقيا ، وتنفيذا لذلك صدر قانون المناطق المقفولة عام ١٩٢٢م ،

وأعطى الحاكم العام البريطاني سلطة منع أي مواطن سوداني أو غيره من الدخول أو البقاء فيها .

وقد ظهرت بعد عام ١٩٢٠م طبقة المثقفين من أبناء الشمال والجنوب ، متجاوبين مع ثورة ١٩١٩م في مصر ، فأقضوا مضاجع بريطانيا عندما قام الضباط الوطنيون بثورة مسلحة ضد الإدارة الاستعمارية في نوفمبر ١٩٢٤م ، وكانت الشرارة التي أشعلت الثورة ، قرار الحكومة البريطانية بتسريح الجيش المصري في السودان ، وطرده قيادته إلى مصر ، وكان زعيم جمعية اللواء الأبيض علي عبد اللطيف تلميذا للإمام أبي العزائم عليه السلام منذ حداثة سنه ، كما كان زملاؤه كلهم ممن تخرجوا على يديه في كلية غوردون ، وفي مقدمتهم حسن فضل المولى ، وثابت عبد الرحيم ، وعبد الفضل ألماظ ، وقد حوكموا جميعا أمام محاكم خاصة ، وكانت محاكمة علي عبد اللطيف وأقواله أمام الهيئة مثالا صادقا لما تتسم به التربية الإسلامية ، والتي تنمي الشعور بالوطنية الحقة ، كما جاءت أقواله دليلا حيا ، لما يمكن أن تؤثر به شخصية الزعيم الديني في تلامذته ، ولما وجد المستعمرون أن المحاكمة ، قد تحولت إلى مظاهرة وطنية ودينية ، ادعت عليه بالجنون وأودعته مستشفى الأمراض العقلية ، وقد شهد الدكتور بيمان ، بأن علي عبد اللطيف مثالا للاستقامة والتهابة ورجاحة العقل ، ولقد حرص الإمام أبي العزائم عليه السلام أن يزور تلميذه بالمستشفى في فترات متقاربة ، ويجلس إليه الساعات في جلسات روحية عالية ، إلى أن انتقل الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى جوار ربه .

الفصل الثالث

الإمام المجدد عليه السلام يدعو

إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

بعثة الطريقة العزمية للحج ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م:

كانت بهدف توعية الأمة العربية عن المخططات الاستعمارية وتحذير الحكام من موالاة دول الاستعمار حاول هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية سنة ١٨٩٧م الاتصال بالسلطان عبد الحميد للسماح لليهود بإنشاء مستعمرات زراعية في فلسطين لقاء مبالغ طائلة من الأموال كانت الخلافة العثمانية بحاجة إليها ، ولكن السلطان رفض ذلك .

وعدت بريطانيا الشريف حسين بن علي ملك الحجاز بواسطة هنري مكماهون نائب ملك بريطانيا بمصر باستقلال البلاد العربية بعد أن تضع حرب ١٩١٤م أوزارها ، كما وعده بإعادة الخلافة الإسلامية إلى مهدها في الجزيرة العربية وفي سلالتها القرشية .

أعلن الشريف حسين الثورة العربية ضد تركيا لصالح بريطانيا وحلفائها في يونيو سنة ١٩١٦م . وبعد ذلك أصدر بلفور وزير خارجية بريطانيا تصريحه في ٢/١١/١٩١٧م ، بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

في عام ١٩١٨م زحفت القوات البريطانية نحو فلسطين ، ولولا معونة قوات الثورة العربية بقيادة فيصل بن الشريف حسين لما استطاع الجنرال اللنبي الاستيلاء عليها

من الأتراك ، ولما قال عند دخوله مدينة القدس : " الآن انتهت الحروب الصليبية . "

اجتمع الأمير فيصل بن حسين بن علي — شريف مكة — ممثل المملكة العربية الحجازية مع الدكتور حاييم وايزمان الزعيم الصهيوني في ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩م لتوطيد الصلات بينه وبين الشعب اليهودي .
وفي ٢٤ / ٧ / ١٩٢٠م أعلن الانتداب البريطاني على فلسطين فوافقت عليه عصبة الأمم .

تقطيع بريطانيا جزاء من فلسطين تنشيء عليه تحت حمايتها إمارة شرق الأردن التي تحولت عام ١٩٤٦م إلى المملكة الأردنية الهاشمية .

وكان من أهداف بعثة الطريقة العزمية للحج اجتماع الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام بالشريف حسين بن علي وكافة حكام العرب في موسم الحج لتوعيتهم عن مدى الخداع الذي كانت تمارسه بريطانيا وحلفاؤها على الملوك والحكام العرب مما أدى إلى انتزاع فلسطين من الأمة العربية وإهدائها إلى الصهيونية وإخضاع البلاد العربية لمزيد من التمزق والاحتلال الأجنبي باسم الوصاية والحماية والانتداب .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يحذر الطاغية حسين بن علي من موالاة الاستعمار
١٩٢٢م — ١٣٤٠هـ:

في عام ١٩٢٢م ، وكانت أحداث العالم العربي والإسلامي تهره وتعتصره ، والطاغية حسين ما زال متربعا على عرش الظلم والطغيان يذهب الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى الحجاز محرما به من داره وفي صحبته وركابه خمسمائة من أتباعه ومريديه غصت بهم محطة القاهرة وامتألت بهم عربات القطار . ويصل الموكب جدة ، وفي

انتظار الإمام أبي العزائم عليه السلام مدير البرق ، نائبا عن الشريف . ويعرض عليه اختيار أحد قصور الشريف بمكة لإقامته وأتباعه فيرفض قائلا : " إن أبا العزائم رجل خديم الفقراء ، ولا يحتاج في إقامته إلى القصور " ويرد مدير البرق أن تلك أوامر سيدنا ولا قدرة لنا علي مخالفتها فيقول الإمام عليه السلام " يا بني أن لك أن تسيد على نفسك من تشاء . أما أنا فأقول إنني في أرض لا سيد فيها إلا الله عز وجل " . وكأنا كانت حجة الإمام أبي العزائم عليه السلام هذه هي خاتمة حياة حسين في أرض الحجاز ، فقد أثر أنه كان في طوافة بالكعبة يدعو على الطاغية ، عماد الظلم والبغي ، ويردد الحاضرون الدعاء . ولم يمض عام ١٩٢٤م حتى كان عبد العزيز آل سعود يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود . ويجلي عن أرض الحجاز آخر معاقل الظلم والفساد . ويوقع معاهدة جدة ١٩٢٤م مستبدلا بها معاهده القطيف . وينفي حسين إلي قبرص ليقضي حياته التبعة ويموت هناك . وفي هذه الحجة عاد الإمام أبو العزائم عليه السلام للتعرف على من كان عرفهم في عمرته قبل الحرب . وأضاف إليهم معارف جديدة من مختلف أنحاء الوطن الإسلامي ، بعد أن اكتوى العرب بنار المستعمر وبغيه . فوعوا قضيتهم وعرفوا محتتهم ولمسوا أمراضهم وأهمها التفرقة والتجزئة .. فلقد اجتمع الإمام أبو العزائم عليه السلام بوفود من الشام ، والمغرب ، والهند ، وفارس ، وأفريقيا ، وجاوا ، ومسلمي القوقاز والروسيا ، وغيرهم وتوثقت صلته بجمعية العلماء بالهند وبالفيلسوف محمد علي جناح ، ومحمد إقبال ، وشوكت علي ، وكفاية الله ، ومن أهل جاوا اتصل بالشيخ محمد حيء ، وبالشباب المناضل أحمد سوكارنو ، كما اتصل بزعماء سوريا وفلسطين وغيرها . وكان لذلك أحسن الأثر في تنسيق الجهود عند النظر في موضوع إلغاء الخلافة ...

الإمام المجدد أبو الغزائم عليه السلام يدعو الله لنصرة أبطال الأناضول ... والمولى
سبحانه وتعالى يستجيب ١٩٢٢م — ١٣٤٠هـ :

في يوم الأحد ٥ ذي الحجة سنة ١٣٤٠هـ وكانت وحي الحرب دائرة بين أبطال
الأناضول ودول التحالف وقد تعلق عليه السلام بأستار الكعبة عندما سمع الأخبار
بانتصار دول الظلم علي إخواننا أبطال الأناضول وبعد أن تعلق عليه السلام بأستار
الكعبة مناجيا رب البيت بهذه الأبيات التي جعلت كل الحجاج يصيحون باكين
مرددين ومعقبين كلامه أنت البشائر ترى بانتصار أبطال الأناضول على دول
الكفر .

وَنَادَيْتُ مُضْطَرًّا أَنُوحَ عَلَى ذَنْبِي
أَلَا رَحْمَةً عَفَوًا يَمُنُّ بِهِ رَبِّي
أَرُومُ شُهُودَ الْوَجْهِ بِالشَّوْقِ وَالْحُبِّ
لَأَنِّي مُسِيءٌ ظَالِمٌ أُرْتَجِي قُرْبِي
لَأَنِّي ظَلُومٌ جَاهِلٌ خَائِفٌ الرُّعْبِ
أَلَا رَحْمَةً يَاسَيِّدِي طَهَّرْنَ قَلْبِي
تَذَارِكُ يَاحَسَنَ الْعَوَاطِفِ يَارَبِّي
عَوَاطِفَ حَنَّانٍ وَعَفْوًا عَنِ الذَّنْبِ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَمْحُو خَطَايَايَ بِالْحُبِّ
بِعَفْوٍ وَإِحْسَانٍ بِفَضْلِ بِلَا كَسْبِ
وَحَاشَا يَرُدُّ الْعَبْدُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ
وَأَنْتَ غَفُورٌ جَمَلُ الْعَبْدِ بِالتَّوْبِ
بَأَنِّي سَأَلْتُ الْفَضْلَ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ
تَفَضَّلْ عَلَى الْمَسْكِينِ بِالْحُبِّ وَالْقُرْبِ

تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ
تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ وَالْقَلْبُ خَاشِعٌ
تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ خَوْفًا وَرَهْبَةً
تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ وَالْخَوْفُ قَاتِلِي
تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ أَسْأَلُ تَوْبَةً
تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ أَسْأَلُ خَالِقِي
أَتَيْتُكَ مُضْطَرًّا وَهَئَانَا عَائِدٌ
ظُلُومٌ جَهُولٌ جَاءَ بِالذُّلِّ رَاضِيًا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَمَحْ الْخَطَايَا بِوُسْعَةٍ
أَنَا الْمُخْطِيءُ أَلْعَانِي الظُّلُومُ تَوَلَّيْ
تَعَلَّقْ بِالْأَسْتَارِ عَبْدُكَ ضَارِعًا
أَنَا ظَالِمٌ بَلْ مُذْنِبٌ بَلْ وَمُخْطِيءٌ
تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ وَالْقَلْبُ مُوقِنٌ
تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ طَمَعًا وَرَغْبَةً

دُثُوبِي وَإِنْ كَثُرَتْ فَإِنَّكَ مُحْسِنٌ
 وَلَمْ أَيَّاسَنْ مِنْ كَثْرَةِ الذَّنْبِ وَالْخَنَا
 تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ أَسْتَارِ بَيْتِهِ
 وَسَيْلَتِي الْمَخْتَارُ طَهُهُ مُحَمَّدٌ
 تَعَلَّقْتُ بِالْأَسْتَارِ وَاجَهُ حَقِيقَتِي
 وَصَلَّ عَلَى الْمَخْتَارِ طَهُ حَبِيبِنَا
 وَمَا هُوَ ذَنْبِي فِي الْحَقِيقَةِ مَا عَيَّنِي
 لِأَنِّي قَصَدْتُ اللَّهَ بِالرُّوحِ وَالْقَلْبِ
 أَنَادِيهِ أَشْهَدُنِي جَمَالاً بِلا حَجَبٍ
 فَتَاوُلْ طُهُورَكَ لِلْمَعْنَى بِلا شَوْبٍ
 بَوَجْهِكَ يَا ذَا الْفَضْلِ فِي حَالَةِ الْقُرْبِ
 صَلَاةً بِهَا نُعْطَى جَمَالاً مِنَ الرَّبِّ

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام رجل لا يقاس بالرجال:

ولما حج الإمام عليه السلام دعاه الشريف ليتناول الطعام علي مائدته الخصوصية ، فقال
 الإمام أبو العزائم عليه السلام " أنا جئت إلا لزيارة ملك عظيم له الجلال " ، ولما كان
 الإمام عليه السلام بمحلى كان في رحاله مائة وخمسون جنيها ذهبية ، فشرع بهم رجل من
 أهل الغي والضلال ، فشق الخرج وأخرج الكيس بما فيه من النقود المطلوبة ، ثم
 أخرج النقود وأخذها وألقى الكيس بعيدا عن الرحال ، فبلغ الإمام عليه السلام ما حصل
 فقال الحمد لله أنا في ضيافة الله لا يفعل بي إلا ما فيه المصلحة الذاتية ، فاجتمع
 حوله الإخوان وقالوا له لا بد أن يؤدب من تجرأ على هذه العملية ، فقال لهم الذي
 أخذ النقود من المسلمين وأنا ساحتته من تلك الأموال ، وتوجه معنا في تلك الليلة
 إلى مسجد الخيف بمحلى وهو في مسرات كلية ، وما زال ساهرا طول هذه الليلة في
 شكر وثناء وجمال وما رأيت الإمام عليه السلام مسرورا مثل هذه الليلة وهي حالة
 روحانية ، حتى صلى الصبح وختم الصلاة والإخوان في دهشة من تلك الأحوال ،
 وقد اجتمع الإمام عليه السلام برجل اسمه الشيخ أحمد شمس الدين وهو مقيم بالمدينة
 المنورة وله قدم ثابت في طريق الرجال ، فجلس وعند الانصراف أخذ الإمام عليه السلام
 يد الشيخ أحمد ووضعها على صدره وقال له اقرأ " ونزل من القرآن ما هو شفاء "

فإن فيك روحانية ، فوضع الشيخ أحمد يده علي صدر الإمام عليه السلام وقرأ الآية فحصلت له هزة كلية ، علم منها أن الذي أمامه رجل لا يقاس بالرجال ، وكان حول الشيخ أحمد عظماء مكة فمشي الشيخ أحمد وراء الإمام عليه السلام ليؤنسه ولم يستطع أن يلبس نعليه من الحالة القوية ، ومشى حافيا وراء الإمام عليه السلام والناس في تعجب واندهال ، وكان للإمام عليه السلام تلميذ يسمى تاج الدين وكان متزوجا بنت الشيخ ومن أكبر خلفائه أهل المزية ، فقال الإمام أبو العزائم عليه السلام إني أريد أن أتوجه إلى مصر لأتلقى المعارف عن السيد ماضي فهو في أعلى الكمال ، فأذن له الإمام عليه السلام وحضر إلى مصر وكنت حاضرا تلك القضية ، فلما حضر قال له الإمام عليه السلام ما الذي جاء بك يا من عليك سما الجلال ، فقال جئت لأتلقى عنك العلوم الخفية ، فإن التعصب للشيخ إنما هو شأن الأطفال ، وأخشى أن أموت وأنا ناقص الإيمان فبحق جدك لا تحرمني من العطية ، فعطف عليه الإمام عليه السلام بنظرة نال بها الأنس والكمال فانظر إلى همة هذا الرجل فإنه يترك شيخه وهاجر من الحجاز إلى الديار المصرية ليتكامل بالعلم ويتحمل بالحال .

اللهم انفعنا بنفحات أهل الهمة العلية ، واحفظنا من العوائق في سبيل الوصال.

مؤازرته عليه السلام للزعيم عبد العزيز جوايش بالآستانة ١٩٢٣م — ١٣٤١هـ:

ومع الحرب العالمية الأولى ، ومع اضطهاد سلطات الاحتلال ومطاردة السراي تسلل زعماء الحزب الوطني إلى الآستانة ، وأقاموا بها ، ثم تركوها بعد انتهاء الحرب إلى أوروبا ، ولقد كان الإمام أبو العزائم عليه السلام على اتصال بالآستانة، وكان يعتبره الخلفية الحقيقي للزعيم مصطفى كامل يقول : " .. تعلم أيديك الله تعالى أنه سبحانه أقام الحجة على أنه معنا الآن بما أظهره من يقظة المجتمع الإسلامي ، وقيامه مطالبا بحقوقه المقدسة ، إلا من سلب الله منهم الإيمان من الخوارج على الله

ورسوله ﷺ، وعلى جماعة المسلمين وإمامهم ، وقد نصر الله عبده وأعز جنده وهزم الحلفاء وحده ، وسيهلك ^(٧٥) الخارج بمكة الذي أُلحد في الحرم وظلم ، لأنه والى أعداء الله وجعلهم حماة لبلد الله ، التي جعلها سبحانه حرما آمنا ، وقام ففرق المجتمع الإسلامي ، يضرب المسلم بسيف الكافر هو وأبنائه وقد توعد الله تعالى هو وأمثاله بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذُقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الحج: ٢٥ ، وتلك الآيات تجعلنا نسارع إلى جمع شتات الأمة ولم شعثها ، ورجوعها إلى ما كان عليه سلفنا ، مبينين لها خدع العدو ، وعاقبة الركون إليه ، لتنوع أفكار الأمة وتنحذب جميعها إلى الحق ، قولاً وعملاً وحالاً ، فيعيد الله لنا ما كان لسلفنا من العزة والتمكين في الأرض بالحق .

" والإمام عليه السلام أعزه الله ، لسان هذا الجسد العامل ، ويعلم أن مصر هي البلد الذي تجب العناية به الآن بعد إستامبول ، لأنه النجم الذي إذا ارتفع سرى نوره في سائر المجتمعات الإسلامية ، وأرى أن العمل لدفع شرور الأعداء ، وقطع اليد الأثيمة القابضة عليها ، ينتج الخير العام لجماعة المسلمين ، على أني متحقق أن القلوب إنما يحییها نور العلم الديني ، ولسان الحكمة الجذاب إلى الحق ، وتلك الدعوة هي الخمر الذي يسكر الأرواح ويجمع القلوب النافرة ، ويزيل أمراض النفوس من المرض والحسد والطمع والأمل ، على أني أسأل الله تعالى أن يذل الأعداء وييسر للإمام عليه السلام الحضور في جو صاف ، أما مسألة كمال باشا وتوجس بعده عن الدين والخلافة ، فهذا شيء متوقع لأنهم يريدون السير على الاتجاه

(٧٥) يشير إلى الشريف حسين.

العلماني الأوروبي الذي يفصل الدين عن الدولة ، فاتركهم وشأنهم لأن إشعاع الحضارة الإسلامية سينبعث من مصر ، وسيبهر ضياؤه أنظار العالم ... "

كشفه عليه السلام للأسباب الحقيقية الخفية لاختلاف زعماء الأمة ١٩٢٣م —

: ٥١٣٤١

وانتهت ثورة ١٩١٩م ، وأفرجت بريطانيا عن سعد وصحبه ، وأصدرت تصريح فبراير ١٩٢٢م تمنح به مصر استقلالها الذاتي بعد تحفظات أربعة . وإقامة حكم نيابي ديمقراطي ، ومنح الملك شعبه دستور عام ١٩٢٣م ، وأسرع السياسيون إلى إنشاء أحزاب سياسية كانت نكبة على البلاد ، ففتتت وحدثها بعد جمع ، وبددت كلمتها بعد اتحاد ، ووزعتها طوائف متنافرة مختلفة فيما بينها ، متفقة جميعا على إرضاء المستعمرين ، ولو على حساب مصالح الشعب ومصيره ومقدراته ويرى الإمام أبو العزائم عليه السلام أن اليأس بدأ يدب في نفوس الوطنيين المخلصين فكان يقول بأعلى صوته ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧ وأنه يجب على المسلمين أن يأخذوا بالوسائل ، وبالأسباب التي يرونها مشروعة ومؤدية إلى الهدف وإلى الغاية السامية ، فإذا لم يصلوا بعد استنفاد الجهد ، فإنما هم عبيد مخلوقون ومربوبون وأنه لم يبق أمامهم سوى القوة التي هي فوق الأسباب ، فليصبروا وليصابروا وليرابطوا .. " .

ولكن الأحزاب تظل تتطاحن وتتناطح وتتنافر لمصلحة الاحتلال ، فقد استراحت بريطانيا وتركتهم بعضهم يموج في بعض .. وتصدر مجلات الإمام أبي العزائم عليه السلام مفعمة صفحاها بالمقالات النارية التي تبين الأسباب الحقيقية الخفية لاختلاف الزعماء ، والذي جاوزت الحد إلى التناول على الأعراض والحرمات ، ويقارن بين

ما كان عليه حال البلاد إبان الثورة من اتحاد وائتلاف وتعاون ، لا فرق بين كبير وصغير ، أو عظيم وحقير ، وبين ما آلت إليه من اختلاف وفرقة ، في سبيل الوصول إلى كراسي الحكم ، بكسب ود المستعمر والمسارة إلى تحقيق مطالبه ، وترك مرافق البلاد شبه خراب ، وتجارة الأمة في حالة كساد ..

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يَشْدُدُّ على الزعيم سعد زغلول ١٩٢٣م — ١٣٤١هـ:

والإمام أبو العزائم عليه السلام داعية وحدة واتحاد وإخاء في الإسلام وفي الإنسانية ، همه جمع القلوب على الخير وائتلاف النفوس إلى الحق ، فكانت دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان سعد زغلول^(٧٦) شديدا على خصومه ، لدودا في خصومته ، وآفة ذلك العصر كانت الحزبية البغيضة والعصبية المنحازة ، والإعجاب بالرأي لدى القادة ، ومن رسالة للإمام أبي العزائم عليه السلام إلى سعد زغلول في هذا المعنى يقول :

" ... تذكر عند زيارتي لكم أني طلبت منك ، أن تغفو عمن ظلمك ، وأن تحسن إلى من أساء إليك ، وكان ذلك قبل سفرك إلى سيشل ببضعة أيام ، فأجبتني قائلا : أنا لا أملك العقوبة فكيف أملك العفو ، فأخبرتكم أن الله تعالى سيقدر لك ملك العقوبة والعفو ، فأجبتني : لديها أفعل ما تحب ، وكان معك النقراشي ، فدعوت لكم وانصرفت ، والآن ، وقد أقامكم الله مقاما يجب عليكم أن تشكروا من تفضل عليكم به بالعفو والإحسان في خلقة ، خصوصا والشأن يهم الجميع ، والله تعالى

(٧٦) سعد زغلول : " ١٨٥٧م — ١٩٢٧م — ١٢٧٣هـ — ١٣٤٦هـ " نفى إلى مالطة ١٩١٩م — ١٣٣٧هـ ، ونفى إلى سيشل ١٩٢٢م — ١٣٤٠هـ ، رئيس الوزراء ١٩٢٤م — ١٣٤٢هـ ، أسس الحزب السعودي أو الوفد .

قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ المائدة: ٢ ويقول تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩ وإني أسأل الله أن

يشرح صدركم إلى ما به الظفر بقضيتنا .. "

" .. فتقبل نصيحة من رجل يحب لك الخير في الدنيا ، وحسن الأحداث بعدها ،
والنعيم المقيم يوم القيامة " .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يشد أزر الزعيم سعد زغلول ١٩٢٣م —

١٣٤١هـ:

وفي رسالة أخرى لسعد زغلول ، يشد أزره ، ويقوي فيه اليقين ويطلب منه
العمل على لم الشمل وجمع الكلمة ، والتوجه بها إلى المطلب الأسمى لخير الأمة
فيقول :

" تعلم أيها المجاهد الكبير أن قدر الرجال بنتائج أعمالهم لا بآمالهم ، وبقدر تأثيرهم
على النفوس لتزكو وتتعاون على الخير ، لا بقدر ما ينالون من العلو والحظ ،
وأنت يا أخي قد أظهرك الله في وقت اقتضت أحداثه أن يكون كل مصري جنديا
يمد يده إلى قائد قوي الإيمان ، يأنس بما يستوحش منه أهل الأهواء ، صغرت في
عينه المناصب وإن جلت ، واحتقر الحمد على ما لم ينل ، وإنا لنعلم فضل الإقدام
في وقت الفزع ، والتمسك بمعالي الأمور ، والغيرة للحق ، وتعلم أن الأمة تحققت
ذلك عن يقين .. وقد جعلك الله أيها الرئيس في وقتنا هذا بما لم يكن في الحسبان ،
وهو ما به الظفر بضالتنا المنشودة ، بإجماع الأمة على العمل لمقصد واحد ، لا
يختلف فيه اثنان مهما تباينت التزعزعات الحزبية ، وأنت يا دولة الرئيس تعتقد أن كل
مصري حريص على أن يعيش حرا مستقلا ، وقد ضحى في سبيل ذلك بالنفس
والمال والولد ، وإنما هي الأخلاق تجمع إذا أحسنت وتفرق إن ساءت ، وقد قَالَ

تَعَالَى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت:

٣٤ .

" ... وأني أشكر الله إليك على ما أغاثنا به في هذا الوقت الحرج من الصفاء بعد الجفاء ، والتناصر بعد التخاذل ، وأشكركم يا دولة الرئيس على الحجة التي أقمتموها لأنفسكم ، بالمسارعة إلى ما به صحة الجسد المصري ، وأرجوكم بعد أن ظهرت لكم نتيجة جمع كلمة الأمة ، أن تداووا بقية أعضاء هذا الجسد المصري المبارك حتى تعم المسرة كل بيت بوادي النيل ، بل يسري السرور إلى كل أمة إسلامية وشرقية ، ويسري إلى سلفنا الصالح في روضاته ، كي ننال بهذا العمل المبرور رضوان ربنا جل جلاله ، وسعادتنا في هذا الزمن ، وخيرات أبنائنا من بعدنا في المستقبل والأمر سهل على رجل عظيم مثلك ، وجهه وجهه لإنقاذ وطنه وأمته من وحلة الاستعباد وظلمة الاستبداد ، والله داعيا أن يطيل عمرك عاملا للخير داعيا إليه " .

تأييده عليه السلام للحزب الوطني:

ومع تأييده لسعد ، إلا أنه كان يعتبر أن الحزب الذي يعمل حقيقة لخير الوطن ، هو الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل ، وكان الإمام عليه السلام يعطف عليه ويدعو له ، ويؤيده ، وكان يكتب ويتصل شخصيا بالزعيم محمد فريد ، وبالشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور عبد الحميد سعيد وغيرهم ، وفي ذلك يقول في مقالة له بجريدة السياسة التي صدرت يوم الخميس ١٣ يوليو عام ١٩٢٨ م ، تحت عنوان " النصيحة أغلي ما يباع ويوهب " " ... أقام الحزب الوطني الحجة أنه الحزب الفاضل الذي ينفر عند الفزع ، ويختفي عند السخرية والتناзд ... " .

موالته عليه السلام للمصريين المغتربين في أنحاء أوروبا:

وكان الشيخ يوالي الاتصال بالمصريين والمسلمين المقيمين ببلاد أوروبا ، يذكرهم بقضيتهم ، ويحثهم على أن يكونوا قدوة تجذب الإفرنج إلى الإسلام ، كما كان أسلافهم ، ومن رسالة له ردا على ما بعث به إليه الأستاذ محمد سليمان^(٧٧) من سويسرا ، حيث كونوا اتحادا يضم المصريين المغتربين في أنحاء أوروبا يقول له :

" السلام عليك وعلى جميع أولادي عندكم ، ممن جذبهم حب الخير للمجتمع الإسلامي الكبير ليكونوا عمالا مخلصين لله ولرسوله ، وللجامعة الإسلامية ، فأقبلوا بكليتهم إلى تحصيل الوسائل الفعالة للقيام بالأمة وسد الفراغ الذي مكن غيرنا منها ، أكتب إليكم يا أولادي وأنا بين درسي ومحربي ، أتمثلكم فأبتهل إلى الله تعالى أن يجعلكم أنجما مشرقة تضيء للمجتمع ، وأن يحفظكم من المعصية وأسبابها ..

تعلمون يا أولادنا أن الجيل الماضي من سلفكم الصالح ، ينادونكم أن انفضوا يا أولادنا لتجديد مجدكم ، وهبوا لنيل مقصودكم وأن الحاضر من إخوانكم المسلمين ينظرون إليكم بعيون ملؤها الأمل ، ويلحظونكم بقلوب ملؤها الحنان والرجاء ، وينتظرون منكم باكورة تلك النهضة المباركة ، حتى تعودوا بذخائر العرفان وكنوز الصناعة والفنون ، وأن الجيل المستقبل يسألكم أن تبقوا لهم آثارا يعتدون بها ودعائم يشيدون عليها ..

" ... أولادي ، تعلمون أن القلوب معكم ، والعقول تفكر فيكم ، وأن نفسا من بعدكم عنا عزيز علينا ، لولا الآمال التي نعلقها بالله تعالى وبلك الحقيقة تجعل أنفاسكم أنفس من النفائس ، فليقبل كل واحد منكم على ما تميل إليه نفسه من العلوم والفنون والصناعات ، ليكون نابغة فيها ، وحسنوا نواياكم في القصد ، واعلموا يا أولادي أن تقوى الله أساس كل رقي ، وكل خير في الدنيا والآخرة ،

(٧٧) محمد سليمان : الإعلام ٦ / ١٥٣ توفي ١٩٣٦م بالقاهرة ، ولي القضاء في " ببا " من أعمال بني سويف ثم كان نائبا في المحكمة العليا الشرعية بالقاهرة وله مؤلفات كثيرة .

وإني أعلم أن فتن البلاد الأوروبية بالنسبة للأُمور المباحة فيها مما حرمه الله ، ربما يجعل الطالب ينسى ما عليه لله سبحانه ولرسوله ﴿ص وآله﴾ ولوالديه ولأُمته ، فليتذكر كل طالب منكم أن الله تعالى معه ، وأنه غيور سبحانه ، وليحافظ كل المحافظة ، أولا بالذات على القيام بفرائض الله تعالى وبسنن رسول الله ﴿ص وآله﴾ ، وعلى الغرض الذي هاجر من أجله ، وثانيا على أن يكون مثالا حسنا يمثل للقوم الذين هو بينهم جمال الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملة ، كما كان يفعل أصحاب رسول الله ﴿ص وآله﴾ من السلف الصالح ، فإن القوم يرسمون صوركم على قلوبهم ويحكمون على الإسلام بما يتصورونه عليكم .

" أولادي أنتم غرباء ، ولكن الأخلاق الإسلامية جعلت المسلم قريبا حيث كان ، مألوفاً حيث حل ، هذا يا ولدي ، وإني أحب أن تقابل أخي وحيبي وولدي الحسيب النسيب السيد علي عناني رئيسكم ، وتبلغه أشواقي وصالح دعائي وتوجهاتي ، وتذكره بالماضي ووصيتي له وأنا بتمثل الشيخ صبيحي ، وتبلغه عني أن الأمة تنتظر منه خيرا ، وأن سيادة والدته وأسرته في خير ويشتاقون إليه ، وأطلب منه أن يقدم لرجل الأمة جميعها وفرداها والعامل لخيرها حبيبي الشيخ عبد العزيز جاویش تحياتي وأشواقي وابتهالي إلى الله الليل والنهار أن يبلغه آماله العظيمة ، وأن يعينه على تنجيز قصوده بمعاونته وقدرته ، حتى يفوز بكل آماله ، وإني والحمد لله على ثقة من الله تعالى وطمأنينة قلبية أن الله سيظهر به فضائل الدين ، وأنه سبحانه منفذ وعده ... "

مخاطبته عليه السلام لجمعية الطلبة المصريين في أوروبا بشأن العلاقة بين الاشتراكية والإسلام:

كان الكاتب الكبير حفي ناصف^(٧٨) من أقطاب الوطنيين ، فأرضع أولاده لبانها منذ طفولتهم حتى إذا شبوا اشتركوا في ثورة عام ١٩١٩م اشترك تضحية وفداء ، وكان حفي ناصف يحرص على سماع تفسير أسرار القرآن من الإمام أبي العزائم عليه السلام ، وقد توثقت بينهما صلة روحية وزار الإمام عليه السلام حفي ناصف في داره وتنبأ لابنته الطفلة ملك بمستقبل باهر ، فكانت شابه من كبريات أدباء مصر طار صيتها إلى الآفاق ..

وفي أعقاب ثورة ١٩١٩م شخص أبناء حفي ناصف ، عصام الدين ومجد الدين ، إلى أوروبا للدراسة ، وهناك أسسا جمعية الطلبة المصريين في أوروبا ، وكان عصام الدين سكرتيرا لها في برلين ، في حين كان مجد الدين سكرتيرا للجمعية في باريس ، وقامت الجمعية بنشاط اجتماعي وسياسي في خدمة القضية العربية المصرية ، ولكنها اتجهت إلى اليسار الأوربي مبهورة بالمبادئ الاشتراكية المتطرفة ، واعتبرت هذا اليسار هو السند الوحيد لحركة التحرير الوطني في مصر ، وذلك بعد التأكد من خداع مباديء ويلسون ، ولما كان سعد زغلول مفاوضا مصرياً معتدلاً ، فإنه من الطبيعي أنت تتصادم مباديء الطلبة اليسارية مع مباديء الوفد ، وقد تزعم عصام الدين وأخوه ، حملة ضد سعد ومبدأ المفاوضة ، وعقدوا المؤتمرات الطلابية واتهموا الوفد في باريس بإتباع سياسة التهاون والتردد ، وقابل الوفد هذا الإجراء بمنع مساعداته المادية ، فاتجهوا لمصر واتهمت عليهم المساعدات وكونوا فرعا لهم بالقاهرة ، ما أزعج سعد زغلول .

(٧٨) حفي ناصف : ١٨٦٠هـ — ١٩١٩م أديب مصري له تاريخ الأدب وحياة اللغة العربية وديوان شعر .

واتصل عصام الدين بالإمام أبي العزائم عليه السلام ، في رسالة مطولة أشار فيها إلى موضوع بالغ الأهمية هو : " العلاقة بين الاشتراكية والإسلام " يختتمها بقوله : " وعلي ذلك فليس هناك أي تنافر بين الاشتراكية والإسلام ، وإذن فقد كذب الذين يستندون إلى الآية ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ الزخرف: ٣٢ لتشيط همم الطبقة العاملة بحقوقها وتبرير حالة الذين يرثون المال فيأخذون في إنفاقه على العاهرات وبائعي الخمور متخذين من تركيز الثروة في أيديهم قوة ووسيلة لإتلاف أخلاق الوسط الذي يعيشون فيه ... "

ويرد الإمام أبو العزائم عليه السلام على الثائر الشاب ، الذي اختلط عليه أمر الإسلام كدين وعقيدة ، بالاشتراكية كمذهب وفلسفة ، فيقول في رسالته التي تقع في اثني عشرة صفحة .. " ليست الاشتراكية هي الإسلام ، وليس الإسلام هو الاشتراكية ، الاشتراكية فلسفة ومذهب إنساني ، من وضع الإنسان الذي لا يبرأ من الخطأ والغرض والطمع ، مهما حاول أن يكون قريبا من الصواب ، فتلك طبيعته ، أما الإسلام فهو دين سماوي ونظام إلهي ، ووضع رباني ، فهو أبقى على الدهر وأقرب للعدل ، لأنه يأمر بالمساواة وينهي عن البغي والعدوان ، لأنه يقوم على التوحيد ، ووحدانية الألوهية تمحو الشرك ، وأن الشرك والطغيان متلازمان ، وليس في رسالة الإسلام أدنى عيب ، إنما العيب في المسلمين أنفسهم ، وما زال الإسلام على حق بتعاليمه محفوظا في كتاب الله وسنة نبيه ، وهو حاكم على المسلمين غير محكوم عليه بأعمالهم ، الإسلام يا ولدي قوة الإيمان التي هي بمثابة الوقود ، وعمل يحرك الآلات نحو غايتها السامية المرسومة لها .

" .. وحقيقة الأوضاع التي تراها الآن في المجتمع الإسلامي الكبير أن الاستعمار في شكله الحديث عمل على أولى مراحل ، على تعميق هوة القديم الموجود أمامه من الشعوبية والعصبية في المجتمعات الإسلامية المتفرقة ، حيث وجد مجتمعها إسلاميا ضعيفا ، وعرف الاستعمار أن سر ضعفه يكمن في حزبيته وشعوبيته ، فلم يكشف بالقديم منها ، وإنما أثار نزعات جديدة بين الأمم الإسلامية ، لتتفع الهوة الفاصلة بينهم ، وتزيد شقة التباعد ، فتكون نتيجتها التحاسد والأحقاد ، فيحكم بينهم المستعمر بغير ما أنزل الله ، ومن أجل هذا المخطط الشيطاني ، حمل حملة شديدة على القيم الإسلامية ، وهجم على الدين الإسلامي هجوما عنيفا حتى يضعف الوازع الديني لدي الناشئة ، ويشكك الأمة في دينها ، ثم كانت مرحلته الثانية بالإبقاء على المسلمين وقودا بشريا واستغلالا اقتصاديا ، واستعمارا فكريا ، يربطهم بدائرة التبعية الفكرية الغربية ، وهذه هي مرحلة توطين الاتجاه الفكري العلماني الغربي ، الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة ، وهو ما طبقته أوروبا الرأسمالية ، وبدلا من أن يعود المسلمون إلى دينهم الذي يضمن لهم العزة والمجد والرفعة ويدرسون سر تأخرهم وجمودهم ، راح فريق منهم ومن خيرة شبابهم ، يأخذون بالمذهب الماركسي ، وهو المذهب الذي ينكر الأديان صراحة ، ولا يقل عن الاتجاه العلماني عنفا في محاربته للقيم الإسلامية .. فمتى يا ولدي يفيق المسلمون ، فينظروا إلى ما داسوه بأقدامهم من جواهر التعاليم ، متطلعين إلى صخور ورمال لا تؤدي إلى شيء ولم تخلق لهم ، لأن الحق تعالى ما اختار المسلمين عبثا ، وإنما اختارهم لرسالة الإنسانية جمعاء فوضع لهم النظام الذي ينفعهم وينفعها ، إنني لم أفقد الأمل فيكم بعد ، فانهضوا يا بني لرفعة الأمة على دعائم ثابتة وقوية من الأخلاق الفاضلة الإسلامية ، والله معكم "

الإمام المجدد أبو الغزائم عليه السلام يتصدى للثورة التركية عندما انحرفت عن جادة الصواب:

ولما أن انحرفت الثورة التركية عن جادة الصواب ، ومالت إلى تقليد أوروبا في مبادئها ، وهجرت الدين وعادات التقاليد الإسلامية ، واللغة العربية ، كتب عليه السلام هذا النداء ونشرته مجلاته والصحف المصرية بعنوان " الدين النصيحة " إلى الأمة التركية الكريمة — " قد تبين الرشد من الغي " : " إن المجتمع الشرقي عامة ، والمسلمين خاصة ، يعتقدون أنكم البقية للشرق ، يقتدون بأعمالكم ، وينتظرون الوقت الذي يعيد الله فيه المجد لهم علي أيديكم ويجدد بكم ما كان للشرق من مجد وقوة في الدين ، وقد جمع الله لنا في ديننا ما به نيل الخيرين والفوز بالحسنين ، قامت على ذلك الحجة ووضحت المحجة ، وليس الأمر بمجهول على من نظر نظرة في التاريخ ، فعلم ما كانت عليه أوروبا قبل الإسلام ، وما آلت إليه في عصور رفعة الإسلام وعزته ، وما بلغته من الرقي بسبب الأخذ بمبادئ الإسلام الاجتماعية ، التي من أهمها إعداد العدة ، ونشر الصناعات والفنون ، وتعميم التعليم ، وتقدم الزراعة والتجارة ، والتحفظ من الأعداء باليقظة .. أخذت أوروبا بهذا القسط من الدين الإسلامي ، وأهملنا نحن ما أوجبه علينا ربنا من تلك الفضائل فكانت لهم الدولة علينا ، ولكنهم تركوا العقيدة الحقّة التي تجعل المسلم ليس فوقه إلا الله تعالى .

وتركوا العبادات التي تزكو بها النفوس فتكون نفوسا فاضلة مجتمعة بالرحمة والفضيلة والعدالة ، وحب الخير لكل ذي كبد رطبة ..
يا رجال الترك .. الحلال بين والحرام بين .. فنحن إذا أيقظنا ظلم أوروبا وطغيانها ، فتسلطت علينا بما أخذته من ديننا ، من إعداد العدة ودوام الجهاد ، وقمنا لرد

الظلم عن أنفسنا ، فإنما نجدد بعملنا هذا ما أمرنا به ديننا ، ولكن الواجب علينا ألا نتخذ أوروبا قدوة لنا ، فنحذ عاداتها من الرذائل التي يجرمها الدين ، وتستقبحها العقول الكاملة .

نعم : يجب علينا أن نهض بالأمة ، بما لا بد لها منه من إعداد العدة وانتشار الصناعات التي بها لا نمكن العدو منا ، والمنافسة في التجارات وتعميم التعليم مما هو فضيلة ومكرمة ، ونترك المفاسد والرذائل ، محافظة على أعراضنا وحرصا على أموالنا وأنفاسنا الغالية ، ووقاية للأمة المستقبلية .

يا رجال الترك : كيف ترضي تلك النفوس العالية ، والرعوس الكبيرة ، والقلوب القوية ، والعقول السليمة ، أن تلقي بالشبيبة في هاوية الخزي ، بإباحة ما يجرمه الدين وينكره العقل والذوق السليم .

إن الرقص في المجتمعات عادة همجية جاهلية ، اعتادها زنوج أواسط أفريقيا وسكان الغابات في الحبشة ، وقد أخذها عنهم الإفرنج وهؤلاء قوم أسفل من الديكة وأدنى من الحمام ؛ لأن الديك يغار على الدجاج من الديكة الأخرى ، وأن الذكر من الحمام ليقول الآخر إذا وجده قريبا من أنثاه ، بل وأن كل أنواع الحيوانات تبلغ بها الغيرة إلى التقاتل ، فكيف تفتح بيوت العهارة في عاصمة الأمة ، التي هي كعبة المسلمين الآن وينشر عنها إنها مكتب لتعليم الرقص ويؤيدها مدير البوليس .

لم يحرم الإسلام على المرأة ، أن تزاول ما لا بد لها منه عند الضرورة من تضييد جروح المجاهدين ، وعمل اللازم لهم ، وفي مساعده الزوج في مزرعته ومصنعه ، ومزاولة البيع والشراء عند الضرورة ، ومن صحبة الزوج في السفر والحضر ، ومشاركته في أعماله ، ومن مشاورة الرجل لزوجته في كل مهامه ، ومن قيام المرأة وصية على أولادها وغيرهم ، ولكنه يحرم على المرأة أن تغشى أماكن اللهو

والخلاعة ، أو تجلس في مجتمعات يمثل فيها ما لا يليق بالشرف و صون العرض ،
والأولى بالمرأه أن تلزم عقر دارها عند الاستغناء عنها ؛ لتزاول ما به نبيل الخير لها
وللأمة ، من تربيته الأبناء وتعليمهم ، وعمل ما لا بد منه للحياة الأسرية والمترلية .
يا رجال الترك : أنا لا أنكر أننا في حاجة شديدة إلى تقليد أوروبا ، لاستعادة ما
فقدناه وما سلبوه منا من علوم وصناعات وفنون ولكننا في غنى عما هم فيه من
الإباحة ، التي تجعلهم أحط من البهائم السائمة . والإسلام وسع لنا في أن نقوم
بواجب الوقت عند المقتضى ، لأن العقيدة الإسلامية والعبادة والأخلاق ، بها نبيل
السعادة والسيادة في الدنيا ، وبها الفوز بخيرات الحياة الباقية في الآخرة ... وما عدا
ذلك مما لا يغير عقيدة ، ولا عبادة ولا أخلاقا فأمر مباح ...

يا رجال الترك : إن أعداءنا يجب أن ننتفع منهم بما هو خير لنا .. وأن ترد عليهم
رذائلهم التي يحرّمها الشرع وينكرها العقل ، وإني والحمد لله أرى ما أحدثه المجلس
الكبير ، وما قام به رئيس الجمهورية الغازي مصطفى كمال كله إحياء لشرائع
الإسلام ، من محو المدارس الصليبية وتوحيد التعليم ، وقهر الذين كانوا يستعملون
الدين لنيل الدنيا ، والعناية بإصلاح حال الأمة ومستقبلها وغير ذلك ، واعتقد أن
تلك الرذائل ، إنما يحدثها الجهلاء بروح الدين ، والذين لو ذاقوا حلاوة الدين ، ممن
فقهوه ، لكانوا أشد غيرة له ، أو تحصل تلك الرذائل المنفردة ، من رجال منتسبون
للإسلام ، بل وليسوا من آباء مسلمين ، لأن مسلما ولد من مسلمين لا تميل نفسه
إلى ما يخالف الحق ، والعقل والآداب الاجتماعية والعادات القومية .

يا رجال الترك : إن أخبار الإباحة عندهم ، يجعلها الأعداء سلما لنيل مطامعهم من
الشرق وأهله ، ولا يرضيكم أن تمكنوا الأعداء من إخوانكم المسلمين ، والله جل
جلاله غير لدينه وعباده ، فتداركوا الأمر بالضرب على أيدي الإباحيين ، فإنهم

قليل ، وأعمالهم وصمة عار عامة عليكم وعلى إخوانكم المسلمين ، والله أسأل أن
يجمع لكم الكلمة ويؤيدكم ويعيد بكم مجد سلفنا الصالح إن الله مجيب الدعاء ... "

الإمام المجدد أبو الغزائم عليه السلام يدعو الدول العربية إلى الاتحاد ونبذ التفرقة

١٩٢٣م — ١٣٤٢هـ:

﴿ لَا يُلَدِّغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ﴾^(٧٩) هذه هي الكلمة التي نطق بها النبي

﴿ص وآله﴾ مبينا قدر المؤمن عليا مؤيدا باليقين محفوظا بالنظر السديد والبحث

المنتج للحقائق فجمعت خصال المؤمن التي بها يكون مؤمنا حقا ونفت صفة الإيمان
عن كل مستسلم يقلد تقليد الأعمى كالهجمج الرعاع الذين هم أتباع كل ناعق لأن

الإيمان هو التصديق والتصديق هو الحكم على الشيء بأنه حق أو باطل والإيمان
الحق أن تقول الشمس طالعة وأنت في رابعة النهار كما يقول المؤمن لا إله إلا الله

محمد رسول الله ﴿ص وآله﴾ فكما حكم بحسه على طلوع الشمس وجودا أو

شهودا حكم بعقله بإثبات الألوهية لله تعالى بحيث إنه لا نتعدها إلى غيره بعد إقامة

الحجة ووضوح المحجة فصار تقرير تلك الحقيقة عند المؤمن بحق يقين والمؤمن في

حاجة إلى مزيد العلم بما عليه المؤمن به من الكمالات وما يجب على المؤمن من

العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق ومن ادعى الإيمان بغير بصيرة ممن يسبق

إليهم الشك لأول شبهة فليس بمؤمن إلا عند نفسه والمؤمن أقسى الناس قلبا فلا

يلين قلبه هاشا باشا إلا للحق الجلي البين فتراه كالسيل المنهمر لقليل الحكمة وتعز

عليه نفسه أن تنخدع لما ليس بحق ولو اجتمع الناس عليه .

(٧٩) يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٣٤٢هـ — أغسطس ١٩٢٣م عند إعلان حكومة نجد الحرب علي اليمن .

والإيمان يتفاوت قوة وضعفا فأضعف الناس إيماناً من توقف عن الشيء حتى تقوم الحجة عليه . وأقوي الناس إيماناً من نظر بعيون الإيمان إلى الأشياء فميز بسرعة بين حقها وباطلها فتجافى بجانبه عن الباطل ثابتاً على الحق أو مسارعاً إليه لمزيد العلم . والمؤمن حقاً هو الذي لا يخدع مؤمناً ولا يخدعه منافق . أما الذين يدعون الإيمان ويثقل الحق عليهم فيميلون إلى الباطل الذي تألفه النفوس وتدعو إليه الحظوظ والأهواء لأنه هنيئ في أوله وبيء في آخره فيحبون العاجلة مع العمى عن الآجلة فأولئك هم أضل من الأنعام وشر من الشيطان على أنفسهم وعلى بني الإنسان .. الحق ثقيل نعم ولكنه مريء وأهل الإيمان يتلذذون بثقله عليهم في البداية ولكنه ينتج الشرف والسيادة في الدنيا والمسرات الباقية في جوار الأطهار يوم القيامة قال الشاعر :

هَٰذَا الْمَعَالِي إِذَا مَا رُمْتَ تَبْلُغَهَا فَأَعْبُرْ إِلَيْهَا عَلَىٰ جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ

وقد أثنى الله تعالى على أهل الإيمان الذين هشت قلوبهم وبشت له ونشطت جوارحهم للعمل به لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠ ولا ترى إنساناً إلا وهو يعظم أهل الحق ولو كان من أهل الباطل وترى العالمين بالباطل يعتقدون قبحه ويعلمونه .. دليل ذلك أنهم يتسترون عن الناس عند عمله ويتظاهرون بنسبة الحق إليهم اعتقاداً أنه شرف وعز .. كل ذلك دليل على أن الحق محبوب الخلق أجمعين وإن عملوا بغيره — ﴿ لَا يُلَدِّغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ﴾ — كلنا نعلم أن التفرقة مهواة الفشل والخيبة وبها سلب المجد والشرف وضياع الدين والدنيا وأسباب التفرقة مرض في النفوس يدعو إلى الإيثار بالخير الموهوم من رياسة تفتى أو مال يزول أو جاه يضرر أو تأييد لمن يظن أنه ينتفع بتأييده نفعاً خاصاً ويجهل نتائج نصرته الباطل التي بها قد يمكن العدو من الأمة تمكيناً يجعل

هذا العامل للباطل أول ممقوت من العدو لأنه خان نفسه وخان قومه ودينه
 فيستعمله العدو آلة للشر حتى إذا تمكن سعى في إهلاكه لعلمه أنه شرير ، وكان
 الإسكندر المقدوني يقهر الملوك في حروبه بأنواع من الظلم تعلمها من معلمه "
 أرسطو " فاستعصت عليه مملكة فبحث حتى علم أن للملك ابنه يحبها جدا فأرسل
 لها عجوز خداعة فخدعتها كذبا بأن الأسكندر جميل قوي وأنه يعشقها عشق
 جنون وأنه خطبها من أبيها فأبى عليه وتمكنت منها حتى قتلت أباهما وسلمت الملك
 للإسكندر فزين المدينة موها أنه يدخل بها تتيما للكيد فلما دخل عليها قطع
 يديها ورجليها وقال إن التي تقتل أباهما لترضي عدوه حرصا على شهوتها أولى أن
 تحرق بالنار فندمت ولات حين مندم . كذلك المؤمن الذي يسعى في تفرقة الأمة
 لينال مالا أو وظيفة بإضعاف عصبته وتمكين عدوه ألقى بنفسه في هاوية العذاب
 الأليم أبد الآبدين ... كيف يرضى المؤمن أن يفرق مجتمعا لولاه لما استعمله العدو
 ولا والاه وولاه لست أعني بالتفرقة اختلاف الوسائل الفعالة لقصد واحد فإن
 مسارعة كل فئة من المجتمع إلى عمل ينتج الظفر بالقصد اتحاد لا تفرقة إنما التفرقة
 التظاهر بخدمة المجتمع لقصد تمكين الأعداء في الخفاء كعمل المنافقين الذين يعملون
 عمل أهل الإيمان ويخفون في أنفسهم منا أنهم وهؤلاء أعداء أنفسهم وليسوا بمؤمنين
 حقا . على أي لا أنكر أن الأمر قد يلتبس على المرء فيرى الباطل حقا لمقتضيات لا
 تخفى على المؤمن البصير منها مداراة العدو القوي أو صلته لينال منه بعض الحق
 حتى يقوى فيسترد جميع حقه أو وقاية من الهرج والمرج الذي ربما أنتج الضرر
 العام . ولكن الذين يلتبس عليهم الأمر لا يلبثون إلا ريثما يظهر لهم الحق بأحداث
 تثبت قصد العدو من الأمة أو بحجة تكشف الستار عن الباطل فيسارعون إلى الحق
 معتقدين أن الهيبة خيبة وهؤلاء ليسوا أعداء للمجتمع ولا للحق ولكن الأمر التبس
 عليهم لجهلهم والواجب تعليمهم وبيان الحق لهم بالأساليب المقبولة حفظا لاتحاد

المجتمع واستبقاء لأعضاء المجتمع العاملين والحق لا يتجزأ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ

إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ يونس: ٣٢ . فتدار كوا الأمر بالاتحاد فإننا لدغنا من
الجحر لدغات لم يزل ألمها ولم يخف أثرها وهذه سوف للمتفرقين ممن يدعون
الإيمان في العسير ونجد والحجاز تقطع الأعناق لتمكن العدو من بلاد هي مهد
الإسلام ومبعث أشعة أنواره ومنبت أبطاله ومشرق شمسه وأنجمه ولا ينكر على
أحد أن اليمن محل الحكمة وقوة الإيمان وأن نجد محل الشجاعة والإقدام وأن الحجاز
مشرق تلك الشمس العلية ومحل شروق أنجمها التي أضاءت الآفاق بأنوار

الخلق .. سل هؤلاء المختلفين بأسلحة من تقتلون المسلمين ، وبأي حكم شرعي
تخرجون على أمير المؤمنين؟! وبأي إثارة من علم يقتل بعضكم بعضا؟! قَالَ تَعَالَى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ محمد: ٢٢ يا قوم
قد توليتم في الأرض فأفسدتم فيها نصرة للأعداء وأهلكتم الحرث والنسل وقطعتم

أرحامكم وسفكتم دماء المؤمنين ظلما وعلوا في الأرض بغير الحق أغضبتكم الله
لترضوا أنفسكم . يا قوم ارجعوا إلى الحق فإن الدنيا دار الغرور تغر وتفر وتمر ما

صغوا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣ و

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الأنفال: ٤٦ يا قوم تغضبون الله

تعالى فتقتلون أحبابه بسلح أعدائه . اتحدوا فإن القهار صبور لتتوبوا إليه وحليم
لتتداركوا الأمر قبل عاجل النقم . يا قوم ما هي الرئاسة التي تنتج التعاسة؟! وما

هو الملك الذي ينتج الشرك ويعقبه تسليط الأعداء على من أعانهم؟! . ما هو

الملك الذي يناله الإنسان ليهلك إخوانه؟! . تدبروا قول النبي ﷺ

وآله ﷺ وأقيموا الحجة أنكم مؤمنون ودعوى من غير حجة باطلة وسيادة يسببها

الباطل زائلة والأمر بين جلي ولكنه الهوى أخو العمى أسأل الله تعالى عنايته بنا جميعا .

جهوده عليه السلام في جمع الأمة المصرية أعقاب ثورة ١٩١٩م:

شاءت الإرادة الإلهية أن تكون الفترة الزمنية التي عاشها الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام مليئة بالأحداث الجسام في حياة الأمة الإسلامية عامة ومصر خاصة . فمنذ مولده عليه السلام المبارك في عام ١٨٦٩م إلى انتقاله عليه السلام في عام ١٩٣٧م . كانت الأمة تمر بأصعب اللحظات وأقساها في تاريخها الطويل حيث بدأ الاحتلال الغربي للصليبي لمعظم الأقطار الإسلامية ، فجاءت الدول الصليبية الاستعمارية ممثلة في " إنجلترا — فرنسا — إيطاليا — هولندا — البرتغال — أسبانيا " لالتهام أراضي الوطن الإسلامي الكبير واستتراف خيراته وإذلال الشعوب الإسلامية والانتقام ورد الاعتبار لهزيمة أجدادهم الصليبيين أمام صلاح الدين . وشهدت فترة حياة الإمام عليه السلام المجدد مولد ثورات شعبية في كافة الأقطار الإسلامية ضد ذلك الاستعمار الصليبي وكان عليه السلام له الدور المؤثر في توجيه قادة تلك الثورات والانتفاضات الشعبية في مواجهة الاستعمار الصليبي ، كما شهدت تلك الفترة حدوث الحرب العالمية الأولى ، وكذلك بوادر حدوث الحرب العالمية الثانية كذلك شهدت فترة حياته عليه السلام حدوث أمر كان من أصعب الأحداث على نفس كل مسلم محب غيور على دينه ألا وهو حدث إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا عام ١٩٢٤م . وكان للإمام المجدد عليه السلام الدور البارز والمؤثر لعقد مؤتمر قمة إسلامية الأولى بمكة عام ١٩٢٦م ، لبحث مسألة عودة الخلافة الإسلامية كل تلك الأحداث الجسام التي مرت بالأمة عاصرها الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام إما في مصر وهي كعبة العلوم والمعارف الإسلامية والجهاز العصبي للأمة الإسلامية فقد حدث الاحتلال الإنجليزي بدءا من عام ١٨٨٢م وحوادث

دنشواي وثورة الشعب المصري في عام ١٩١٩م ومطالبة الشعب بالاستقلال وكان للإمام المجدد عليه السلام الدور السياسي البارز في كل تلك الأحداث بتوجيه النصح والإرشاد والتوجيه للزعماء والقادة والحكام والمحكومين وتسبب دوره السياسي الهام في اعتقاله مرتين بواسطة الاحتلال الإنجليزي وذلك في عام ١٩١٩م . واعلم يقينا أن القاريء المسلم في الوطن الإسلامي سيعجب من حجم هذا الدور الجهادي في الحياة السياسية الذي قام به الإمام المجدد عليه السلام ، بالرغم من ندرة المادة الإعلامية عن جهاد الإمام المجدد عليه السلام ، بينما تسلط الأضواء على المجاهيل والنكرات من علماء السلاطين الممالئين للاستعمار سياسيا وعقائديا وفكريا ، مما يتضح منه جلليا محاولة طمس الدور التاريخي لهذا الإمام الأجل الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام ، الذي لم يهرب سلطانا ولا ملكا ولا احتلالا . وإنما وقف والله يؤيده يواجه وحده كل الخونة والمنافقين والمارقين بدءا بالاحتلال الإنجليزي ثم الملك الخائن فؤاد ثم قادة وزعماء الأمة الذين هم في الحقيقة صنائع استعمارية لكبت الروح الإسلامية ووأدماها ، لأن الإمام المجدد عليه السلام كان يسعى لرضاء الرحمن ، ولو نال الأذى من السلطان ، بينما كان غيره من المشايخ وعلماء الفتنة يتلونون كالحرباء من أجل مصالحهم طلبا لرضاء السلطان مع سخط الرحمن .

نصائح الإمام المجدد عليه السلام لزعماء مصر السياسيين :

بعد أن أقصي الحاكم الإنجليزي بالسودان الإمام المجدد عليه السلام عن وظيفته كأستاذ للشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم " غوردون في أغسطس عام ١٩١٥م ، عاد الإمام المجدد عليه السلام إلى مصر .. إلى أرض الكنانة التي ولد فيها ونشأ وترعرع فيها ليبدأ مسيرته التاريخية مع الشعب المصري في بعث الروح الإسلامية ومواجهة الإنجليز والقصر ونصح الزعماء وإرشادهم ولم تكد تمر بضع سنين ، حتى قامت

ثورة الشعب في عام ١٩١٩م ولخطورة الدور السياسي الذي قام به الإمام المجدد عليه السلام في هذه الثورة اعتقل مرتين في ذلك العام ١٩١٩م ، حيث كانت منشورات الثورة تخرج من مطبعة المدينة المنورة التي أسسها الإمام المجدد عليه السلام ، كما ساهم الإمام المجدد عليه السلام مع تلاميذه في كافة أنحاء مصر في جمع توقيعات أفراد الشعب التي تثبت توكيل الشعب لسعد زغلول نيابة عن الأمة للمطالبة بالاستقلال .

ولما قامت ثورة الشعب في عام ١٩١٩م وأدت إلى الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه وأصدرت بريطانيا تصريح فبراير ١٩٢٢م تمنح به مصر استقلالها الذاتي مع تحفظات أربعة ، وإقامة حكم نيابي ديمقراطي ومنح الملك الشعب دستور ١٩٢٣م ، هنا أسرع السياسيون في مصر إلى إنشاء أحزاب سياسية كانت نكبة سياسية على البلاد ، حيث فتت وحدثت وددت كلمتها بعد اتحادها في عام ١٩١٩م ، ووزعتها طوائف متنافرة مختلفة فيما بينهما ، متفقة على إرضاء المستعمرين ، ولو على حساب الشعب ومصيره ومقدراته وظلت الأحزاب تتطاحن وتتناطح وتتنافر لمصلحة الاحتلال ، وسعدت بريطانيا بهذا وتركتهم بعضهم يروج في بعض وتجاوزت الخصومات الحد في التطاول على الأعراض والحرمات ، هنا تقدم الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام بنصحه وإرشاده إلى زعماء مصر بدءا من سعد زغلول ، وها هي بعض تلك النصائح السياسية التي تبرز لنا حقيقة الدور السياسي للإمام المجدد عليه السلام .

يا سعد اتق الله في اثني عشر مليوناً من المصريين الأحرار:

كانت تلك إحدى النصائح التي وجهها الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام لسعد زغلول — ذلك الزعيم الذي وكله الشعب عنه بملايين التوقيعات الذي هتفت الملايين باسمه . ومع هذا كله لم يتردد الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام في نصحه وإرشاده

وتوجيهه للصواب إذا أخطأ ، فلقد لقيه الإمام المجدد عليه السلام يوما ، فإذا بالإمام المجدد عليه السلام يسأل سعد زغلول قائلاً عليه السلام : يا سعد بكم تشتري العبد اليوم ؟ فيرد سعد زغلول متعجبا ويقول : يا مولانا لا يوجد عبيد تباع في أيامنا هذه فيرد عليه الإمام المجدد عليه السلام قائلاً : ولو افترضنا أن العبيد تشتري في أيامنا هذه ، فبكم تشتري العبد يا سعد ؟ .

فيجيب سعد زغلول قائلاً : يا مولانا أن ثمنه اليوم لا يقدر بمال — فيقول له الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام : " يا سعد إن العبد كما قلت ، لا يقدر اليوم بمال ، فما بالك إذا كان حرا يا سعد اتق الله في اثني عشر مليوناً من المصريين الأحرار ، إنهم أمانة في عنقك يسألك الله عنها يوم القيامة " .

لله در الإمام المجدد عليه السلام الذي ينادي سعد زغلول زعيم الأمة المحبوب ، باسمه المجدد فيسمع سعد زغلول ويطيع .. ولا عجب فهكذا رجال الله في كل عصر والمجددون في كل زمان ، تهاجم الملوك والسلاطين والزعماء ، لأنهم خافوا الله فخاف منهم كل شيء .

الواجب على كل فرد من أفراد الأمة (٨٠)

قال ﴿ص وَآلِه﴾ ﴿كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَعْرِ مِنْ تُغَوِّرِ الْإِسْلَامَ فَإِذَا تَهَاوَنَ إِخْوَانُكَ فَاشْتَدُّ أَنْتَ لِئَلَّا يَدْخُلَ الْعَدُوُّ مِنْ قِبَلِكَ﴾ .

وهذا الحديث الشريف أوجب على كل مسلم ، كمال اليقظة بالشئون العامة ، بعد قيامه بشئونه الخاصة ، فمن شغله شأنه الخاص عن شأنه العام ، أنزل نفسه إلى الحضيض الأسفل ، حضيض البهائم السائمة ، وخرج من الإنسانية فكيف يحكم على نفسه بالإسلام؟! سوى الإسلام بين كل الأفراد ، فالحاكم على عرشه لا حق له على أحقر محكوم إلا بالحق وأذل محكوم لا يخاف إلا ذنبه ولا يرجو إلا ربه ، وإنما الحاكم منفذ لأحكام الشريعة فأعز المسلمين لديه أذلهم ما دام عليه حق ، وأذلهم لديه أعزهم ، ما دام الحق له والأمة بأفرادها لا بحكامها ، وبقدر علم الأفراد بما لهم وما عليهم ، تكون سعادتهم وتمكينهم في الأرض بالحق ، والأمة هي التي تنوع الحكام ، فلو احتل أظلم الظلمة وطن أمة عالمة بحقوقها ، قهرته على التجمل بالعدالة والفضيلة ، وإن احتل من تحلوا بأكمل الفضائل وطن أمة جاهلية أو متفرقة أو متصفة بالردائل ، صيرتهم بذلك ظلمة أشرارا ، فالواجب على كل فرد متفاوت بحسب حال الأمة ، وأنه إذا تولى الأمة أهل الولاية العاملون لخيرها ، تمتع كل فرد بالخير من الأمن ، والوسعة في الرزق ، والعافية من البلايا ، وخف الواجب على الأفراد ، وإذا احتل العدو الوطن عظمت المسؤولية على كل واحد من رجال الأمة ، بحيث يتعين على كل فرد ما يناسبه من العمل ، فإذا تماون واحد منهم ، فوالى المحتلين أو سارع لخير شخصي ، أو كاد لأخيه الوطني ، فتح ثلثة في حصن الأمة الحصين ، وثغرا من تغورها المنيعه ، يدخل منه العدو على الأمة ،

وذلك بعمل واحد منهم ، وأمة يسعى رجل فيها لخير نفسه ، معتقدا أن هذا الخير يضر الأمة .

هو خائن لوطنه ، يجب أن يعاقب بحرمانه من الحقوق الوطنية ، ولو بلغ أرقى مقام في الهيئة ، لأن معظم النار من مستصغر الشرر ، وهنا أضرب لك مثلا يقرب الحقيقة .. ترى الغيور لوطنه المسارع لخلاصه من يد الغاصبين ، إذا لاحت له منفعة لنفسه ، انقلب على الوطن ، فكان شرا من الغاصبين عليه ، وترى الآخر يجتمع مع غيره في أماكن الدعارة واللغو التي يديرها الأجانب ، فيجعلها ناديا للآراء ، فيعين الأجنبي بمال الوطن ، ويكاشفه بالأسرار التي يريدها ، وترى غيره يحكم هواه وحظه ، فينفذ عملا يضر الوطن بأجمعه ، ويزيد الطين بله بعمل الانتقام ، وترى من يتشبه بالأجانب المشهورين بالغيرة لأوطانهم فيقوم ليعمل كعملهم ، جاهلا أن دول أوروبا لديهم من الأسلحة والقوة ما به استقلوا واستعمروا واتحدوا علينا ، ونحن الآن في حاجة إلى تكوين الأمة ، وإصلاح ذات بينها وبيان السبل الموصلة إلى نجاح المقصد ، فيضر من حيث يعتقد النفع .

" فإلى كل واحد من أفراد الأمة أقدم نصيحتي : أنت أيها الأخ عضو من جسد الأمة ، عامل لنفسك ولها ، فالأمة في حاجة إلى صحتك وعافيتك لتعينها ، وأنت في حاجة للأمة القوية المنيعة ، لتنال بها العزة ، فالواجب عليك أن تقدم خير الأمة على خيرك الخاص ، وألا تقدم على عمل من الأعمال العامة إلا بعد أخذ رأي أهل المشورة والحكمة والتجارب ؛ ليكون عملك منتجا للخير العام والخاص ، إذ ليس الشجاع من قهر أقرانه ، إنما الشجاع من قهر نفسه ، لتكون نفسا فاضلة عاملة للخير ، وليس الوطني من دفعته غيرته فعمل على ما يضر الأمة ويمكن الأعداء ، وإنما الوطني من عمل الخير لأتمته ودفع شر الأعداء بالحكمة .

" وخير وسيلة لنيل الخير ، أن يثق كل فرد من الأمة بنفسه ، معتقدا أنه جندي من جنود الوطن ، فيضع نفسه حيث يكون الخير للأمة ، فإن كان من أهل الشورى فمعهم ، وإن كان من أهل التنفيذ فمعهم ، وإن كان من العمال الذين يجب عليهم ملازمة أعمالهم الضرورية للأمة ؛ لزم أعماله من زراعة أو صناعة أو حرفة أو تجارة . والفساد إنما يحصل بقيام كل واحد بعمل ما لا يحسن ، وترك ما لا بد منه ، وأهم ما يجب علينا الآن عمله ، تكوين الأمة حتى تكون جسدا واحدا ، ويكون كل فرد منها ككل عضو في الجسد ، وبذلك تقهر أعداءها ولو اجتمع عليها كل من بأقطار الأرض ، وأمة لم تعلمها الضرورة ، فلتبتوأ مقعدها من الذل ، ومتي سعت الأمة إلى إصلاح ذات البين ، وعلم كل واحد منها ما يجب عليه فعمله رقت وعزت " .

وقد بينت بيانا للزعماء ، وللأمة جمعاء ، وللهيئة الحاكمة ، وهذا بيان للأفراد ومتى صلح الأفراد صلح المجتمع ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا " .
حضوا أنفسكم بالأخلاق الإسلامية^(٨١) :

" معلوم أن الحرب قائمة بين الحق والباطل من لدن خلق آدم ، حارب إبليس آدم في الجنة حتى أهبطه الله منها ، وقد وهب سبحانه وتعالى للإنسان عقلا يعقل ، وجعل له حدا محدودا لا يتعداه ، وركب في الإنسان من القوة الباعثة على الشرور ، الداعية للمفاسد ما لو ترك الإنسان وشأنه لألقته في الدرك الأسفل من النار في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيما يصيبه من الآلام والبلايا ، بسبب الحسد والطمع والحرص ، التي هي مقتضى ما فيه من النفوس ، وأما في الآخرة فبالعذاب الذي يستحقه لمخالفته للدين ، وإتباعه لهواه ، والحكمة في أن الله خلق للإنسان العقل ، أنه سبحانه أهله للسعادتين فالعقل يعقل بدائع صنع الله في هذا الكون الجلي ، فإذا

(٨١) جريدة الجمهور العدد الصادر ١٧ / ١١ / ١٩٢٣م — ٨ ربيع آخر ١٣٤٢هـ — مقال الافتتاحية .

جاهد الإنسان النفوس بالعقل ، حتى صارت وسطا ، متبعة للدين ، فاز بالسعادتين ونال الخيرين ، وإذا أهمل العقل ، وانقاد لحظوظ النفوس بآء بالعناء في الدنيا والعذاب في الآخرة ، وكلنا نعلم أن الأمم قبل الإسلام كانت بين جاهلية عمياء ، أو أمم فاسقة ، أو أمم بدلت الفضائل بالردائل ، وهي المبدلة ، حتى ظهر الإسلام فعم السلام وحقت الدماء ، إلا دم أهرقه الشرع والعقل ، وحفظت الأعراض غيره للشرع وحفظا للشرف ، وخوفا من فضيحة الدنيا وعذاب الآخرة ، وحفظت الأموال من أن تتناول إليها الأيدي الأثيمة فيقطعها الشرع ، وحفظت العافية من سلبها بالخمور والحشيش والأفيون ، خوفا من سلب الحياة بالحدود الشرعية ، خست النفوس المظلمة في الأجسام خوفا من سطوة الشرع وانتقاله لرجال الغيرة الإسلامية المنفذين له ، عاشت الأمم في ظل الإسلام في سلام ، من سفك الدماء ، وسلب الأموال ، وهتك الأعراض ، ومن امتياز بعض الناس على بعض ، لا فرق بين المسلم وأهل ذمة الله ورسوله ﴿ص وآله﴾ في هذا الخير العام ، حتى أغضب المسلمون ربهم ، وخالفوا وصايا النبي ﴿ص وآله﴾ ، وترك العلماء والوعاظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى عم الخطب وصار العالم يقف على أبواب الأمراء والحكام ، ملتصقا زيادة مرتبه ، أو مضرة نظيرة ، أو الظهور في الدنيا ، وصار الوعاظ يتخذ الوعظ سبيلا لجمع حطام الدنيا والشهرة فيها .

مرض العلماء والوعاظ فصاروا أضرموا على الأمة من حمقها ، وليس العلم ما به الوجاهة ورفعة المترلة بين الناس ، إنما العلم ما به الخشية من الله والغيرة لدينه والمسارة إلى محاب الله ومراضيه .. عجز العقل عن وضع الأنظمة التي يعيش بها العالم في سلام وأمان في الدنيا ، ويفوز بالمسرات الباقية يوم القيامة ، وتحقق أنه لا يكون إلا بدين سماوي يأتينا به رسول من عند الله تعالى ، يقبله العقل ويرضاه فيخرج الإنسان من الأخلاق الإبلسية والشهوات البهيمية والأطماع الإنسانية ،

حتى يكون المجتمع كالجسد الواحد ، يعمل كل فرد للمجتمع ويعمل المجتمع لكل فرد ، ولا يكون هذا الخير إلا بوازع ديني ، يقهر القلوب خوفا من علام الغيوب ، ويقهر الأجسام بتنفيذ الحدود من جلد وقتل ، ليستريح العالم من الظلم والتظالم والبغي ، وقد جمع الإسلام من الآيات التي خشعت لها القلوب ، وزكت بها النفوس ، ومن الأحكام ما غلت بها الأجسام وضعفت الأوهام ، ولا سبيل إلى السلام والسعادة إلا بالرجوع لأحكام الإسلام .

أنتج إهمال الأمة لحدود الله ، ظهور الفساد في البر والبحر ، فأصبح المجتمع الإنساني كمجتمع في غابة تعيش فيها حيوانات ضعيفة فكيف تكون حالة تلك الحيوانات مع الوحوش الكاسرة ، لا شك إنها ستكون شرا من مجتمعات الجاهلية ، لأن الإنسان في الجاهلية كان محافظا على بعض الفضائل ، كالكرم والنجدة والإغاثة وحفظ الجوار وكان لتلك الفضائل رجال حمس ، وأصبح الناس وقد تركوا دينهم فتهقروا إلى ذل الجهل ، وخزي الإباحة ، وابتلوا بالحسد ونسيان يوم القيامة ، فألفوا ما تنفر منه الحيوانات الرائعة من فعل المنكر ، فانتشر بينهم الزنا علنا ، وهو أرذل الرذائل ، فاعتادوا عليه ، وانتشر بينهم الخمر ، وهو أفسد المفاسد ، فسارعوا إليه ، وجعلوا الحانات وبيوت العهارة أندية للسمر ومجالس يفتخر بها من خسر الدنيا والآخرة .

تركوا الدين فوكلهم الله إلى أنفسهم ، فصاروا عبيدا لمن كانوا لهم تبعاً ، سلب منهم المجد فرضوا بالخزي ، وسلبت السيادة فرضوا بالذل ، ثم سلب منهم المال فوقفوا على أبواب من كانوا يقفون على أبوابهم .

أين هذا المجد أيام أن تمسكنا بديننا؟! ، وأين هذا الشرف والعزة أيام العمل بسنة نبينا؟! ، وأين تلك الغيرة على الدين والقوة والمنعة أيام أن كانت الأمم تضرب بنا الأمثال ، أيليق بالمسلم أن يرى بيوت الدعارة علنا وبها المسلمات يدخل عليهن

الساقطون في حضيض البهيمية ، وقد عينت لمن الحكومة حرسا ورخصت لمن؟! ،
فهل الحكومة بهذا أوجبت على الرجل أن يدوس دينه وعرضه وشرفه رغم أنه؟!
الإنسان على نفسه بصيرة .

الحكومة رخصت للباغية ، والقرآن حرم الزنا ، ورخصت لأصحاب الحانات ،
والشريعة حرمت الخمر ، وعينت حرسا على بيوت الزنا والحانات ، فهل تطع
الحكومة وتخالف دينك؟! يغضب ربه الزاني والسكير ، والذي يتناول السموم من
والخمر والحشيش والكوكايين ، ويغضب النبي ﷺ ، ويقتل نفسه بالزهرى
والسيلان والسموم التي يتناولها ، وينشر أرذل الرذائل بعمله في أقاربه ، لأن
الفتيات إذا خدعن الغربى وجيوشه ، فمن الذي خدعك أيها الشاب المسلم؟!
وخصوصا من نال تربية وعلم ، وأنت تعلم شرو هذا العمل .

أيها المخالف ، أما تتق الله وتحفظ صحتك وتحصن شرفك بين قومك ، وتدفع
المصائب عن أمتك وتغار لأقاربك ، أما الفضائل فهجرتها ، وأما الرذائل فعملتها
وأيدتها ، وقد آن لك أن تنظر بعين البصيرة إلى مستقبلك ، فإن دوام الفجور يؤدي
بالإنسان إلى الهوان والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ، وقد قامت الحجة على
تلك الحقيقة ، وظهرت لك المحجة التي بسيرك عليها تفوز بالخيرين وتسعد في
الدارين فارحم نفسك وارجع إلى العمل بالدين ، ولا تنظر إلى أوربا التي تركت
الدين ، فإن القوم تركوا دينهم وعملوا بحظهم في الدنيا ، فظفروا بالعاجلة ، وما
تركوا دينهم إلا لأن العقول أنكرته ، والمسلمون قلدوا أوربا في ترك الدين والعمل
بأحكامه من غير بصيرة فتركوا الحق الجلى الذي سجدت له العقول ، وبه مكن
الله لنا في الأرض ، فذلوا واستعبدوا عدوهم ، ودين يتركه أهله فذلوا للأعداء حق
عليهم بل يجب عليهم الرجوع إليه .

" الصلاة طهارة ورياضة وعبادة لله ، والصيام تزكية للنفوس وطهارة للأخلاق وصحة للأبدان وتشبه بالأطهار من عمار السموات وعبادة لله ، والزكاة رحمة بالفقراء وتبرئه من البخل وجمع للقلوب على مساعدتك ولو بالدعاء ، وحصون لحفظ مالك ودمك وعرضك من الآفات وعبادة لله ، والعقيدة التي هي توحيد الله وتزيهه عن النظير والند والوالد والولد تكسبك عزة ومجدا مسرة في الدنيا والآخرة ، وعلوا حتى لا ترى فوقك إلا ربك ، وترى العالم أجمع عبيدا مخلوقين لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

ارجع للعمل بدينك أيها المسلم تفز بما فاز به سلفك الصالح ، من التمكين في الأرض بالحق ، ومن العزة بالحق ، ومن الحياة الطيبة في سلام وأمان ونعمة وإحسان ، والله ولينا جميعا " .

الدين النصيحة (٨٢) :

" قال ﴿ص وَالْه﴾ : ﴿ لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ ، مَا وَقَّرَ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ ، وَرَحِمَ كَبِيرُهُمْ صَغِيرُهُمْ ﴾

هذا الحديث هو الأصل الذي بالعمل به ، تكون الأمة كالجسد الواحد الصحيح القوي ، ومتى احتقر الصغير الكبير ، وظلم الكبير الصغير ، تفرقت الأمة وضعفت وتمكن منها عدوها ...

" فإلى رجال الحكومة : إنكم أفراد من الأمة ، وأن ما تمتعتم به من نفوذ الكلمة ، ومن واسع النعمة ، ومن الجاه والعزة ، إنما هو بالأمة ومنها ، فإذا عاديتم الأمة وهي مصدر هذا الخير لكم ، وأرهبتموها بالحديد والنار ، قتلتم نفوسا أنتم في حاجة إليها ، وأضعتم ثقة من القلوب لا غنى لكم عنها وفتحتم على الأمة أبواب الشرور ، من الجبن والعمل على نيل السلامة منكم بالمكر والخديعة ، فيهملوا

(٨٢) جريدة الأخبار العدد الصادر ٢٣/١١/١٩٢٥م — جمادى أولى ١٣٤٤هـ . مقال الافتتاحية .

الواجب عليهم ، من التعليم والتجارة والصناعة والزراعة ، ويخرج بعضهم على بعض فيتفرقوا شيعة وأحزابا ، وهنا تحصل الطامة الكبرى وهي : إما غضب القهار المنتقم ، فيسلب الحكم من أهله ، وأما تسليط العدو الغاصب على الحكومة أولا وبالذات ، فيصير الحكام بعد العزة أذلاء ، وبعد القوة ضعفاء ، وبعد الغنى فقراء ، وتصبح الأمة مستعبدة بعد الحرية ، مملوكة بالأعداء بعد أن كانت مالكة . وهذا هو نتيجة محاربة الحكومة للأمة وليست الممالك التي انهارت ، والأمم التي اندرست إلا بسبب هذه المظالم ..

" ويا أيها العلماء من هذه الأمة : أنت سرج الدنيا ومصابيح الآخرة فلا تطفئوا هذه السرج بالطمع فيما يفنى والزهد فيما يبقى ، ولا تخمدوا أنوار تلك المصابيح لنيل الجاه ، أنتم ملح الأرض ، فإذا فسد الملح ، بالحسد والحقد والحرص فسد العالم أجمع ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ الإسراء: ١٨ .

" وليس العالم من حصل أثقال الجبال علما ، وإنما العالم حقا من يخشى الله تعالى ، وشر الناس عليم اللسان جهول القلب "

" ويا طلبة العلم : أنتم جنود الحق وأنصاره ، والينابيع التي تتفجر بماء حياة العقول والأرواح فتحيي الأمة جمعاء ، أنتم المؤهلون لحمل أمانة النبي

﴿ص وَآلِهِ﴾ ، ونيل ميراثه الذي أبقاه لنا لتغذوا القلوب بالحكمة والعرفان ، ولتزكوا النفوس من نجاسة حظها وهواها وجهلها وعمائها ، والعلم ضالتكم المنشودة ، فحصلوه بمسارعة إليه وإقبال عليه ، وخذوا الحق واتركوا الباطل ، واعكفوا بقلوبكم على طلبه ، حتى تتصور نفوسكم رسوم المعلوم فتكونوا علماء أو على الأقل خزائن علم ، واعتقدوا أن العلم لا يظهر محله ، فكم من محصل للعلم

لا يعمل به ، وإنما العلم للعمل لا للكسل ، وكونوا مع الحق حيثما كان ، ولا تعرفوا الحق بالرجال ، بل اعرفوا الرجال بالحق ، فإن الحق فوق الخلق ...
ويا أيها التجار : أنتم أمناء الله على نعمه ، فالأنبياء أمناء على شريعته ، وأنتم أمناء على منافع عباده ، فإذا خنتم الأمانة كنتم أعداء الله وحربا على الأمة ، وإنما سعادتكم متوقفة على الأمانة ، فيها تسعدون في الدنيا ، وتفوزون بجوار الأخيار في الآخرة ، فاتركوا الربا والغش ، والخيانة ، والفحش ، والأيمان الكاذبة تسعد بكم الأمة وتسعدون بها

أيها العمال والصناع : أنتم كنوز الأمة و ذخائرها ، وبكم رقيها وسعادتها ، ومنكم استعداد واستمداد قوتها على عدوها ، ولولاكم لما ارتفعت أمة ولما سعد مجتمع ، وبقدركم في الأمة يكون مجدها وعزها ، فإذا جهلت الأمة قدركم ، فلا تجهلوا أنتم أنفسكم ...

يا رجال الأمة جمعاء : إن تقليد أوربا في النظم التي وصلت إليها بعد قرون طويلة قلدت فيها سلفنا الصالح ، حتى نالت ما هي فيه الآن ، تقليدنا إياهم هذا في الاختلافات الحزبية سبب الانحطاط ، لأننا في حاجه إلى تكوين قوميتنا بالاتحاد ، وإلى حفظ ثروتنا بما ينميها لنا ، من رقي الصناعة وتقدم التجارة والعناية بالزراعة ، حتى تكون الأمة غنية بما لديها من أسباب السعادة لا تحتاج معها إلى الأجانب في كل أمر من أمورها ..

" انظروا ما آلت إليه حالكم ، لقد أصبحتم أحزابا تتطاحنون ، مع أن القصد واحد ، وإنما الاختلاف لا سبب له إلا الطمع ..

" أوربا كثرت فيها الأحزاب ، ولكن لكل حزب مقصدا خاصا به ، كحزب أصحاب رعوس الأموال ، وحزب الصناع ، وحزب العمال ، ولقد قلد الأتراك أوربا ، ولكن بعد أن فازوا بالحرية والاستقلال وإذلال أعدائهم .

" الأحزاب أحزان في أمة تجاهد لدفع العدو الغاصب ، والتفرقة في أمة لا قوة لها على دفع عدوها الرابض في عقر دارها هي موت أبدي فليضح كل فرد من الأمة بكل رخيص وغال لنيل الخير العام ، وليحقر كل رجل ما يناله من الجاه والسلطان الذي يكون فيه ذله ، وذل أمته .

إلى الأمة المصرية (٨٣) :

" قائد الجيش ، وربان السفينة ، والطبيب الاختصاصي ، ووصي الأيتام ، عليهم واجبات تتفاوت بقدر ما ينتج من عنايتهم أو إهمالهم ، ولكن فوق تلك المسؤولية مسؤولية الزعيم الذي ملك القلوب ، فجعلها تقتدي به اقتداء الواثق المطمئن فإن الزعيم يجب أن يكون قادرا على توحيد صفوف عند تحقق الخطر ، وأن يكون يقظا كل اليقظة ، نحو ما يصدع صفوف الأمة ويفرقها أيدي سبأ ، وتكون المسؤولية أعظم إذا كانت الأمة تواجه عدوها ، وتشتد المسؤولية إذا جاس العدو خلال ديارها ، وغمز قوة ارتباطها ، فطعن في دينها ، فإنه القوة الحساسة التي تدل على حياة الأمة أو موتها ، فإذا كان العدو جاس خلال الديار وطعن في الدين ، لا أقول طعن في الإسلام فقط ، بل طعن في كل دين سماوي ، فهنا يجب أن يكون الزعيم كيعسوب النحل ، يحرص على جمع الكلمة ، ولم الشعث ، والمسارة إلى إصلاح ذات البين ، لا يخرجه غضبه عن التضحية بنفسه في سبيل حياة الأمة التي اختارته ولا يدفعه رضاه إلى الخنوع للعاطفة فيفسد القلوب ، ويجعل الأمة متفرقة . نحن لا نشك أن كل زعيم يتمنى نيل الأمة الخير على يديه ، فيبذل ما في وسعه لذلك ، لا أقول هذا القول جزافا ، لأني أعلم أن الزعماء الذين رفعت الأمة شأنهم بنفسها ، لم تكن الأمة لاعبه ولا هازلة ، ولكن البلاء كل البلاء من خصال ثلاث .

(٨٣) جريدة السياسة العدد الصادر ١٩٢٨/٦/٣٠م — ١٢ محرم ١٣٤٧هـ مقال الافتتاحية .

" أولهما شح الزعيم بما ناله من المجد أن يضيع منه ، فيعادي من واجهه بالنصيحة ، ويجارب من طالبه بالقيام بما عاهد الأمة عليه .

" والخصلة الثانية : إعجاب كل زعيم برأيه ، فيخاصم أهل الآراء المخالفة له ، ولو كانوا على الحق ، ويهرع معه أنصاره ، فيصيحون ويصخبون من غير بصيرة في الأمر ولا عبرة بالأحداث ..

" والثالثة : اتباع الهوى ، والهوى أخو العمى ، ومن اتبع هواه في هوة الخزي أرداه ، ومن لم يضح بالمال والجاه ، ليدفع عن الأمة شر تمكين الأعداء ، كان ماله وجهه عليه وبالا .

" إلى الأمة الكريمة : إنك تجاهدين ، فإذا أنالك الله الخير بجهادك ، كان أوفر قسط منه للزعماء ، وليس الزعماء معصومين ، أو ممن ربتهم مصر في معهد علمي خاص بتربية الزعماء ، وإنما هم رجال ولدتهم الأحداث العظام ، والأمة ضحت في سبيل رفعتها بقناطر من الدماء الغالية والمهج العزيزة ، ليجمعوا الأمة على المطالبة بحقها ، والعمل بإشارات أولياء أمورها ، العاملين للخير العام ، فإذا أخطأ رجل يجب أن تستر الأمة خطيئته ، محافظة منها على وحدتها ، حتى تتجاوز هذا الخندق الخطر ، وأن أحسن رجل فيها يجب ألا تتغالى في مدحه خوفا عليه ، من أن يدفعه الزهو إلى الوقوع في خطأ يقع الأمة فيما لا ترضاه ، بل تنتظر عليه حتى يصفي الحساب ..

والعاملون المخلصون للأمة هم الذين تضحل في أعينهم الأموال والرتب ، ليجعلوا الأمة كالجسد الواحد ، فيكونوا كالأطباء الرحماء الذين يعالجون أمراض الأخلاق وأدواء النفوس ، ويحصنون الأمة بحصون الحيطة ، والتحفظ من انتشار الأمراض الممزقة لجسد الأمة ، كما يفعل رجال الصحة ، إذا علموا بانتشار مرض معد في بلد ما .. ورب زعيم يسره قهر فئة من الأمة لمخالفتهم له ، فهو كالأحمق الذي يقطع يده بيده الأخرى ، خصوصا أن الأمة المصرية الآن عزلاء وقد أصبح أمضى

سلاح لها ، أن تكون كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وبذلك ترسو سفينة الأمة على جودي السلامة .

" وعلى الأمة أن تعلم أن مصر ليس لها عدو أنكى بها ، من مصري يؤثر نفسه على مصلحتها في وقت الفزع الأكبر ، وهؤلاء هم الذين يمكنون الأعداء منا فلنتدارك نحن أفراد الأمة ، فتتخفظ من كل من يسعى لتفريقنا ، قال حكيم :

" عدو عاقل خير من صديق جاهل " ولا يريد الحكيم بالصديق الجاهل ، كل من لم يتعلم أو من لم ينل شهادة عالية ، ولكنه يريد بالحبيب الجاهل الذي يقصد أن ينفع فيضر ، وذلك واقع في الأفراد ، وقد يكون لك حبيب مخلص في محبتك مغال في ودك ، فيضر من حيث يعتقد أنه ينفع ، لجهله بالوسائل المنتجة للخير ، وكم من عالم حصل أمثال الجبال علما ، وهو يسارع في إهلاك نفسه بمخالفة علمه حرصا على ما يفنى وزهدا فيما يبقى ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢

النصيحة أغلى ما يباع ويوهب (٨٤) :

" إلى الأمة المصرية الكريمة ، إلى الزعماء ، إلى الأحزاب "

المقصود واحد ، والوسيلة لنيله محصورة في نوعين عظيمين هما فاز المجاهدون من قبل ، وكل مجتمع تعادها فشل وذهب ربحه .

" أولهما تنوع أفكار الأمة بأحقية مطلبها ، حتى يحس كل فرد من أفرادها بما فقده من الخير العام ، الذي له فيه قسط وافر ، ولكل إخوته أفراد الأمة مثله من الخير ، متحققا أنه لا يناله حظ من ذلك الخير ، إلا بالتعاون والتعاقد ، وبإيثار جميع أفراد الأمة على نفسه حبا في الخير العام ، معتقدا أن كل خير ناله في سبيل جهاده لم

يشاركه فيه غيره ، يعد خيانة تؤدي إلى تفرقة المجتمع وخروج بعضه على بعض ، وكل زعيم أو مجاهد أثر نفسه على نظرائه أو على الأمة ، فتح ثغرا لمن تغور الوطن لأعدائه أو للفتن ، قال سبحانه يمدح الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩ وصحائف التاريخ مفعمة بآثار أفراد الرجال الذين نهضوا بالأمم ورفعوها إلى مستوى السعادة العظمى ، ومن الخيانة الكبرى عدم معاونة من يؤثر على نفسه .

أما النوع الثاني : فهو قيام الأمة متحدة لتنفيذ الخطة الرشيدة التي وصفها أهل العقل والدراية والأناة والحلم ، الذين حلبوا الدهر أشطره ، وتحملوا بأحد الجمالين أو بهما معا ، جمال التمسك بالدين ، وإيثار ما عند الله على ما في الدنيا ، وهو ركن النهضة المكين ، وحصنها الأمين ، والحقيقة التي تضمحل أمامها الحظوظ والأهواء وتتضاءل تجاهها كثرة العدة والعدد ، وقوة الحديد والنار ، ثم جمال شرف المحتد ، أي كرامة النسب ومجد الأسرة ، حتى إذا لم يمنع الدين عن الدنيا ، منع شرف الآباء الكرام ، لأن أهل بيوت الشرف يخافون على ما لهم من تليد المجد ويحرصون على طارفه ..

"أيها الزعماء .. ليس للمصادفة دخل فيما بلغتموه من ثقة الأمة ، ولكنكم وجدتم يقظة من الأمة ومطالبة منها بحققها المغصوب ، فاندجتم في سلوكها وتفوقتم في بيان الحق المسلوب ، وأظهرتم حماسا وغيرة وإقداما ، صادف هوى في نفوس القائمين بالنهضة ، واعتقادا بأن القائلين يعملون ، باذلين ما لديهم من المواهب العلمية والعملية والمالية ، في سبيل فوز الأمة بمطالبها العزيزة ، فقامت من ورائكم سعيير المقدوفات ، وظلمات السجون ، حتى احترقت قلوب الأمهات على أبنائهن ، ونضبت خزائن المثرين من البذل ، وبعضكم على ما هو عليه من حث الأمة وإغرائها ، حتى بذلت ما لا يبذل إلا لمن نالوا أكبر المقصد ، وبقي بعضه ، ثم ظهر

أن كل ذلك كلام يرفع الزعماء على رءوس الأمة ، والأمة متدهورة في أمورها الاقتصادية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية ، كيف لا ، وقد نسيت الأمة مقصدها الحقيقي وهو خلاصها من ربقة الاستعباد ، ورق الاستبداد والراحة من شروخ الاختلافات الحزبية ، ومن المضار التي تقع على رءوس الوثائقين بالزعماء ، من غير أن ينالوا خيرا أو يحفظوا ما لديهم من المال والصحة والراحة والأمن ، ويزيد على ذلك ضياع نفائس الأنفاس في الشحناء والبغضاء .

" هلموا بنا نواجه الحقائق : قام سعد زغلول وعلي شعراوي وعبد العزيز فهمي ، يدفعهم إلى الإقدام هممة الأمة المسعرة بنار الغيرة ، لنيل الحرية والاستقلال ، فأثر سعد وطنه وأمه على نفسه ، فقدم أطيانه الواسعة قربانا للوطن ، ثم قام رجل المهمة الذي شهدت الأمة جبهه لأعماله وشرف نفسه محمد محمود ، فقدم بيته لمجتمعات الأمة ، وبذل ماله ونفسه مهاجرا إلى الدول الأجنبية النائية ، يدعوهم إلى تأييد الوفد ، وقام الشيخ الوقور محمود باشا سليمان ، الذي أنفق ماله وجاهه ومكانته في القلوب ، فجمع الأموال الطائلة للوفد ، وملا قلوب المصريين ثقة بالأبطال المؤمنين ، وكان إذ ذاك على رأس الحكومة المرحوم حسين رشدي باشا ، الذي أثار ثائرة الأمة وأبطالها غائبون عنها ، فأجمعت على المقاطعة في ظرف واحد ، واحتج الأمراء وهيئة الحكومة وقضاتها ورجال إدارتها وفلاحوها وصناعها ، في وقت كانت المقذوفات تحصد نفوس الثائرين حصدا ، والأمة كتلة واحدة حتى نزل الخصوم على حكمها وأعادوا من اختارتهم من المنفى واعتلى سعد باشا منصة رئاسة الحكومة ، رغم ما قدم له من نصائح عقلاء الأمة ، لينتفع به الوطن خارجها ، وكنت ممن زاره في بيته منفردا ، وطلبت إليه أن يصل من قطعه ، وأن يحسن إلى من أساء إليه ويعطي من حرمه ، محافظة على ثغور الأمة من ثلمه تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ، فإن معظم النار من مستصغر الشرر ، حتى كشفت له الأحداث

ستارها ، عما يجب أن يقوم به لحفظ وحدة الأمة ، فأعلن بعد عودته من المفاوضات ، أن سعادة الأمة متوقفة على العمل بجدي في تحسين حالتها الداخلية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية ، وهو رأي حكيم خبر الأمور ، وتحقق أن اشتغال الأمة بالشئون السياسية والمنازعات الحزبية ، من غير أن تكون الأمة ذات قوة ومنعة واستعداد سقوط في الهاوية ، ثم أنه غفر الله له نظر نظرة الرئيس الحكيم الراغب في سعادة أمته وظفرها ، فتحقق أنه لا نجاة إلا بالائتلاف وباستغلال مواهب رجال الأحزاب الأخرى للأمة ، حتى تعود صفا واحدا كما كانت في أول النهضة ، فدعا إلي الائتلاف ، وتنازل عن رئاسة الحكومة ، وولاهها غيره بعد أن عاهده على الاتحاد معه على خير الشعب ، ومات رحمة الله وقد بذر بذور الائتلاف في قلوب رجال حزبه ، وبين لهم منفعته في الظرف العصيب الذي كانت تجتازه البلاد ...

"وها نحن الآن ، وسعد قد مات ، والمؤسسون للوفد مات بعضهم ، والأمة بذلت دماء غالية وأموالا طائلة لتتال باقية من آمالها فلم تظفر بها ، والعدو رابض قد جاس خلال الديار ، بل أنه تمكن أكثر مما كان ، لأننا نرى الزعماء كانوا كلما أقدموا على تنفيذ ما به مصلحة الأمة بغيرة وحماس ، وقف في وجوههم من وراء ستار فتقهقروا وأنكروا ، لا أقول هذا إلا وأنا ذلك الرجل المصري الحريص على شرف عامة الأمة فضلا عن خاصتها ، وقد كنت مغتبطا بمصطفى النحاس باشا وأقدامه وتنفيذه لمباديء المغفور له سعد زغلول باشا في شأن الائتلاف ، الذي به نيل مقاصد الأمة ، حين أقدم الرجل وأعلن أنه يحرص كل الحرص على ألا يجعل لأي يد أجنبية تدخلا في الشئون التشريعية ، ولكن سرعان ما وثب المغتصب عليه ، فتوارى ذلك الشجاع أمامه ، وكانت الشجاعة أن يمضي في شأنه ليحتفظ بثقة الأمة فيه وفي رجال الوفد ، الذين ضحوا في سبيل الوطن بكل غال وعزيز ، وإني

لا يهمني أن يظن أعداء أنفسهم ، ميلي لجهة مخصوصة ، فإن الحق فوق الخلق ، وإن كرهه أهل الأغراض والعلل .

" فلم تكن الأمة إذا نهضت نهضتها تطلب أن تفقد فلذات أكبادها ، وغالي ذخائرها ، وترجع بخفي حنين ، وألا فأين السودان؟! ، بل وأين النيل مستقبلنا؟! ، وأين ما هو أهم من ذلك كله وهو ، صفاء الأمة وتعاوضها واتحادها؟! أوغرت الصدور وفسدت الأخلاق ، وأصبحت الصحف معول تفرقة ، ومسارح غفلة ضاع الحياء ، وفقدت الرحمة ، وتنايز القوم ، حتى لا تكاد ترى في المتنافسين رجلا تدعوه فضيلة نفسه ، وشرف محتده ، إلى أن يترفع بنفسه عن مستوى المهنج الرعاع .

" أقام الحزب الوطني وحده الحجة على أنه هو الحزب الفاضل الذي يكثر ويقدم عند الفرع ، ويختفي عند السخرية والتناذب ، وقد أثبت الحزب الدستوري اليوم ، أنه أقرب إلى الفضيلة والبعد عن المثالب .

" أختتم كلمتي هذه بإيجاز ما أريد ... أريد من الأمة أن تواجه الحقائق ، وأن تزن الحاضر بما ، وأن تقف موقف الاعتبار بالأحداث السالفة ، وأن تهتم كل الاهتمام ، بتأييد كل عامل ، والإنكار الشديد على كل داع للخروج عليه ، فإننا لا نمكن الخصوم منا بأيدينا ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا " .

إن هذه المقالات لترجم ترجمة حقيقية لما كانت عليه أوضاع الأمة حكاما ومحكومين ، سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية ، ويتضح منها منهاج الإمام أبي العزائم عليه السلام في معالجة الأمور ، بمقالات يعف فيها القلم ، في وقت كان سمته المهاترة ونهش الأغراض ، على الصفحات التي تجد رواجاً وإقبالا من الشعب ، لتغلغل الحزبية فيه ، حتى أن الأسرة الواحدة كان فيها التباغض والتحاسد والتباعد ، لأن لكل فرد من أفرادها لون حزبي يناد به الآخر .

على أن الإمام عليه السلام كان يعلن دائما أن ثورة ١٩١٩م ، لم تنته لأنها لم تقم فجأة ولا مصادفة ، إنما تكونت عواملها ومسبباتها تباعا وهي تتجمع مرحلة بعد مرحلة ، وما حدث عام ١٩١٩م ما هو إلا مرحلة أولية فيها ، حتى إذا ترسب ما حدث فيها من انحراف قادتها واعتمل في النفوس انتظرت القائد الحقيقي الذي لا يبغى جاهها ولا مالا ، سوى نهضة أمته ، فيوقظ الأمة وينقل هذه العوامل إلى مستوى الوعي والشعور ، فتنتلق الشرارة من جديد أقوى ما تكون ، ويرتفع لهيبها ارتفاعا لا يصيب غير أعدائها ، فيحترقوا به ، ثم لا يكون إلا نورا وضياء لأصحابها يهديهم سواء السبيل .

إن ثورة ١٩١٩م كما تصورها الإمام أبو العزائم عليه السلام ، قبل حدوثها بأعوام وأشار إليها في أبيات نظميه ترجع إلى عام ١٩١٢م وقت أن كان بالخرطوم ، ثم تصويره لأعقابها وإشاراته إلى من يأتي ليحمل مسئوليته تحرير هذا الشعب ، ليجعلنا نتمثل أنه تعيش الآن بين طهرانينا ، ليشهد تحقق مقالاته التي تعد ترجمة صادقة عن غيب مصون ، كما كان يقول عليه السلام ، فعند ما كان يدعو إلى ائتلاف الزعماء عام ١٩٢٨م وتحقق ذلك في عام ١٩٣٦م لتوقيع معاهدة ، مع بريطانيا سأله المرحوم الشيخ أحمد السبكي المحامي عما إذا كان هذا الائتلاف هو ما دعا إليه الإمام عليه السلام في أبياته ، فقال : أن هذا ليس ائتلافا وإنما هو رضوخ لإرادة المحتل الغاصب ، وإذعان له ، وامتهان لكرامة الأمة ، وضياح لتضحياتها ودمائها الغالية ، واستسلام مهين من قادتها وزعمائها ، وإنما الائتلاف سيكون بالقضاء نهائيا على الحزبية البغيضة ، واندماج الأمة في وحدة تحقق لها أهدافها .

الفصل الرابع

الإمام المجدد عليه السلام يؤسس جماعة

الخلافة الإسلامية ١٣٤٢ هـ

الإمام المجدد عليه السلام يؤسس جماعة الخلافة الإسلامية

١٣٤٢ هـ

تحقيق رجاؤه عليه السلام في تطهير الأراضي المقدسة من رجس الطاغية حسين بن علي
١٩٢٤م — ١٣٤٢ هـ:

كان الأمير عبد العزيز آل سعود^(٨٥) قد استطاع أن يعقد مع بريطانيا معاهدة القطيف عام ١٩١٦م ، تعترف فيها إنجلترا باستقلاله بنجد والإحساء والقطيف ، وتعهدت بحمايته من أي اعتداء وحصر وراثه عرشه في أفراد أسرته ، كما تعهدت ألا يتكلم الشريف حسين باسم العرب جميعا ، بل يتكلم باسم الحجاز فقط ، غير أن الحجاز لم ينعم بالأمن والطمأنينة والهدوء والسلام ، في عهد الحسين بل كان مباءة للظلم والفساد والبغي ، مما أثر على شعائر الحج وصد عن المسجد الحرام ، فقام عبد العزيز بن سعود بثورة على الحسين عام ١٩٢٤م ففتح الحجاز وتقدم إلى الطائف ، ورغم تعهد الإنجليز للحسين بعدم المساس بها ، وطهر الأراضي المقدسة من الرجس ونشر فيها الأمن والنظام ، وطرد الحسين حيث أقام منفيا بقبرص ومات فيها ، ولقد أولى أبو العزائم عليه السلام اهتمامه الأراضي الحجازية منذ شبابه ،

(٨٥) عبد العزيز آل سعود الأعلام ١٩/٤ " ١٨٧٦م — ١٩٥٣م — ١٢٩٣هـ — ١٣٧٢هـ " ، مؤسس المملكة العربية السعودية ، ولد في الرياض ، استعاد الرياض من ابن رشيد ١٩٠٢م وانتزع مكة من حسين بن علي ١٩٢٤م واستقر له الحكم فأسس المملكة ١٩٣٢م .

ونمى اليوم الذي يرى فيه الأرض المطهرة من رجس حسين وأولاده وكان له فيها مواجيد قلبيه ، ومكاتبات متبادلة بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود ، وابنه فيصل وقد نشر بعض هذه المكاتبات بمجلات المدينة المنورة ، غير أن جانباً هاماً من هذه المكاتبات لم ينشر بعد .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يخاطب الزعيم كمال أتاتورك في أمر الخلافة الإسلامية ١٩٢٤م — ١٣٤٢هـ :

في هذه الرسالة التي نورد فقرات منها ، وهي بتاريخ ١٥ مارس ١٩٢٤م ، أي بعد إلغاء الخلافة بأسبوعين يخاطب الإمام أبو العزائم عليه السلام ، الزعيم التركي كمال أتاتورك^(٨٦) ، في أمر الخلافة فيقول :

" ... فإذا كان الخليفة هو رأس الجمهورية ، سار على مقتضى قوانينها ، وزاد عليه مجلساً محلياً للخلافة بجانب المجلس الوطني الكبير ، منتخباً من جميع الأمم ، من تعيين القضاة وأئمة المساجد ، وعمارة معاهد العلوم الدينية ، وبعث الوعاظ والمرشدين لبث الدعوة الإسلامية ، وتكون إدارة الأمم الإسلامية المستقلة بأمر الخليفة في شئونها الدينية والاجتماعية ، بقدر ما تسع الشريعة ، ويكون المجلس الوطني الكبير عاملاً للجمهورية التركية ، وقد يأتي الوقت الذي تكون فيه الجمهورية التركية ، جمهورية إسلامية ، كما كان عهد الخلفاء الراشدين ، فإن الخليفة في عهد السلف كان رئيساً للجمهورية الإسلامية بمعناها الحقيقي .

" وإني بصفتي عاملاً على تشكيل المؤتمر الإسلامي ببلد حر مستقل كنت أحب أن يكون المؤتمر في بلد من بلادكم ، لولا ما أشرت^(٨٧) إليه من الظروف التي انتهجها

(٨٦) ١٨٨١م — ١٩٣٨م قائد تركي ، مؤسس الجمهورية وأول رئيس لها ١٩٢٣م وألغى الخلافة الإسلامية ١٩٢٤م وغير كتابة التركية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني .

طمع الاستعمار الأوربي ، والإسلام وسع لنا في رعاية واجب الوقت ، وقد استحسنت ما استحسنت رجال جماعة الخلافة بالهند ، من اجتماع المؤتمر الإسلامي الكبير في مكة المكرمة ، بعد قهر حسين بن علي ، منعا للفتن الأوربية التي أشرتم إليها ، إذا عقد بالبلاد التركية "

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يؤسس جماعة الخلافة الإسلامية:

يرى العالم الرباني الأمور بعين بصيرته فيدرك مقدماتها ويستنتج نتائجها ويعلم خفاياها وبواطنها وظاهرها وباطنها ، ولقد كان الإمام أبو العزائم عليه السلام على علم تام بمجريات الأمور في الوطن الإسلامي من أقاصي الصين إلى حدود أسبانيا لاهتمامه بأمر المسلمين صغيرا كان أو كبيرا هذا الأمر ، وأينما كان المسلمون وكيف كانوا ، فقد كان علي صلة دائمة مستمرة بمسلمي روسيا وأوربا في بولندا ويوغوسلافيا وغيرهما ، كما كانت بيت آل العزائم عليهم السلام موثلا ووجهة لكل الزعماء المسلمين والثوار المسلمين المنشغلين بقضايا الإسلام .

وبعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة في ٢ مارس سنة ١٩٢٤م إبعاد الخليفة عن تركيا وتخليه عن الخلافة ، وما نجم عن ذلك من اختلافات وانقسامات ونظرا لتعدد ادعاء الخلافة ، فقد دعا الإمام أبو العزائم عليه السلام أبناء الأمة لاجتماع عام بدراه يوم الخميس ١٤ شعبان سنة ١٣٤٢هـ الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٢٤م وبعد أن شرح الإمام عليه السلام الحكم الشرعي والحكم الوجودي والخلافة والإمامة اتفق الجميع علي تأسيس جماعة الخلافة الإسلامية برئاسة الإمام أبي العزائم عليه السلام ، كما اتفقوا على وجوب عقد مؤتمر عام بمكة ، تمثل فيه جميع الشعوب الإسلامية ؛ لتعود مياه

(٨٧) كانت حجة أتاتورك أن تركيا حديثة عهد في التخلص من الرجعية وأن وجودها في قلب أوربا يجعل من العسير تنفيذ ما أشار إليه الإمام أبو العزائم عليه السلام .

الخلافة إلى مجاريها ، ويجلس الخليفة علي عرش تتركز قوائمه علي قلوب المسلمين .

رسالة الإمام المجدد عليه السلام للملك فؤاد : أبو العزائم لا يجب أن يراك !! :

تلك الرسالة كانت موجهة من الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام إلى الملك فؤاد .. نقلها إليه رئيس الديوان الملكي حسن باشا نشأت ، وقصة هذه الرسالة .. أنه بعد إلغاء كمال أتاتورك للخلافة الإسلامية في ٢ مارس ١٩٢٤م كان الإمام المجدد عليه السلام صاحب المبادرة الأولى في العالم الإسلامي لبحث أمر إلغاء الخلافة ، ومحاولة إعادتها ، حيث دعا زعماء الأمة في داره بالقاهرة في ٢٠ مارس ١٩٢٤م لبحث أمر الخلافة ، وانتخب عليه السلام رئيسا لجماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل " مصر والسودان " ، وبدأ في مراسلة كافة زعماء وعلماء الأمة الإسلامية لعقد مؤتمر قمة إسلامي لبحث إعادة الخلافة الإسلامية ، والذي عقد فعلا في مكة المكرمة عام ١٩٢٦م وحضره الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام نائبا عن شعب وادي النيل ^(٨٨) . كل تلك الجهود أثارت الغيرة والحسد في قلب الملك فؤاد ، الذي كان يطمع أن يكون خليفة للمسلمين ، فجند جنوده من علماء السلطة للدعوة إلى تنصيبه خليفة للمسلمين ، وحاول الملك فؤاد استمالة الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام ، فأرسل إليه رئيس الديوان الملكي حسن باشا نشأت ليقول له : أن الملك فؤاد يجب أن يراك ، فرد عليه الإمام المجدد عليه السلام قائلا : يا حسن .. قل لفؤاد : إن أبا العزائم لا يجب أن يراك ، ثم قال الإمام المجدد عليه السلام كلمته الخالدة عن فؤاد وأمثاله من أمراء السوء : إن قوما فقدوا الإسلام في أنفسهم وبيوتهم وشئوهم الخاصة والعامة ، لأعجز أن يفيضوه على **غيرها** ، وفقد الشيء لا يعطيه .

(٨٨) انظر كتاب " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر " للدكتور محمد محمد حسين " الطبعة الثالثة —

بيروت — ص ٥٢ — الجزء الثاني .

مراحل تطور الخلافة الإسلامية :

قد مر على الخلافة الإسلامية مذ بوبع بها سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى هذا الأوان أدوار تباينت بتباين قوتها وضعفها ، فكانت في أول دورها مهيبه رهيبة بوحدها ، وبمباشرة الخليفة سلطته الدينية والسياسية ، كما كانت الخلافة ضعيفة منسية إما بتعدد الخلفاء وإما بحرمان الخليفة من سلطته الزمنية لاغتصاب أمير أو زعيم أو قائد لها .

سطر التاريخ هاتين الحالتين والفتن العديدة التي قامت حول الخلافة منذ انتقال المصطفى ص وآله ، وانتقال سلطاتها من دولة إلى دولة ومن بيت إلى بيت أما بحكم الغلبة ، وإما بحكم الوجود ، وانقسام المسلمين أحزابا ولّى كل حزب منهم وجوههم شطر الخليفة الراغبين فيه ، إلى غير ذلك مما سجله التاريخ .

وما زالت دول الأمويين والعباسيين والفاطميين والأندلسيين وغيرهم من ملوك الطوائف وسلاطين الممالك ، حتى ظهرت الدولة العثمانية وراثه ملك العرب والسلاجقة والروم ، وما ارتقى عرشها السلطان سليم الأول في عام ١٥١٣م حتى فكر في تحديد عظمة الخلافة الإسلامية ، ووجوب إحاطتها بكل معاني العزة وقوة السلطان ، وصحت عزيمته على أن يدعن لسلطانه بني فارس والشام ومصر ففعل . ودخل مصر فاتحاً في ٣١ يناير سنة ١٥١٧م فبايعه المتوكل آخر الخلفاء العباسيين إذ كان يسكن مصر ولا تزال سلالته تسكنها إلى اليوم .

ومن ثم قامت الخلافة بحكم الغلبة في بيت آل عثمان وأصبح سلطاتها خليفة رسول رب العالمين ص وآله وإمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، المذكور فوق منابر مساجدها ، الحامل لواء الرسول ص وآله

الحامي الحرمين الشريفين والأراضي المقدسة ، كما انتقل آثار الرسول ﷺ إلى حراسته بدار السعادة " القسطنطينية " ولا تزال فيها حتى اليوم .

ولقد أعز الله الخلافة بابنه السلطان سليمان " القانوني " ، ذلك الذي حكم ٤٤ سنة اتسع فيها ملك الدولة في أوروبا وآسيا وأفريقيا اتساعا لم تبلغه دولة إسلامية أخرى ، فعظمت رهبة الخلافة في كل مكان وخطب وودّها ذو البطش والسلطان من أباطرة وملوك وأمراء وسعى لمخالفتها ملك فرنسا الكبير " فرنسوا الأول " .

بيد أن الخلافة بعد ذلك الخليفة المذكور بالتجلة في كل جيل أخذت في الاضمحلال ، إما لسبب اعتداء القوى الأوروبية المتحدة اتحادا سياسيا أو دينيا على كيان الدولة العثمانية عامة وعلي مظهر الخلافة خاصة .. وإما لما تطرق إلى أخلاق بعض السلاطين الخلفاء من ابتعادهم عن شيم أجدادهم الأبطال الصادقين ، وملازمتهم قصورهم قاضين أوقاتهم في ملذات وأرجاس ، متواكلين تواكلا مميتا ، مهملين روح الشرع وأوامر الدين ، مستسلمين للحوادث ولغواية النيمة وسماسرة السوء وأهل الضلال والفساد .

غير مشرفين بأنفسهم كما كان يفعل أجدادهم الأبرار علي سياسة الملك وقياده الجند وتدبير شئون العباد ، متخليين عن المراقبة العامة لممليقيهم وصنائعهم الماديين الضالين ...

تبدلت الخلافة غير الخلافة ، وأنقص الزمان ذلك الملك الكبير من أطرافه ؛ حتى إذا ما تولاها السلطان عبد الحميد الثاني عني بها بعض العناية بإكرامه علماء المسلمين وأمرائهم وكبرائهم ، عاملا علي إيجاد رابطة روحية بين جميع شعوب العالم الإسلامي ، ولو أنه ما عني بأمور الدولة عناية الخليفة الشجاع الذي لا يخاف إلا الله ولا يعمل إلا بأوامره .

أجل . قد ظهرت الخلافة في عهد عبد الحميد مظهرها شعر به كل مسلم ، وعني به كل سياسي ، وحسب له كل طاغية من طاغية المستعمرين الغربيين ألف حساب .

ولقد دل عبد الحميد العالم كله على العروة الوثقى التي بينه وبين العالم الإسلامي بوصف أنه خليفة رسول رب العالمين ﴿ص وآله﴾ بذلك المشروع الكبير مشروع السكة الحديدية الحجازية .

فما أرسل نداء في العالمين بوجوب بنائها بين حيفا ومكة المكرمة حتى وجد آذانا صاغية وأيديا سخية ، فتبرع لبنائها المصري والهندي والأفغاني والعربي والتتري والعجمي وكل المسلمين علي اختلاف نحلهم ، واستطاع الخليفة أن ينشيء بمال المسلمين المحسنين المطيعين نحو ١٤٠٠ كيلو متر من خطوط حديدية مع جسورها وأنفاقها وأبنيتها وقاطراتها ومصانعها وكل عددها ، وأذن مؤذن البخار من حيفا إلى المدينة المنورة ، وانتفع المسلمون بهذا الخط الذي سهل تأدية فريضة الحج انتفاعا كبيرا ، ومصر التي ذكرها القرآن مرارا ووصفها الرسول

﴿ص وآله﴾ بأنها " كنانة الله في أرضه " قد برهنت منذ أخضعتها جمهورية عمر بن الخطاب لسلطانها وأخذ الدين الإسلامي ينتشر في أرجائها من أقصى ريفها إلى أقصى سودانها — إنها أسبق البلاد الإسلامية إخلاصا للخلافة وعونا للإمامة على كل أمر ، بما قدمته في عدة ظروف من مال وبنين نصره للخلافة وإحقاقا للحق . ولقد تجلت عاطفة مصر الدينية على دولة الخلافة في أجمل مظاهرها في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ففي عهد الحاج محمد علي باشا والي مصر استعان الخليفة به على إخماد فتنة الوهابيين فصدع بالأمر وجهز السفين وحشد الجند وبعث بحملة كبيرة إلى بلاد العرب بقيادة ابنه طوسون باشا أولا ثم بقيادته وأخيرا بقيادة ابنه

إبراهيم باشا الذي هزم الخارجين علي الخليفة شر هزيمة وفتح للمسلمين سبيل الحج التي كان الوهابيون قد سدوها ثماني سنوات من قبل.

وعاون الدولة بمال مصر ورجلها على استرداد السودان المصري ، وتنظيمه بعد أن كانت قد عمته الفوضى ، كما عاونها علي اليونان بين سنتي ١٨٢٦م — ١٨٢٩م معاونة ذكرها التاريخ بالإعجاب ، وضحت فيها مصر بمالها وبأبنائها وبأسطولها ، وكذلك كان الحال من الولاء في عهد الخديوي إسماعيل باشا فقد قدمت مصر أكبر معاونة في الحرب الروسية العثمانية في سنة ١٨٧٧م — ١٨٧٨م .

ولقد شعر مسلمو مصر بالواجب المفروض عليهم نحو دولة الخلافة في حربها مع اليونان في سنة ١٨٩٧م ، فأثمهم بالرغم من احتلال إنجلترا لبلادهم وتضييقها الخناق عليهم استطاعوا بقوة شعورهم أن يؤلفوا اللجان برياسة المرحوم صاحب الدولة مصطفى رياض باشا ، واكتبوا بمئات الألوف من الجنيهات وأرسلوها إعانة لدولة الخلافة .

وكذلك كان الحال في الاكتتاب للسكة الحديدية الحجازية فقد كان سخاء المسلمين في هذا البلد الأمين ظاهرا على كل سخاء ، فضلا عن المظاهرة التي قام بها كبارؤه وسادته في حفلة افتتاح هذه السكة في سنة ١٩٠٨م بالمدينة المنورة علي صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ... فقد رحل إلي دمشق مئات من صفوة المصريين فحملتهم القواطر منها إلى مدينة الرسول ﷺ وهناك ظهروا كالملائكة نجوم الاحتفال وأكرمهم رجال الدولة إكرام المعترف بالجميل لأخيه الصادق الوعد الوفي الأمين .

وفي حروب الخلافة مع إيطاليا في طرابلس الغرب ومع دول البلغار واليونان والصرب في البلقان فقد تألفت اللجان العامة برياسة الأميرين الجليلين عمر طوسون ومحمد علي وأكتب بمئات الألوف من الجنيهات عدا البعثات الطبية

والأرزاق والمعدات التي أرسلت بسخاء لمعاونة جيش الخلافة ، وعدا الرجال الأوفياء الذين تطوعوا بأرواحهم في سبيل الله نصره لواء الملة .
وكلنا نذكر الحالة النفسية الإسلامية التي كانت عليها مصر أبان الحرب الأوروبية الأخيرة وما بلغت عواطف المسلمين فيها نحو دولة الخلافة ، وأنه إذا كانت هذه العواطف لم تظهر مظهرها العملي فإن الأسباب لا يجهلها أحد ، وكفى أن كان في بيت كل مسلم مآثم عند ما خُذل الجيش العثماني ، وأصبحت الخلافة مهددة بالزوال من بيت آل عثمان .

هذا وما قام الغازي مصطفى كمال باشا بحركته المباركة وجمع حوله أبطال المؤمنين ووقفوا جميعا وقفة الأسد في وجه المغيرين علي بلادهم ، الهاجمين علي حياتهم ، المعتدين علي شرفهم وأعراضهم ؛ حتى تحركت قلوب مسلمي مصر وهزتهم الأريجية الدينية والعلاقة الروحية بدولة الخلافة ، فألفوا اللجان برياسة المسلم البار الورع المحروس بعناية الله الأمير عمر طوسون لإعانة منكوبي الأناضول .

نعم إن العاطفة في ذاتها إنسانية ولكن لا مشاحة في أنه كان لمركز الخلافة علي كل حال أثر فعال فيها ، وما العاطفة التي أبدأها مسلمو مصر نحو الخلافة إلا عين العاطفة التي أبدأها نحوها جميع الشعوب الإسلامية علي السواء وفي مقدمتهم شعب الهند المملوءة قلوب أبنائها حنانا وإيمانا .

فقد قدم كل قطر من الأقطار الإسلامية النجدة تلو النجدة لدولة الخلافة علي قدر ما سمحت له الظروف السياسية والاقتصادية ، كما ارتفعت الأصوات من كل جانب بالاحتجاج علي المعتدين ، وعلى الدولة التي اشتهرت بمعاداة الإسلام عامة ودولة الخلافة خاصة وهي الدولة الإنجليزية .

وما انتصر جيش الدولة باسترداده أزمير في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢م بعد أن كان العدو قد أحتلها سنين ، وما تغلب كذلك الحق على الباطل بإذعان الدول التي كانت حكمت على تركيا بالإعدام لهذا الحق ؛ حتى عم الفرح بيوت المسلمين في كل صقع لعودة دولة الخلافة سيرتها الأولى .

وكذلك ما قرر مجلس أنفره فصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية ، ووكل بالأولى الأمير العثماني الحليل عبد المجيد خان بن عبد العزيز خان حتى قبل المسلمون في جميع الأقطار ما ارتآه قادة وزعماء الترك بالرغم من استيائهم الشديد من هذا القرار .. وبايعوا الخليفة عبد المجيد مبايعة تامة وقد كان في مقدمة المبايعين الكثيرون من علماء الدين في مصر .

بيد أن المسلمين أجمعين ما علموا إبعاد الخليفة عن بلاده ومركزه بناء على قرار آخر صدر من مجلس أنقره في ٢ مارس سنة ١٩٢٤م ؛ حتى استولت على وجوههم الكآبة واشتد حزنهم واهتزت قلوبهم وهاجت أعصابهم ، وأخذ علماءهم وكبرائهم وكل شاعر بفداحة الحادث ، وما ينجم عنه من الاختلافات والأرزاء والانقسامات بتعدد الخلفاء ، وما يعتور الإمامة من الضعف بوصف أنها نظام ديني مفروض — أخذوا جميعا يفكرون في الأمر ، وقد اتفق العالم الإسلامي كله على وجوب عقد مؤتمر عام تمثل فيه جميع الشعوب الإسلامية ؛ لتمحيص هذه المسألة الجسيمة من كل وجوها ، وإصدار القرارات الصالحة الحاسمة حتى تطفأ الفتنة وتطمئن القلوب وتعود مياه الخلافة إلي مجاريها ، ويجلس الخليفة علي عرش ترتكز قوائمه علي قلوب المسلمين ، لذلك دعا حضرة صاحب الفضيلة الإمام الورع السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام والعلماء والكبراء لاجتماع عام أقامه بداره بسراري الفريق بالحنفي بالقاهرة ، فأمه الكثيرون منهم في يوم الخميس الرابع عشر من شهر شعبان المكرم من عام ١٣٤٢هـ الموافق لليوم العشرين من شهر مارس

سنة ١٩٢٤م ، وبعد أن انتظم عقد الجمع تلا حضرة الأستاذ الشيخ علي عبد الرحمن الحسيني بعض آي الذكر الحكيم ، ثم تقدم حضرة الإمام الداعي عليه السلام وخاطب الجميع .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يفتتح مؤتمر الخلافة الإسلامية بدراة عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا نستزيد به عناية الله بنا ، حتى نعيد مجد سلفنا ونبقيه لأبنائنا

ولأبنائهم . قال سبحانه وتعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى

الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المائدة: ٢ . والصلاة والسلام على من قام يدعو إلى الحق منفردا في ظلمات الجهالة فأيده الله بنصره وكذلك كل داع إلى الحق ينصره الله . أما بعد :

فيا أيها الشبان الناهضون المتفوقون على الشيوخ في اقتحام العظام .. أخصكم بالذكر لأنكم الأيدي العاملة في وقت الشدائد .. أخصكم بالذكر لأننا جماعة الشيوخ مللنا الدهر وملنا ولأننا نعمل لكم لا لنا .. إن كان لنا الآن فالمستقبل لكم .. وأي عاقل يرضى أن يهمل أمرا يصبح الأخ بإهماله حربا على أخيه . أيها الشباب العامل . كنت كسلانا فنشطني الله بكم .. جباننا فشجعني الله بإقدامكم .. كنت أخاف أن أقول كلمة فأطلق سبحانه لساني بقوة إيمانكم .. ذكرتموني عهد سلفنا الصالح حين كان المسلم لا يرى فوقه إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه . وي كأني أعدت إلى أيام مجدنا حيث الحياة في ظلال الحرية فأشكر الله على ما تفضل به علينا من غيرة لوطننا تُغير كل شيء أتت عليه . وحمية لديننا تمحو البدع المضلة والأهواء المذلة .

أنتم أيها النشء أقمتم الحجة بما قمتم به للأمة على أنكم شيوخ في شبابكم وأنكم ستجدون ما كان لسلفكم فأديمو هذا الجهاد حتى نبلي المراد . أدام الله لنا عنايته .

أيها الشيوخ الذين أكسبتهم التجارب عقولا تدرك غيب الحوادث وتكشف الستار عن أسباب الفتن .

أنتم الأئمة المضئية للعمال ، والأئمة عند السعي لنيل الآمال قد آن لنا أن نتدارك الأمر في أوله فقد كفانا ما توالى علينا من البلايا التي مكنت للأعداء فينا وجعلتنا مستعبدين لهم .

أيها السادة الوقت يوجب علينا النظر إلى أحداثا بعين البصيرة والمصارعة إلى معالجة المرضى منا بالحكمة لنكون جسدا واحدا قويا ندفع بقوة الاتحاد شرا أوجده

التفرقة وسوء ظن بعضنا ببعض ، قال ﴿ص وَالْه﴾ ﴿تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِنْ أَشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى﴾ وفي رواية: ﴿الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِذَا أَشْتَكَى عَيْنُهُ أَشْتَكَى كُلُّهُ وَإِذَا أَشْتَكَى رَأْسُهُ أَشْتَكَى كُلُّهُ﴾

الغرض من الاجتماع:

لابد لكل عامل غرض يدعو إليه وباعث يدفعه للعمل وبقدر المقصد يكون بذل الجهد والغرض من اجتماعنا هذا هو :

" أولا : إقامة الأمة المصرية الحجة علي إنها تعني بالأحداث التي تدعو إليها مقتضيات الوقت .

الثاني : النظر في حادث الخلافة الإسلامية الذي أقام العالم وأقعده .

الثالث : أن تؤلف لجنة تحضيرية يوكل إليها العلم للدعوة إلى مؤتمر إسلامي عام يبحث هذا الموضوع بحثا دينيا اجتماعيا ويصدر فيه القرارات المطابقة لروح الشرع والمطمئنة للعالم الإسلامي بأسره ... "

وبعد أن شرح فضيلته الحكم الشرعي والحكم الوجودي والخلافة والإمامة ووافق الجمع على كلماته القيمة بالارتياح والاستحسان ألقى الكثيرون من العلماء خطبا تناسب المقام ثم اختتمت الحفلة كما بدئت بتلاوة بعض آيات من القرآن الكريم . انتخب هذا الجمع لجنة تحضيرية برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الإمام السيد محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام فاجتمعت في الحال في هيئة جلسة وقررت قرارا وهذا نصه .

قرار اللجنة التحضيرية :

أولا : السعي في تكوين مؤتمر إسلامي عام تمثل فيه الشعوب الإسلامية كافة يعقد في المكان والزمان اللذين يُقرران بعدُ .

ثانيا : السعي في تشكيل لجان فرعية في البلاد المصرية علي أن يؤلف من مندوبي هذه اللجان جمعية عامة رئيسية تنظر في جميع المؤتمر وإجراء كل ما يلزم لانعقاده .
ثالثا : ترشح اللجنة مع الثقة العظمي حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون لرياسة اللجنة العامة .

رابعا : انتخبت حضرة صاحب الفضيلة الإمام السيد محمد ماضي أبا العزائم عليه السلام رئيسا وحضرة صاحب السعادة علي بك فهمي كامل نائب رئيس وحضرة الشيخ مفتاح زيدان سكرتيرا أما الأعضاء الذين انتخبوا فهم حضرات الآتية أسماؤهم
بعد : صاحب السماحة الإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام ، سعادة علي بك فهمي كامل ، عبد الرحمن بك الموم ، إبراهيم بك عبادي ، حضرات محمد أمين بك الريدي ، السيد عبد الحليم خفاجي ، السيد محمود سلامة ، الشيخ أحمد

السبكي ، الشيخ أحمد العقاد ، الشيخ مرسى العباسي ، عبد العال بك حسين ،
الحاج سيد عبده ، حسبو أفندي فرج ، الحاج إبراهيم عبد الواحد ، الشيخ إبراهيم
شعت ، الشيخ محمد قناوي ، سليمان أفندي بكيش ، الشيخ حسين محمد غريب ،
عبد العزيز أفندي فوزي ، الشيخ محمد الشريعي ، حسن أفندي القليبي ، خليل
أفندي إبراهيم سالم ، الشيخ محمد نبلا ، السيد محمد الحسن ماضي ، السيد أحمد
أفندي ماضي ، الشيخ عبد العزيز أبو النيل ، الشيخ محمد إسماعيل الشماع ، الشيخ
حسن طه ، السيد محمود أفندي ماضي ، إبراهيم أفندي الطنجي ، محمد أفندي
فايز وصفي ، كامل أفندي عثمان الفندي ، أحمد رمضان ، يوسف مرعي ، أحمد
عبده ، الشيخ أحمد إسماعيل السوسي .

خامسا : تبليغ قرارات اللجنة إلي حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر
طوسون وإلى الصحف

وقد تلي محضر هذه الجلسة على المجتمعين فوافقوا عليه ونشرت الصحف نصه ثم
التأمت اللجنة التحضيرية في يوم الأحد ٢٣ مارس سنة ١٩٢٤م وانتخبت من بين
أعضائها لجنة تنفيذية للبت في الأمور المستعجلة كما قررت لائحة داخلية للعمل بها
مؤقتا وهذا هو نصه .

أولا : دعوة المسلمين في مصر لتأليف لجان فرعية تكون في عملها تابعة للجنة
التحضيرية العليا .

ثانيا : تأليف لجنة تنفيذية بالقاهرة من أعضاء اللجنة التحضيرية العليا تنحصر
مهمتها فيما يأتي .

(أ) - النظر في الأمور المستعجلة وإصدار القرارات الموافقة لروح الشرع الشريف
ولمقتضيات الحال .

(ب) - اعتماد اللجان الفرعية التي تؤلف بجهات القطر .

- (ج)- مخابرة جميع الهيئات الإسلامية الحرة في جميع الأقطار .
- (د)- معاونة جميع اللجان التي تتألف في القطر المصري علي نشر الحقائق والوقوف علي ما يجري في العالم الإسلامي بشأن مسألة الخلافة بكل الوسائل .
- (هـ)- ترك مسألة البت في أمر الخليفة وتعيين مكانه للمؤتمر وحده إذ أن الخوض من قبل اللجان المؤلفة لغرض التثام المؤتمر الإسلامي في هذا الموضوع الهام ليس من واجب هذه اللجان .
- (و)- احترام رأي العالم الإسلامي في جميع الجهات وتقريب الصلة بين جماعته المتباينة على قدر الإمكان تأهباً لعقد المؤتمر المنشود .
- ثالثاً : بعد أن يتم نظام اللجان الفرعية التابعة للجنة العليا تنتخب كل لجنة منها مندوبين عنها يمثلونها .
- رابعاً : تجتمع الجماعة العمومية مؤلفة من أعضاء اللجنة العليا ومن مندوبي اللجان الفرعية للنظر فيما يعرض عليها من الأمور ، وإذا قضت الضرورة ندب وفد للسفر إلى خارج القطر فينتخب أعضاؤه من الجماعة العمومية .
- خامساً : عقد اجتماعات دورية لشرح الحقائق في مسألة الخلافة والعمل بقدر الطاقة لتقريب زمان عقد المؤتمر الإسلامي للنظر في هذه المسألة العظيمة الأهمية .
- سادساً : إرسال جميع البيانات والقرارات التي تصدر من اللجنة العليا إلى الهيئات الإسلامية في جميع البلدان .
- سابعاً : السعي في حسن التفاهم مع الجماعات الإسلامية التي غم عليها الأمر أو التي انقادت إلى العواطف الخاصة دون النفع الإسلامي العام .
- ثامناً : ليس لهذه اللجنة في عملها غرض خاص ترمي إليه سوى إحاطه مركز الخلافة الأسمى بجميع القلوب المؤمنة الصادقة التزعة ، وتنظيمها تنظيمًا يؤيد سلطان

الخلافة تأييدا يستوي وروح الشرع الشريف ويجعل للخلافة الإسلامية هيمنتها العليا على جميع الروابط الإسلامية في العالم كله .

تاسعا : بعد أن توفق اللجنة العليا بمشيئة الله لبلوغ غرضها المنشود لا تحل ولا تنتهي مهمتها بانتهاء العمل بل تستمر في وادي النيل باسم جماعة الخلافة الإسلامية الداعية على الدوام لتوثيق عرى الاتحاد بين جميع الأمم الإسلامية عامة وللدفاع عن حقوق الخلافة خاصة .

عاشرا : تكليف اللجنة التنفيذية بوضع قانون شامل واف لجماعة الخلافة الإسلامية .

وبناء علي الفقرة العاشرة من هذه الاثحة وضعت اللجنة التنفيذية قانونا لجماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل وإنا بطبعه وإعلانه إنما نؤدي خدمة لإخواننا المسلمين .

نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يهبنا من لدنة قوة ورشدا : والسلام على من اتبع الهدى .

قانون جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل

تمهيد

إنه بالنظر للرابطة الروحية التي يجب أن تكون وثيقة العرى بين المسلمين وبين مسند الإمامة الإسلامية العامة . وبالنظر لما أصاب الخلافة بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة في ٢ مارس سنة ١٩٢٤م إبعاد الخليفة عن تركيا وتخليها عن الخلافة ، وبالنظر إلى النهضة الإسلامية المصرية في هذا الشأن وقيام الغيورين بتأليف لجان عديدة في أرجاء وادي النيل وإعلامهم تبعيتهم للجنة التحضيرية العليا التي يرأسها حضرة صاحب الفضيلة الإمام الورع السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام والتي تعمل لهذا الغرض الأسمى وبالنظر لخلو مصر من جماعة إسلامية دائمة توازر الإمام الأعظم طبقا لروح الشرع وتعمل لنشر الحقائق الإسلامية في كل مكان غير مبتغية أي غرض آخر سوى خدمة الدين من طريق الشرع الشريف وبالنظر إلى غير ذلك من المسائل الإسلامية العامة المشتركة بين جميع شعوب العالم الإسلامي .

قد رأت اللجنة التحضيرية لعقد مؤتمر إسلامي الموافقة على القانون الذي وضعته اللجنة التنفيذية باسم قانون جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل وهذا نصه :

شعار الجماعة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر: ٣

أ- المبادي

١- الطاعة التامة لخليفة رسول رب العالمين ﴿ص وآله﴾ وإمام المسلمين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩

٢- الدفاع عن النظم الشورية والسعي في تعميمها في جميع الأقطار الإسلامية عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: ٣٨

٣- الدعوة للاتحاد بأتباع أوامر الذين عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣

٤- السعي في التعارف بين الشعوب والقبائل عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿الحجرات: ١٣﴾

٥- السعي في تعميم التعليم بين جماعات المسلمين حتى يعلموا الحقائق ويقفوا على مستحدثات الرقي العصري عملاً بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٩

٦- محاربة الخمول والكسل والعطل عملاً بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك: ١٥

٧- إصلاح ذات البين بين الجماعات الإسلامية المنشقة علي نفسها عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات: ٩

٨ — محاربة من يخرج من المسلمين على إجماع العالم الإسلامي في أي شأن من شئون الخلافة .

٩ — مجادلة الطوائف غير الإسلامية بالتي هي أحسن عملا بقوله تعالى:

﴿ وَجَدِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥

١٠ — احترام حرية الأديان عملا بقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون:

٦

١١ — حض المسلمين علي العمل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٩٠

١٢ — نشر الفضائل الإسلامية التي تجعل كل مسلم يراقب الله تعالى في معاملته

الناس جميعا عملا بصريح القرآن والسنة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء: ٥٨

١٣ — الوفاء بالعهد ونصرته عملا بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

مَسْئُولًا ﴾ الإسراء: ٣٤

١٤ — الحض علي التعاون فيما هو خير عملا بقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة: ٢

ب- اللائحة الداخلية

(١) قبول الأعضاء

يقبل عضوا في جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل كل مسلم حر بالغ رشيد سواء أكان مصري الجنسية^(٨٩) أم كان من الأجناس الأخرى المقيمة بوادي النيل .

(٢) يقدم العضو طلب الانضمام إلى الجماعة على نموذج خاص مطبوع لهذه الغاية ويصرف من سكرتارية الجماعة بلا ثمن .

(٣) يدفع العضو اشتراكا سنويا بعد إقرار طلب انضمامه حسب قدرته بما لا يقل عن خمسمائة مليم في العام ويمكن دفعه جملة واحدة أو يقسط علي قسطين متساويين .

(٤) لا يعتبر عضوا في الجماعة إلا من قبلت اللجنة التنفيذية طلبه وسدد الاشتراك (٥) ليس للعضو الذي قبلته الجماعة أن ينتقد أعمالها انتقادا علنيا بل عليه إذا رأى اعوجاجا في أي عمل من الأعمال أن يبينه لرأسه الجماعة لتتصرف فيه التصرف الصالح ولتقومه بما يستحقه من العناية .

(ج) الجماعة العمومية

(٦) تؤلف الجماعة العمومية من جميع الأعضاء الذين سددوا قيمة الاشتراك إذا لم يتعد عددهم خمسمائة عضو أما إذا زادوا على هذا العدد فإنها تؤلف من النواب عن الأعضاء .

(٧) إذا زاد عدد أعضاء الجماعة على خمسمائة عضو فإنه ينوب عن كل عشرين عضوا نائب يمثلهم في الجماعة العمومية .

(٨) إذا زاد أعضاء الجماعة العمومية علي عشرة آلاف عضو فإنه ينوب عن كل خمسين عضوا نائب يمثلهم في الجماعة العمومية .

(٨٩) تشمل الجنسية المصرية أبناء الكنانة والسودان .

(٩) يكون مكان التثام الجماعة العمومية مدينة القاهرة .

(١٠) تلتئم الجماعة العمومية التثام عاديا مرتين في كل سنة الأولى في يوم الجمعة الأول من شهر محرم الحرام والثانية في يوم الجمعة الأول من شهر رجب الفرد .
(١١) تلتئم الجماعة العمومية التثام فوق العادة لذا رأى مجلس الإدارة أن ثمة ضرورة تتطلب ذلك .

(١٢) متى التأمت الجماعة العمومية بأي حال تستمر ملتزمة حتى تفرغ من الأعمال المعروضة عليها .

(١٣) تنشر دعوة الالتئام ثلاث مرات في الصحف السيارة قبل التاريخ المحدد له بعشرة أيام . وترسل الرأسة إلى جميع اللجان الفرعية صورة الدعوة مع لفت النظر إلى عدد من يمثلهم النائب من الأعضاء إذا دعت لذلك الضرورة التي تحتمها هذه اللائحة .

(١٤) كل عضو أو نائب يحضر اجتماع الجماعة يجب عليه أن يكون حاملا بطاقة الدعوة أو مكتوبا من اللجنة الفرعية التابع لها يدل على تمثيله لعدد من أعضائها وجميع البطاقات أو المكاتيب تكون شخصية ولا يقدمها إلا يقدمها إلا الذين دعوا بها للاجتماع .

(١٥) ترسل الاعتذارات عن عدم الحضور لسكرتارية الجماعة تلغرافيا أو كتابة قبل ميعاد الالتئام ولو بساعة واحدة .

(١٦) تقدم الاقتراحات والرغبات في اجتماعات الجماعة العمومية العادية قبل التثامها بخمسة أيام على الأقل إلى مكتب رأسة الجماعة .

(١٧) محضر أعمال الجماعة العمومية في كل دور من أدوار اجتماعاتها يطبع ويرسل لكل عضو من الأعضاء .

(١٨) تنتخب الجماعة العمومية رئيسا للجماعة وثلاثين عضوا من بين أعضائها أو الممثلين للأعضاء لتؤلف منهم اللجنة العليا ويكون انتخابهم سريا .

(١٩) تنظر الجماعة العمومية فيما حواه جدول أعمالها دون أن تتعدها وتصدر قراراتها .

(٢٠) تصادق الجماعة العمومية علي الحسابات العامة للجماعة مرة في كل سنة (في اجتماع شهر محرم الحرام) .

(٢١) للجماعة العمومية أن تقرر في أي اجتماع تجتمعه مبالغ لإعانة أعمال البر الإسلامية حسبما تسمح لها ماليتها .

(٢٢) تغيير أية مادة من مواد قانون الجماعة أو إضافة أية مادة إليها لا يكون إقراره صحيحا إلا إذا حاز موافقة أربعة أخماس الحاضرين جلستها .

(٢٣) تحتفل الجماعة العمومية بجميع الأعياد الإسلامية .

(٢٤) تكون القرارات صحيحة بالأغلبية المطلقة للحاضرين .

(د) الرئيس

(٢٥) لا يتغير الرئيس مدة حياته إلا إذا استقال وقبلت استقالته أو قررت أغلبية الجماعة عزلة .

(٢٦) رئيس الجماعة هو الذي يدبر أعمالها وأعمال لجنتها العليا ولجنتها التنفيذية وله الحق في ترؤس كل لجنة من لجان الجماعة إذا ادعته الظروف لحضور جلساتها ويوقع القرار والمحاضر والمراسلات ويمثل الجماعة في حضور المؤتمرات والاجتماعات والاحتفالات التي تدعي إليها .

(٢٧) ينوب عن الرئيس في حالة غيابه لأي سبب من الأسباب نائب الرئيس فالوكيل الأول فالوكيل الثاني فالسكرتير العام فأكبر الأعضاء سنا .

(٢٨) إن خلا مكان الرئيس لأي سبب من الأسباب تدعو اللجنة العليا الجماعة العمومية في ظرف أسبوع لتتخب رئيسا مكانه .

(٢٩) مكتب الرئيس يؤلف منه ومن نائبه والوكيلين والسكرتير وأمين الصندوق .

(هـ) اللجنة العليا

(٣٠) يكون ترتيب أعضاء اللجنة العليا بالتبعية لأغلبية الأصوات التي نالوها في انتخابات الجماعة العمومية ، فالأكثر أصوات يكون نائب الرئيس والثاني وكيله الأول والثالث وكيله الثاني أما السكرتير العام وأمين الصندوق فإن اللجنة العليا تنتخبهما من بقية الأعضاء وتحدد الجماعة العمومية انتخاب ثلث عدد الأعضاء في كل سنة .

(٣١) تجتمع اللجنة العليا مرة في كل شهر بصفة عادية ويمكن اجتماعها بصفة فوق العادة إذا طلب عشرة من أعضائها اجتماعها لسبب هام يبينونه للرئيس في طلبهم .

(٣٢) تدبر اللجنة العليا مالية الجماعة .

(٣٣) تؤلف اللجنة العليا ثلاث لجان الأولى تنفيذية وهي تتشكل من مكتب الرئيس وعضوين آخرين من أعضاء اللجنة العليا والثانية شرعية وتؤلف من أعضاء اللجنة العليا الحائزين للصفات العلمية الدينية ويكون عددها ستة أعضاء عدا رئيس الجماعة والثالثة لجنة السكرتارية وهي تؤلف من السكرتير وأمين الصندوق ومن أربعة أعضاء يساعدونهما علي إنجاز العمل .

(٣٤) للجنة العليا السلطة التامة في تأجير الأمكنة اللازمة للجماعة وفي إدارة صحفها السيارة وفي تعيين الموظفين اللازمين للإدارة وعزلهم .

(٣٥) لا تتصرف اللجنة العليا في أكثر من ألف جنية من مال الجماعة في بحر العام الواحد وإذا دعت الضرورة لصرف أكثر من هذا المبلغ تدعى الجماعة العامة بصفة فوق العادة لأخذ رأيها ...

(٣٦) تشرف اللجنة العليا علي تنفيذ مبادئ الجماعة وقراراتها وتنشر الصحف الدورية النافعة لإرشاد المسلمين وتوزيعها علي الأعضاء بالثمن الذي تتكلفه ، وتدفع بالتي هي أحسن كل اعتداء علي حرمة الإسلام ...

(٣٧) إذا خلا مكان عضو من أعضاء اللجنة العليا يكون للرئيس الحق في دعوة من نال في انتخاب الجماعة العامة أكثر الأصوات بعد الثلاثين عضوا المؤلفين لها ليحل محل العضو الذي خلا مكانه وعلي الرئيس في هذه الحالة أن يخير الجماعة العمومية بذلك عند التمامها .

(٣٨) يجب علي اللجنة العليا أن تعد تقريراً مفصلاً لأعمالها السنوية لتعرضه علي الجماعة العمومية في اجتماع رأس السنة

(٣٩) كل لجنة من اللجان المؤلفة من اللجنة العليا ومذكورة في هذا الباب تنتخب من بينها رئيساً لها ووكيلاً وسكرتيراً .

(٤٠) أعمال اللجنة العليا وكذلك أعمال كل لجنة من لجائها على حدة يجب أن تكون مدونة في محاضر منظمة ومحفوظة في أماكن آمنة .

(٤١) في حالة تعذر التمام الجماعة العمومية تقوم مقامها اللجنة العليا لتلثم وتصادق علي أعمال اللجنة العليا .

(٤٢) اللجنة العليا مجتمعة أن تؤلف الوفود وتقرر نفقاتها وتزودها بالتعليمات اللازمة إلى أي جهة من جهات العالم الإسلامي .

(و) اللجنة التنفيذية

(٤٣) تقوم اللجنة التنفيذية بالأعمال المستعجلة كالرد علي النداءات والاستغاثات وقبول طلبات الأعضاء ومخابرة اللجان وغيرها وإقرار اللجان الفرعية ، وتجتمع في أي وقت تشاء .

(٤٤) لا تتصرف اللجنة التنفيذية في أكثر من خمسين جنيها من مال الجماعة ، وهي التي تقوم بالاتفاقات الخاصة بأعمال الاجتماعات العامة في دائرة اللجنة العليا .

(٤٥) للجنة التنفيذية الحق في انتداب من تنتدبه من أعضاء الجماعة مزودا بتعليماتها الكتابية ليمثلها في أي اجتماع تدعى إليه اللجنة العليا من اجتماعات لجان الجماعة الفرعية أو غيرها .

(٤٦) للجنة التنفيذية أن تحتج على كل اعتداء يمس مبادئ الجماعة مهما كان مصدره عملا بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ١٩٤ .

(٤٧) وظيفة اللجنة الشرعية التأليف والإرشاد وإفتاء جميع لجان الجماعة وجميع أعضائها السائلين عن أي موضوع إسلامي .

(٤٨) تعتمد اللجنة الشرعية في عملها على القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ الشرعي من شروح ووقائع واستدلالات .

(٤٩) لا تبدأ هذه اللجنة بتحضير أي مؤلف في المسائل الشرعية إلا بعد أن تصادق اللجنة العليا على موضوعه وإبداء ملاحظاتها الخاصة على حجمه وتكاليف طبعه .

(ح) لجنة السكرتارية وأمانة الصندوق

(٥٠) هذه اللجنة مسئولة عن النظام الكتابي والنظام المالي وحصرهما في سجلات واضحة متقنة مع حفظ جميع الملفات الخاصة بهما وصيانتهما في الخزائن المعدة لهما .

- (٥١) جميع النفقات التي تقررها اللجنة العليا أو اللجنة التنفيذية أو الجماعة العمومية يجب أن تصدر بها لأمين الصندوق أذن صحيحة موقع عليها من رئيس الجماعة أو نائبة والسكترير العام .
- (٥٢) جميع المبالغ التي ترد لصندوق الجماعة يجب أن يعطي عنها إيصالاً من أمانة الصندوق لسكترارية الجماعة .
- (٥٣) جميع إيصالات الأموال التي ترد إلى صندوق الجماعة يجب أن يعتمدها رئيس الجماعة وفي حالة غيابة أو مرضه يعتمدها نائبه أو أحد الوكيلين كل إيصال كذلك يجب أن يوقع عليه أمين الصندوق .
- (٥٤) جميع قرارات الجماعة العمومية واللجنة العليا واللجنة التنفيذية تنشرها السكترارية في الصحف كلما رأت ضرورة لنشرها .
- (٥٥) تحضر السكترارية جداول الأعمال قبل اجتماعات الجماعة العامة واللجنة العليا توزعها على الأعضاء ... وتقوم بتحضير كل ما يلزم من أدوات الكتابة وغيرها في كل اجتماع .
- (٥٦) الدفاتر والأوراق التي تكون لدى السكترارية هي :
- أ — دفتر لقيد أسماء أعضاء كل مديرية أو محافظه وعنواناتهم .
- ب — دفتر قيد مكاتيب اللجان الفرعية .
- ج — دفتر لمحاضر جلسات الجماعة العمومية .
- د — دفتر لمحاضر جلسات اللجنة العليا .
- هـ — دفتر لمحاضر جلسات اللجنة التنفيذية .
- و — دفتر قيد المخاطبات الواردة والصادرة .
- ز — السندات التي أخذت على الحراسة العامة للجماعة .

(٥٧) جميع المطبوعات الخاصة بالجماعة يجب أن تكون معنونة باسم الجماعة واللجنة المختصة .

(٥٨) وكذلك أمانة الصندوق فإنها مسئولة عن أن يكون لديها الدفاتر الآتية .

أ — دفتر قيد اشتراكات الأعضاء في تواريخ ورودها مع أسماء وعناوين المشتركين .

ب — دفتر قيد التبرعات الخارجة عن اشتراكات الأعضاء .

ج — دفاتر إيصالات مهيئه علي الأسلوب المذكور في هذا الباب .

د — ملفات أذن اللجان الرئيسية مرفقة بالفواتير الخاصة بها .

هـ — دفتر الحسابات العام للدخل والخرج .

و — دفتر خاص بالعهد الثابتة من أدوات وغيرها .

ز — ملفات العهدة .

(٥٩) وعلي الجملة تكون السكرتارية وأمانة الصندوق كل منهما محتفظا بما يسد

عمله ويحيطه بكل نظام شامل .

(ز) اللجان الفرعية

(٦٠) تؤلف اللجان الفرعية في المدائن والقرى من أعضاء الجماعة لنشر المبادئ

وتوثيق عرى المحبة بينهم .

(٦١) يكون لكل لجنة فرعية رئيس ووكيل وسكرتير وأمين صندوق ومنهم مع

انتخاب ثلاثة أعضاء آخر يؤلف مكتب اللجنة .

(٦٢) تخابر مكاتب اللجان الفرعية اللجنة العليا للجماعة في كل شأن يتعلق

بالمبادئ وترسل إليها طلبات الراغبين في الانضمام للجماعة مشفوعة بملاحظاتها

لتبدي رأيها فيها ثم تعيدها إليها .

(٦٣) تحصل اللجنة الفرعية قيمة اشتراكات أعضاء دائرتها وتخصم منها عشرين في المائة لحساب نفقاتها وترسل الثمانين في المائة الباقية إلى رأسه الجماعة لضمها إلى الصندوق العام .

(٦٤) في كل مرة ترسل اللجنة الفرعية إلى رئاسة الجماعة الثمانين في المائة من اشتراكات أعضائها المصدق على قبولهم ترسل معها إيصالا بمبلغ العشرين في المائة الذي أبقته لديها لنفقتها .

(٦٥) تتصرف اللجنة الفرعية في مبلغ العشرين في المائة من اشتراكات أعضائها في مرتبات الموظفين اللازمين لها وفي نفقات البريد والاجتماعات واشتراكات الصحف والتليفون إذا كانت ثمة ضرورة له . وعلى الجملة في كل ما تحتمه ضرورة العمل مع الاقتصاد التام .

(٦٦) تقدم اللجنة الفرعية في اليوم الأول من كل شهر هجري حساب دخلها وخرجها للجنة العليا للجماعة .

(٦٧) جميع التعليمات التي تصدر من اللجنة العليا إلى اللجنة الفرعية في أي شأن من شئون خدمة المباديء يجب عليها أن تعمل بها وتنشرها بين أعضائها بطريق المراسلة .

(٦٨) مكتب رئاسة اللجنة الفرعية يجتمع في أي وقت للنظر في أعمال لجنته . ويجتمع جميع أعضاء اللجنة مرتين في كل عام قب التاريخين المقررين لاجتماع الجماعة العمومية بعشرة أيام لانتخاب نواب يمثلونهم فيها ومتى انتخب الممثلون يعطي مكتب رئاسة اللجنة الفرعية لكل منهم مكتوبا بهذا التمثيل ليقدم عند التمام الجماعة العمومية وعدا ذلك يخبر نفس المكتب رئاسة الجماعة بنتيجة الانتخاب .

(٦٩) جميع الاقتراحات التي يقترحها الأعضاء ويرغبون في عرضها على الجماعة

العمومية ترسل إلى مكاتب اللجان الفرعية لترتيبها وترسلها جملة واحدة إلى اللجنة العليا كالمقرر في باب الجماعة العمومية بهذه الاثثة.

(ح) مال الجماعة

- (٧٠) يحفظ المال الذي يصل إلى أمانة الصندوق العام بواسطة رئاسة الجماعة في مصرف وطني باسم (جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل) ولا يصرف منه شيء إلا بإذن يوقع عليه بخط كل من رئيس الجماعة وسكرتيرها وأمين صندوقها العاملين وفي حالة غياب أحدهم يوقع عنه وكيله في عمل الجماعة
- (٧١) يجب إخطار المصرف بالكلاء إذا دعت الضرورة إلى ذلك.
- (٧٢) يكون لدى أمين الصندوق دفتر خاص بحساب ما يودع في المصرف أو ما يسحب منه وأن يكون مستوفيا عملية مسك الدفاتر .
- (٧٣) لا يخلط مال الجماعة بمال ناديها.

(ط) نادي الجماعة

- (٧٤) يؤسس في مدينة القاهرة التي هي مركز جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل ناد عام لأعضائها.
- (٧٥) يتشكل مجلس إدارة النادي من المؤسسين ويضعون له قانونا لعرضه على اللجنة العليا للجماعة التي بعد أن تصادق عليه يلحق بهذه اللائحة للعمل بمقتضاها.
- (٧٧) تدفع اللجنة العليا لمجلس إدارة النادي زيادة خرجة على دخله. أما إذا زاد الدخل فلمجلس إدارة النادي التصرف فيه كما يريد.
- (٧٨) يشترط في المؤسسين للنادي أن يكونوا أعضاء في الجماعة فإذا استقال أحدهم من عضوية الجماعة تشتري اللجنة العليا للجماعة ماله من السهوم في النادي بقيمتها الاسمية.

(ي) صحف الجماعة

(٧٩) تنشئ الجماعة صحيفة إسلامية يومية تكون لسان حالها ومجلة شهرية تنشر فيها أهم ما نشر في الصحيفة اليومية وما لم ينشر فيها من الرسائل المؤيدة لمبادئ الجماعة والمرشدة جماعة المسلمين إلى ما فيه خيرهم وخير المجتمع.

(٨٠) يكون رأس مال هاتين الصحيفتين وممتلكاتهما ملكا للجماعة.

(٨١) اللجنة العليا للجماعى هي المسئولة وحدها عن وضع نظام الإدارة والتحرير لهاتين الصحيفتين.

(ك) الوفود

(٨٢) الوفود التي تعينها اللجنة العليا للجماعة لتحضر المؤتمرات أو الاجتماعات أو الحفلات الإسلامية في البلدان الأخرى يجب أن تكون مرسومة بأحد أعضاء اللجنة العليا نفسها وأن يكون أعضاؤه أعضاءها في الجماعة.

(٤٨) تقبل اللجنة العليا للجماعة جميع التبرعات التي يرسلها أعضاؤها أو غيرهم لمعاونة الوفود على تأدية ما اتدبوا له وأن تضمها إلى حساب مال الجماعة.

(٨٥) الوفود التي توفدها الجماعة إلى أي بلد إسلامي تكون مهمتها دينية بحتة.

(ل) أحكام عمومية

(٨٦) ليس للعضو المستقيل من الجماعة أن يطالبها ببقية إشتراكه الذي يعتبر تبرعا عاما لها.

(٨٧) يفصل عن الجماعة كل عضو فيها خرج على مقام الخلافة.

(٨٨) يعتبر العضو عند قبوله بالجماعة عالما بمبادئها ولائحتها الداخلية المحتوى عليها هذا القانون.

(٨٩) كل قرار وكل اجتماع مخالف لنصوص هذا القانون يعتبر باطلا ولأعضاء الجماعة الحق في مخالفته.

(٩٠) يحمل كل عضو تذكرة شخصية تدل على عضويته بالجماعة. وهذه التذكرة تقدم إليه من سكرتارية الجماعة أو من مكاتب اللجان الفرعية نظير عشرين مليما

ملحق قانون

جماعة الخلافة الإسلامية

بوادي النيل

برئاسة فضيلة

الإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بما أن المادة التاسعة من قرار اللجنة التحضيرية تنص بأن لجنة الخلافة الإسلامية بوادي النيل لا تُحل ولا تنتهي بانتهاء العمل بل تستمر في وادي النيل باسم جماعة الخلافة الإسلامية الداعية على الدوام لتوثيق عرى الاتحاد بين جميع الأمم الإسلامية عامة والدفاع عن حقوق الخلافة خاصة.

فقد اجتمعت اللجنة التنفيذ به العليا تحت رئاسة صاحب السماحة السيد محمد ماضي أبو العزائم رحمته الله وقررت ما يأتي:

أولاً: يضاف على القانون ملحق- وتقرر أن رئيس اللجنة في كل بلد عليه أن يجمع الأعضاء ويتلو عليهم القانون ويأخذ منهم إقرار بأنهم علموه وفهموه ليكون معمولاً بنص المادة.

(١) (المباديء) من فقرة (١) إلى غاية الفقرة الرابعة عشر.

ثانياً: وتقرر في المادة (ب) فقرة ٣ الآتي:

نظراً للحالة المالية الحاضرة قررت اللجنة العليا أن كل عضو يدفع اشتراكاً شهرياً قدرة لا يزيد عن خمسين مليماً.

المادة زفقرة ٦٣

ثالثاً: هذه الفقرة تعين على كل لجنة فرعية أن تحصل اشتراكات أعضاء دائرتها إلخ ولما كانت قيمة الاشتراكات المرغوب تحصيلها من كل عضو لم تبين فقد أشير إليها بالمادة ب فقرة ٣.

المادة ل فقرة ٩٠

رابعاً: يحمل كل عضو تذكرة شخصية تدل على عضويته بالجماعة وهذه التذكرة تقدم إليه من سكرتارية الجماعة أو من اللجان الفرعية نظير عشرين مليماً ولما كانت الحالة الوقتية داعية لرفع ثمنها تقرر أن تكون قيمتها مائة مليم وذاك لملاحظة أن ما كان يدفع للانتساب للجنة كان خمسمائة مليماً ونظراً للحالة المالية الآن تنازلت اللجنة التنفيذية العليا عن أربعمائة مليماً.

خامساً: وعرض على اللجنة وفاة المرحوم محمد أفندي فائز وصفي الذي كان أميناً للصندوق فأوقفت اللجنة أعمالها دقائق كثيرة أسفا لفقدائها رجلاً عاملاً بإخلاص معها .

وختاماً قررت تعيين حضرة السيد أفندي سالم الذي كان حاضر باللجنة أميناً للصندوق وقررت طبع هذا الملحق ونشره على اللجان الفرعية والأعضاء للعمل بمقتضاه وبالله التوفيق.

سادساً: تقرر أن تكون التذاكر الشخصية التي يحملها كل عضو من أعضاء الجماعة موهورة بختمها الخاص أو ختم رئيسها أو وكيله وإمضاء السكرتير العام حتى يعتمد وأن تكون إيصالات دفع الاشتراك الشهري موهورة بختم الجماعة وإمضاء أمين الصندوق ومحظور على الأعضاء أن يقدموا أموالاً إلا لمن يكون بيده وثيقة بإقامة هذا المقام.

رئيس الجماعة

وكيل جماعة الخلافة

صورة تذكارية تضم السادة أعضاء لجنة الخلافة الإسلامية بوادي النيل يوسطهم الإمام وعلى يمينه السيد شوكت علي كبير علماء الهند

الفصل الخامس

الملك فؤاد يحارب مؤتمر الخلافة.. والإمام المجدد السيد يوحى كلمة المسلمين ويعقد المؤتمر بمكة المكرمة

الظواهري يقود الأزهر لتزكية الملك فؤاد خليفة على المسلمين ضاللا وطغيانا
١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ:

الحكومة تفاجأ في اليوم التالي بما نشرته الصحف عن الاجتماع ، وعما تمخض عنه من لجان تحضيرية وتنفيذية وسرعة تكوين لجان فرعية بالأفليم بين عشية وضحاها. فبدأت تولي الموضوع أهمية خاصة ، فشرعت في تكوين مؤتمر من علماء الأزهر برئاسة الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر، وسكرتارية الشيخ حسين والي السكرتير العام لمجلس الأزهر (١). أي بعد تكوين جماعة الخلافة يوادي النيل بستة أشهر ولم يجتمع هذا المؤتمر باديء ذي بدء لأنه كان يعمل على تزكية فؤاد الأول خليفة على المسلمين. وكان يعتقد أن الأمر لا يستلزم عقد مؤتمرات أو ما يماثلها ، وأن تنصيب فؤاد خليفة لن يجد أدنى صعوبة ، وما دامت إنجلترا راغبة في ذلك. فإنها ستحمل غيرها من الدول على الاعتراف بالأمر الواقع. ولذا فإن أول اجتماع عقد للتشاور في هذا الموضوع كان بدار المندوب السامي البريطاني وفي ليلة القدر من رمضان عام ١٣٤٢ هجرية، وعلى مائدة الإفطار وقد أملى ابو العزائم السيد قصيدة بهذه المناسبة جاء فيها:

أَظْلَمَ أَلْكُونُ بِالضَّلَالِ أَحْفَظْنِي أَفْسَدَ الطَّامِعُونَ كُلَّ مَكَانٍ

عَظَّمُوا الْكُفْرَ فِي لَيَالِي الْقُرْآنِ
أَجْمَعَتْهُمْ بِالثَّوْرِ وَالتَّيَّانِ
دِينِكَ الْحَقَّ بِأَنْمِحَا الطُّغْيَانِ
فَاسْتَبَاؤُوا الضَّلَالَ مِنْ شَيْطَانِ

زَارَ أَهْلُ الضَّلَالِ مَنْ لَمْ يُزَارُوا
أَيْقِظِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَوْمَةِ الْجَهْلِ
وَأَنْصُرِ السُّنَّةَ الْعَلِيَّةَ وَأَرْفَعْ
قَدْ أَضَلَّ الْإِفْرِجُ قَوْمًا لِنَامًا

(١) الأحمدى الظواهري ١٨٧٨م-١٩٤٤م ، اقترح انفضاض مؤتمر الخلافة الإسلامية على غير قرار، لأن الظواهري كان يعمل على تزكية فؤاد الأول خليفة على المسلمين ، وقويت صلته بملك مصر فعينه شيخا للأزهر ١٩٢٩م واستقال ١٩٣٥م ، وحول الأزهر عن رسالته إلى جامعة على نظام حديث.

(٢)- نشرت مجلة "الكاتب" بأعدادها الصادرة اعتبارا من سبتمبر ١٩٧٠م محاضر جلسات مؤتمر الأزهر للخلافة. وقد جاء في هذه الجلسات أن زعماء الهند وبعض البلاد الإسلامية كانوا متشككين في نوايا المؤتمر لأنه إنما كان يعمل على تنصيب فؤاد الأول بإيعاز من الإنجليز، وهو ما كان ترفضه الغالبية.

الملك فؤاد يحارب جماعة الخلافة الإسلامية:

بعد تأسيس جماعة الخلافة الإسلامية برئاسة الإمام أبي العزائم عليه السلام، صار النضال قويا بينه وبين الملك فؤاد، فالملك فؤاد كان يطمع أن يكون خليفة المسلمين، فجند جنوده لتحقيق هذه الرغبة ، وأنشأ جماعة أخرى للخلافة الإسلامية. وبذلك أصبحت هناك هيتان للخلافة الإسلامية إحداهما: حكومية يراها الملك فؤاد، والأخرى: شعبية برئاسة الإمام أبي العزائم عليه السلام وعندئذ جاهر الإمام عليه السلام بأن مصر دولة محتلة وحكامها قد تربوا في أحضان الأجانب ودانوا بفكرهم ، فهم على آثارهم يهرعون ، وفي مرضاتهم يتنافسون ، وكان طبعيا ألا يكون لهذا البلد في ظل الاستعمار وفي ظل هذه الشرزمة من الحكام أية قيمة رأى وجود ، وبذلك كان ينادي الأمام أبو العزائم عليه السلام: ﴿إِنَّ قَوْمًا فَقَدُوا الْإِسْلَامَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَيُوتِرُهُمْ

وَشُؤْنُهُمُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ لِأَعْجَزَ أَنْ يُفِيضُوهُ عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَنْ يَتَقَدَّمُوا بِدَعْوَةٍ سِوَاهُمْ إِلَيْهِ وَفَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ ۞.

وعندئذ بدأت الحكومة والسراي في محاربة الإمام عليه السلام بشتى الطرق العلنية والسرية فقبض على أعضاء اللجان الفرعية في الأقاليم، وصودرت محاضر الجلسات، واعدمت أعداد من مجلات المدينة المنورة، وفُتشت دار آل العزائم مرارا وتكرارا، واتخذت العداوة بين الإمام أبي العزائم عليه السلام والملك فؤاد مظهر علنيا، ومنع الإمام من السفر لقضاء فريضة الحج في ذات العام .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يتخذ من الأمر عمر طوسون (٩٠) درعا واقيا لجماعة الخلافة الإسلامية:

لم تفت مثل هذه الإجراءات في عضد أعضاء الجماعة ، بل ازدادت قوة ومنعة ، فلقد عرف الإمام أبو العزائم عليه السلام منذ البداية أنه لن يستطيع أن يقف في وجه فؤاد سوى الأمير عمر طوسون ، فقد كان يعمل له ألف حساب ، كما كانت انجلترا نفسها تتحاشى الاصطدام معه ، فاتخذ منه الإمام أبو العزائم عليه السلام درعا واقيا للجماعة من بطش هاتين القوتين في الوقت الذي شرع فيه منذ اللحظة الأولى الاتصال بسائر الأقطار الإسلامية ، فلم يدع بلدا يعرف فيه رجلا إلا وأرسل إليه وراسله، واتصل به ونقل أفكاره إليه، وقد اتحدت معه منذ البداية جماعة الخلافة بالهند وعلى رأسها الزعيم محمد علي وشوكت علي والدكتور أجمل خان، والشيخ كفاية الله رئيس جماعة العلماء بنيودلهي، وكانت الهند تتبنى رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام، من العلم على إبقاء الخلافة الإسلامية في تركيا وتقويتها، وإن لم يكن الإبقاء

(٩٠) عمر طوسون: ١٢٨٩هـ - ١٢٦٣هـ - ١٨٧٢م - ١٩٤٤م

الأعلام ٤٤٨/٥ : أزر الحركة الوطنية المصرية بقلمه وماله ، غير متقيد بتقاليد الأسرة ، وساعد أهل طرابلس الغرب حين أغارت عليهم إيطاليا ١٩١٠م

على أسرة آل عثمان، فإنه يمكن انتخاب خليفة يقيم في إحدى الدول الإسلامية التي لا تخضع للاحتلال أو النفوذ الأجنبي، مع إبعاد التفكير في تنصيب فؤاد الأول ملك مصر خليفة على المسلمين. وأنه إلى أن يتم انتخاب خليفة . فإن خلافة عبد المجيد خان تظل قائمة لأن بيعته ما زالت ملزمة للمسلمين. وهذا ما أرسل به الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى سائر الجماعات في البلاد الإسلامية، وقد وردت إليه الردود ومنها: رسالة الجماعات في البلاد الإسلامية، وقد وردت إليه الردود ومنها: رسالة الأمير فيصل بن عبد العزيز بمكة ورسالة من مشايخ إمارة الخليج العربي وهم: محمد بن عبد اللطيف ، وسليمان سهمان، وعبد الله بن سالم ، ورسالة من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - ومن جمعية الشبان المسلمين بجيفا ومن جزيرة سنغافورة من السيد محمد عقيل بن يحيى - ومن ديوان المحكمة الشرعية بولاية البوسنة بيوغوسلافيا موقع عليه من كل محمد موباغنيك، ومحمد جمال الدين ومحمد القاضي - وكتاب من الشيخ حافظ وهبه وزير المملكة السعودية، وكتاب من السيد أحمد الشريف السنوسي المقيم بالأستانة - ورسالة مطولة من الأمير شكيب أرسلان تتضمن رأيه في انتخاب الخليفة والقطر الذي يقيم فيه واستبعاد أتاتورك - ورسالة من السيد محمد البطاح قاضي عدن - وكتاب من لجنة العمل على إحياء الخلافة بمدينة الكاب بجنوب أفريقيا - ورسالة من رئيس جمعية حزب المرشدين الدينيين في سومطرة - وكتاب من بولونيا من رئيس الجمعية الإسلامية - وكتاب من بولونيا من رئيس الجمعية الإسلامية - ورسالة من الاتحاد الصيني للجمعيات الإسلامية بشنغهاي - ورسائل عديدة من الشيخ كفاية الله والدكتور إقبال ومحمد علي جناح وشوكت علي وأجمل خان والشيخ قرشي بالهند، وكتاب من أندونيسيا بتوقيع سوكارنو وآخرين، وكتاب من حميد الدين إمام اليمن. إلخ.

ويضييق المقام عن إيراد الكثير من الرسائل التي بعث بها الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى الملوك والرؤساء والعلماء وأصحاب الصحف وقادة الفكر في العالم الإسلامي، وسنكتفي بأن نورد بعض فقرات من هذه الرسائل بقدر ما تسمح به صفحات هذا الكتاب، ونحيل الباحث إلى الصحف اليومية التي كانت تصدر في ذلك العصر وخاصة في الفترة من يناير سنة ١٩٢٤م إلى آخر عام ١٩٣٣م، وإلى مجلات السعادة الأبدية والفتاح والمدينة المنورة التي كانت تصدر عن دار آل العزائم بالحنفي.

الصحف تتصدى لجماعة الخلافة الإسلامية:

أثارت الصحف ضجة مفتعلة ضد جماعة الخلافة التي يرأسها الإمام أبو العزائم عليه السلام، وهاجم بعض الكتاب الإمام أبو العزائم عليه السلام، وافتوا نظر الحكومة إلى أن موضوع الخلافة من الظام العام للدولة. فلا يجوز أن يتولى الاتصالات في والعمل له شخص معين، أو جماعه بعينها وحرصوا السلطات على الوقوف ضد جماعة الخلافة من النظام العام للدولة. فلا يجوز أن يتولى الاتصال فيه والعمل له شخص معين، أو جماعة بعينها وحرصوا السلطات على الوقوف ضد جماعة الخلافة. وقد نشرت "جمعية تضامن العلماء بمصر" مقالا بجريدة الأهرام بعددها الصادر في ١٦ أبريل سنة ١٩٢٤م، يتضمن هذا المعنى الذي أشار إليه أحد كبار الكتاب من قبل، تحت عنوان "الدين والخلافة والسياسة"

الأمير عمر طوسون يتصدى للصحف:

بادر الأمير عمر طوسون بالرد على مقال الجمعية، ونشر الرد على الصفحات الأولى بجريدة الأهرام يوم الاثنين ٢١ أبريل سنة ١٩٢٤، وجاء فيه: "أن مسألة الخلافة لا تخص بلدا إسلاميا دون بلد آخر، ولا هيئة رسمية أو غير رسمية، خصوصا وأن جماعة الخلافة بوادي النيل أهابت منذ نشأتها بالحكومة أن تتولى هذا

الموضوع الخطير على الصعيد الرسمي، ولكنها تقاعست الحاجة في نفسها لتعمل لها بطرق أخرى، ولم تول الموضوع أي اهتمام، إلا عندما وجدت أن الدعوة على الصعيد الأهلي ستؤثر في اتجاهاتها الخاصة. ومن ثم فإن كل مسلم يعتبر واقفا على ثغر من ثغور الإسلام ومسئول عنه" (٩١)

رد الأمير عمر طوسون يضع جميع الهيئات الرسمية في حرج:

إزاء هذا الحرج الذي وضع فيه الأمير جميع الهيئات الرسمية المسؤولة بعثت جمعية تضامن العلماء مندوبها إلى الأمير للاعتذار، وأرسلت ردا غامضا بعض الشيء إلى جريدة النظام بعددها ١٣٢٥، الصادر بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٢٤م تحت عنوان "مسألة الخلافة ورأي سمو الأمير طوسون"

"قرأت بأهرام يوم الاثنين ٢١ أبريل سنة ١٩٢٤م، خطابا موجهها إلى جمعية تضامن العلماء على لسان صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون، متضمنا رأي سموه حول مقالنا الذي نشرناه بأهرام الأربعاء ١٦ أبريل سنة ١٩٢٤م بعنوان "الدين والسياسة والخلافة" وإذا كان سموه يرى أن الخلافة، كما قال، لا تخص بلدا إسلاميا دون بلد، ولا هيئة رسمية أو غير رسمية، فإني مع سموه أرى هذا الرأي، وهو لا يتنافى مع العرف والمألوف من أن الرسميات في الأمم والحكومات، قد اعتبرها من النظام العام، حواجز وفوارق بين الفوضى وحرمة القانون لهذه الحكومة في عقد مؤتمر الخلافة، أما أن مشيخة الأزهر أصدرت قرارها في شأن الخلافة منفردة عن العالم الإسلامي فلها في ذلك شفيع من أنواع ثلاث:

أولا: ما وجهه الناس على سكوتها من العتب والنقد.

ثانيا: ما ورد على المشيخة من العالم الإسلامي طلبا للاستفتاء.

ثالثا: ما جرت عليه السنة في جميع المناسبات...

(٩١) انظر المقال بالصحفة الأولى بجريدة الأهرام الصادرة في ٢١ أبريل ١٩٢٤م.

الزعيم أحمد السنوسي بطل طرابلس يؤيد جماعة الخلافة الإسلامية:

من خطاب أرسله للإمام أبي العزائم عليه السلام ، السيد أحمد الشريف السنوسي يطل طرابلس يقول مشيراً إلى موضوع الخلافة وما يتردد بشأنها: "... هذا وأن تفضلتم بالسؤال عنا فإننا والحمد لله بمدد رسول الله وبركة أستاذنا على أحسن حال وأهناً بال.. نرجو منكم الدعوات الصالحات، لا سيما في أوقات الخلوات، بإصلاح حالنا وتحقيق آمالنا في طاعة الله ورسوله...

"... والله سبحانه وتعالى يأتينا بإمام عادل، يعلي به كلمة ديننا ويحيي به شريعة نبينا صلوات الله عليه وآله وسلم، فنكون له ساعدا وعضدا بحول الله وقوته، والله ليس لي قصد إلا هذا .. أما مسألة الخلافة فهي مسألة يطول شرحها، فإذا حصل الاجتماع إن شاء الله تحقق لكم كل الأحوال(٩٢)

السيد أحمد توفيق يتحد مع الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام ويترأس لجنة الخلافة بتونس ١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ:

هذه بعض فقرات من رسالة الإمام أبي العزائم عليه السلام إلى السيد أحمد توفيق المدني رئيس لجنة الخلافة بتونس، بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤م أي بعد تكوين اللجنة التنفيذية العليا:

".. هذا وإن حادث الخلافة أوجب علينا أن نعمل تداركاً لرفع الخطر المحدق بنا، وأنتم والحمد لله أئمة العالم الإسلامي في خدمة هذا المنصب الجليل ، الذي يحتل مقام النبوة بيننا، كيف لا وبلاد المغرب من تونس إلى الأندلس كانت مشرق شمس العلوم والمعارف زاهية عامرة ، حتى التفت المسلمون عن العمل بكتاب الله وخالفوا وصايا رسول الله، فحل بهم ما لا يخفى عليكم. وإني والحمد لله، مع كبر سني،

(٩٢) جريدة الأفكار العدد رقم ١٨٦١٢ الصادر في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤م وجريدة "الأخبار" العدد رقم

١٤٧٢ الصادر في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤م، وقد نشرت كلتاها المقال كاملاً.

أوجب علي هذا الحادث العمل، فدعوت لعمل لجان تحضيرية، لتكوين مؤتمر إسلامي تكون له الكلمة العليا في شأن الخلافة وبينما نحن في سيرنا نحو الغاية المنشودة، إذا بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٣ مارس سنة ١٩٢٤م وافتنا بما عجزنا عن شكر الله عليه، ألا وهو اشتراككم معنا فيما نحن بصدد من مسألة الخلافة واتحادنا جميعا في الغاية المطلوبة واهتمامكم بهذا الشأن العظيم الذي أدخل علينا السرور وشرح الصدور وطمأن القلوب، سيما وقد منَّ الله علينا بأهل الإخلاص والعلم والغيرة للدين والوطن: الأستاذ عبد العزيز الثعالبي، وعثمان الكعاك، وزين العابدين السنوسي، والطاهر خضر ومحمد بن الحسين.."

تقويته ﷺ لعزيمة المجاهد عبد القادر المظفر لسرعة قد مؤتمر الخلافة ١٩٢٤م- ١٣٤٢هـ:

كان الإمام يقوي من عزائم المجاهدين، فيقول في رسالته للمجاهد عبد القادر المظفر وكان وقتذاك بمكة المكرمة:

"وإني يا أخي أحبيك في الله، وأحب أن تكون عاملا من عمال الله تعالى بالإخلاص لذاته، وحادث الخلافة محتاج إلى استفتاء القرآن والسنة، ومشورة أهل العلم والحكمة، والتحفظ من أعداء الله الذي يكيّدون للدين والاجتمع.

"وأنت الرجل البصير الذي أكسبته التجارب ما لم تكسب غيره، وقد تلقيت علم الأوائل والأواخر.. وجالستهم بمطالعة أخبارهم، وإني أسأل الله أن يجعلك نجما يضيء بك من يحبك، وقد سألت قلبي وناجيته فيما كنا نتكلم فيه من إصلاح حال المسلمين، ويقظة قلوبهم من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، خصوصا وأن الأعداء يكيّدون لنا بما آتاهم الله من زينة وأموال وعدد وعدة، فأفتاني قلبي بقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَقَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ﴾ يوسف: ٥٢. وإني لا أزال على ما تعلمونه من أن واجب الوقت يقضي المسارعة إلى تكوين مؤتمر

يكون له القول الفصل في مسألة الخلافة، حتى يكون الخليفة مؤيدا بعناية الله وروحانية رسول الله وبالمجتمع الإسلامي كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ٦٤. وأنت تعلم يا أخي محبتي الخاصة لآل بيت النبوة نفعا الله بهم.."(١)

(١) مجلة المدينة المنورة. عدد مايو سنة ١٩٢٤

السلطات تمنع اجتماعاته عليه السلام فينسق مع المجاهد الفلسطيني خالد الحسيني
١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ:

كان المجاهد الفلسطيني الكبير خالد الحسيني يعمل في لجان الخلافة مع الإمام أبي العزائم عليه السلام ، رئيسا للجنة الخلافة بالأسكندرية، وتكشف رسالة الإمام التالية عن دقة التنظيم بين القاهرة والأقاليم، وما كانت تتعرض له اجتماعات الإمام أبي العزائم عليه السلام من منع السلطات لانعقادها:

"... ورد خطابكم المؤرخ ١٢ شوال ١٣٤٢هـ . وسررت جدا بما تضمنه، ولكني أرى الاشتغال للجنة العليا الآن، وإرسال أعضائها العاملين إلى الأقاليم لتكوين اللجان الفرعية والسعي في تنظيمها، ونظرا لما دعا الحكومة الآن إلى منع الاجتماعات، وهذا المنع مشدد على الاجتماعات العامة الخاصة بنا".
".. ولمناسبة ما قام به حضرة سكرتير اللجنة العليا من التغيب عندكم وما قام به من الأعمال التي يقتضيها الوقت (نعم) (١). ولكن الظروف تقضي أن تكون على نخط يجمعنا في أمن من المعارضة. ولأن سعادة المجاهد الكبير علي فهمي كامل، أخبرني أن لديه أعمالا هامة جدا يجب أن يتفرغ لها، ولحجر الحكومة هنا على اجتماعاتنا بعد التصريح لنا بما. كما أعلن عنها في الجرائد بمصر. فنحن رعاية لذلك نأمل سرعة إفادتنا: هل الاجتماعات لا تمنع عنكم ؟ وان كانت غير

محظورة، هل يجوز أن يكون علي بك فهمي هو الخطيب ؟ فإذا تيسرت تلك الأغراض يمكنه أن يحضر لديكم.

"على أي لازلت ألفت نظر سيادتكم إلى السعي في نجاح أعمالنا بسرعة، مع رعاية السلامة باستعمال الحكمة، فإننا إنما نعمل لنجاح مقصدنا، لا لنشتغل بما يضر ولا ينفع، وأنت الرجل الخبير المحرب، فثق بنفسك بعد الله تعالى في كل تلك الشئون، فإن ذلك من فخر النجاح وثوابه أوفر قسط، وأعظم حظ.."

(١) يلاحظ أن بين المجاهد خالد الحسيني والمام رموز لم يفصح عنها في خطابه

حجته عليه السلام سليمان القاضي للعمل للخلافة الإسلامية ١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ:

في هذه الفقرات من كتاب له للسيد سليمان القاضي الفاروقي، الذي تعرف عليه بمكة المكرمة في أول حجة له عليه السلام، يقول: "... إن الأعداء (أوروبا وأمريكا)

يجمعهم الطمع وفرقهم الجشع ونحن إنما نسعد بما سعد به سلفنا، ولكن الأعداء

قبحوا في نظر ضعفاء الإيمان أحسن ما يعيد لنا المجد، ثم عملوا على تمزيق الجسد

الإسلامي حتى خرج بعض المسلمين على بعض. وانتشر هذا الداء، حتى أصبح

المسلمون فرقا. وقد آن الأوان لجمع الكلمة واتحاد الأمة وتحديد ما كان عليه

السلف الصالح، لتعود للأمة صحتها الروحانية، فإن العمل للخلافة يقتضي أن نعيد

للأمة ما به تكون خلافة بمعناها الحقيقي.."

الإمام المجدد عليه السلام يحذر علماء البوسنة والهرسك من مؤتمر الأزهر للخلافة المؤيد

من الملك فؤاد الأول:

لم يترك الإمام أبو العزائم عليه السلام بلدا أو قطرا فيه مسلمون، إلا واتصل بهم مبينا

أهمية مقام الخلافة الإسلامية بالنسبة للإسلام والمسلمين، وقد أرسل كتابا إلى

علماء البوسنة والهرسك يبين لهم فيه حقيقة جماعة الخلافة بوادي النيل التي يرأسها،

والفرق بينها وبين مؤتمر الأزهر للخلافة، وهو المؤيد من حكومة فؤاد الأول..

الإمام المجدد أبو الغزائم عليه السلام يعلن الملك عبد العزيز آل سعود بانعقاد المؤتمر الإسلامي العام بمكة المكرمة ١٩٢٥م - ١٣٤٢هـ:

في خطابه هذا إلى الملك عبد العزيز آل سعود، يشير إلى موضوع الخلافة، وإلى أعمال فؤاد لترشيح نفسه خليفة على المسلمين فيقول في بعض فقرات الخطاب "... ولولا وجود المنافقين بيننا لما أصبح في الشرق مستعمر، هذا وإني منذ ألغى الترك الخلافة وخلعوا الخليفة، وأنا والحمد لله أعمل لتقوية روابط الإخاء بين الأمم الإسلامية، مع ما ألاقه من حرب المنافقين، وكنت أحب أن يكون المؤتمر الإسلامي في أنقرة، حتى أظهركم الله وأكرم بكم مكة وأعزها وطهرها من أهل الإلحاد والظلم في الحرم..

"... وقد كان بعد العلماء والموظفين في مصر يعملون في الخلافة لشخص معين (٩٣) .. حتى أفسدوا على الأمم عقائدهم، فاتحدت بهم جمعية الخلافة بالهند، فأسرعت وبينت لإخواني في الله. شوكت علي، والدكتور أجمل خان، والأستاذ الأنصاري، وكفاية الله وغيرهم، حقيقة الأمر، فرفضوا اتحادهم بعلماء الأزهر، الذين توجهوا إلى الحجاز، فكتبت لأخي الشيخ عبد الله بن سالم كبير علماء نجد، فشرح الله صدره وكتب لي بما طمأن قلبي، وإني الآن مع أهل الإيمان القوي من المصريين والهنود وأنصار الحق بنجد بل وجميع الأمم الإسلامية الذين حفظ الله قلوبهم من ظلمة البدع، وحفظ أبدانهم من موالاة الأعداء، يرون العمل معنا ليكون المؤتمر الإسلامي العام بمكة المكرمة.

(٩٣) جريدة "العلم المصري" بعددها الصادر في ٩ فبراير سنة ١٩٢٥م ومجلة المدينة المنورة. المجلد الخامس.

الملك عبد العزيز آل سعود يخاطب الإمام المجدد أبا العزائم عليه السلام بأن الأمور ستكون وفق ما يرضاه ١٩٢٥م - ١٣٤٣هـ:

قد تلقى الإمام أبو العزائم عليه السلام الرد التالي من الملك عبد العزيز: "من عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود، إلى جناب الأجل المكرم ، فضيلة السيد محمد ماضي أبو العزائم سلمه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام. ثم ورد إلينا كتابكم المؤرخ ١٥ الماضي وأسرتنا أخباركم وما ذكرتم صار عندنا معلوما، خصوصا ما ذكرتم من نصائحكم الثمينة الخالصة جعلناها على الخاطر. وكذلك دفاعكم عن الحق وأهله، هذا أقل ما نؤمله في أمثال فضيلتكم، لازلتم موفقين لكل خير، وإني أحفظ لكم هذا العمل الطيب مع الشكر الخالص ، وسنحفظ لكم عندنا أجمل ذكرى وبحول الله إن الأمور ستكون وفق ما يرضاه كل مخلص لله ورسوله، ونسأل الله تعالى أن ينصر دينه وكتابه ويعلي كلمته ويجعلنا من أنصاره. والأمل ألا تنقطع عنا كتبكم المفيدة والحاوية لهذه المعاني الطيبة، وهذا ما لزم بيانه والسلام.. (٩٤)

جريدة الديلي كرونكل اللندنية تهاجم جماعة الخلافة الإسلامية:

هاجمت جريدة الديلي كرونكل اللندنية، جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل فقالت: "إن الأمير شوكت علي زعيم الهند يكتب لفضيلة محمد ماضي أبو العزائم الزعيم الديني بمصر ورئيس جماعة الخلافة، لأخذ رأيه في سرعة انعقاد المؤتمر وجعل عدد أعضائه يتناسب مع عدد كل أمة وأن يكون المؤتمر بمكة المكرمة، وإذا قبل الزعيم المصري ينتج من قبوله أن يكون الخليفة مسيرا بحسب آراء جمعية الهند التي تعمل ضد الإنجليز"

الأستاذ كامل عثمان يرد مزاعم الصحيفة ١٩٢٥م - ١٣٤٣هـ:

قد انبرى للرد على الصحيفة ومزاعمها الأستاذ كامل عثمان الفندي، المحامي وجاء في رده على مزاعم الصحيفة: "والحقيقة أن الزعيمين متحدان على العمل بأصول الدين، لا يقصدان إلا الخير العام للشرق أجمعه، واعتقادهما أن دول أوروبا المستعمرة لا تجد في نفسها غضاظة من هذا العمل إذا كانت تريد الإصلاح حقا وتعمل له.

"... ونحن لا نترك عملا لدينا لأن غيرنا يتوهم أنه يضره.. ونشر هذه المقالات بالجرائد يزعج النفوس، لأننا في عصر لا نرى فيه للشرق غنى عن الغرب في مبادلة المنافع، ولا للغرب غنى عن الشرق في التعاون على البقاء في معاوضة الخيرات ونيل كل إنسان حقه من الحرية والاستقلال والحياة، في أمن وعافية ورزق يناسبه. وإذا كانت دول الاستعمار تنظر إلى الشرق بعين الطمع، وترى أنهم لا يستحقون المساواة بهم، فإن الشرق لا يجهل قدره ولا ينسى ماضيه. والأولى لدول الاستعمار أن تتدارك الأمر بالإمساك عن التدخل في شئوننا الدينية والاجتماعية..^(٩٥): مخاطبته عليه السلام لأmir نجد سلطان بن عبد الحميد لسرعة عقد مؤتمر الخلافة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بشر العمال المخلصين المجاهدين لإعلاء كلمته وتحديد سنن بنييه بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

(٩٥) جريدة الوطن العدد ٩٠٤٧ الصادر في ٧ مارس سنة ١٩٢٥م وجريدة العلم المصري في ٩ فبراير سنة

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴿النور: ٥٥﴾

ولقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٥٤ وبقوله ﴿ص وَالْه﴾: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَضُرَّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ﴾ (٩٦) والصلاة والسلام على من بعثه الله بالحق بشيرا ونذيرا وآل وورثته وبعد:

فمن خلدتم الفقراء محمد ماضي أبي العزائم لحبيبي وأخي في الله سمو الأمير سلطان بن عبد الحميد أمير الأنصار المجاهدين الله في سبيل الله لإعلاء كلمته وتحديد سنن نبيه ﴿ص وَالْه﴾ أيده الله بروح منه وأعاد به مجد سلفنا الصالح ومحابه البدع المضلة والأهواء المذلة حتى يكون الدين كله لله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعلمون أن أمة نجد هي البقية الباقية على ما كان عليه السلف من الأخذ بعزائم الدين ومن تجريد التوحيد من شوب الشرك الظاهر والخفي ومن كانت هذه وجهة نظرهم جملهم الله تعالى بالرحمة والرافة والمسارة إلى العطف على المجتمع الإسلامي ليكون العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﴿ص وَالْه﴾ وأنتم الآن بين إخوانكم المسلمين وإنا قد أجمعنا مع إخواننا في الهند على تبرير عملكم هذا وقد أجمعنا أن يقوم وفد من إخواننا في الهند لزيارة إخواننا في جاوا وأفغانستان وتركستان وبلاد الترك لتقرير ما أجمعنا عليه وللمقابلة أمير الأنصار الغازي مصطفى باشا كمال رئيس الجمهورية التركية للتكلم معه فيما أجمعنا عليه وبقي عليكم أيها العمال المخلصون

لربنا جل جلاله والعاملين لخير إخواننا المسلمين جميعا المسارعة إلى توالي عقد اللجان للنظر فيما لا بد منه من سرعة إنعقاد المؤتمر إعداد العدة له فإن أمر تعيين مكانه وزمانه متوقفه على عنايتكم بما لا بد منه وإن كنا والحمد لله قررنا فيما سبق أن يكون المؤتمر في أرض حرة مستقلة لا سلطة عليها لأجنبي وقد وسع الله لنا فأصبحت بلاد الترك والأفغان وبنجد وإيران ومكة المكرمة واليمن كلها بلاد مطهرة من الأجانب وأن كاشف وجهة نظرنا أن يكون المؤتمر في بلاد الترك لقربها ومكانة الأمة التركية في قلوبنا ولما آتاهم الله من القوة والرهبة في قلوب الأعداء وقد قررنا بعد أن يقدر الله نجاحنا بتعيين الخليفة الذي يمثل النبي ﷺ وآله ﷺ فينا تكون تلك اللجان دائمة بعنوان لجان الجمعية تسمى جماعة الخلافة بوادي النيل كجمعية الخلافة في الهند يكون عملها القيام بخدمة الدين ونصرة الخلافة ومرسل لكم عدد كذا من قانون جماعة الخلافة بوادي النيل، عدد كذا وصولات والمراد كله أن نرضي الله تعالى بالعمل لوجهه الكريم لنكون ممن أتى عليهم سبحانه بقوله تعالى:

﴿لَا تُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف: ٣٠

مخاطبته ﷺ للملك عبد العزيز آل سعود بشأن الخلافة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بشر عباده المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ النور: ٥٥ والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه الذي أَرْضاه الله في أمته فبشره بقوله تعالى على حبيب الله ومصطفاه

الذي أرضاه الله في أمته فبشره بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ المائدة: ٥٤ وآله وورثته وأنصاره في كل زمان ومكان وبعد:

فمن خلدتم الفقراء محمد ماضي أبو العزائم لولي الله المجدد لسنن رسول الله ﴿ص وآله﴾ والمجاهد في سبيل الله لتكون كلمه الله هي العليا مولاي أمير أنصار الله في هذا الزمان السلطان عبد العزيز آل سعود أیده الله بروح منه وأید به الحق وجمع به المسلمين على الحق.

أكتب لمولانا وأنا أحمد الله تعالى إليكم على ما أظهره سبحانه من نصره الحق ومحو الباطل وما من به علينا جميعا من أغاثتنا بالبقية الباقية لله ورسوله

﴿ص وآله﴾ العاملة بما كان عليه سلفنا الصالح من تجريد التوحيد من شوب الشرك الخفي ومن الغيرة لله ولكتابه ولسوله ﴿ص وآله﴾ ومن الجهاد بالنفس والمال ليكون الدين كله لله : أسأله تعالى أن يعيد بمولاي وبأنصار الله معه ما كان لسلفنا من المجد والتمكين في الأرض بالحق إنه مجيب الدعاء.

أكتب لمولاي أعزه الله وإن كنت لم أره فقد سمعت خبره.....

تحذيره للزعيم الفلسطيني خالد بك الدردار من دسائس الصهيونية وحته إياه للعمل للخلافه ١٩٢٥-١٣٤٣هـ

في هذه الرسالة بتاريخ ١٥ شعبان عام ١٣٤٣هـ والتي بعث بها إلى خالد بك الدردار من زعماء عرب فلسطين، يحذر الإمام أبو العزائم عليه السلام من دسائس الاستعمار الصهيوني فيقول:

"... كنت أتمنى أن أنال السبق في التعف بكم، ولكن همتكم العالية أبت إلا أن تسبق كل فضل. تناولت اليوم رسالة الأخ محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى..

".. وإني يا أخي أرجوكم أن تحافظوا على ثغركم الذي أقامكم الله عليه، وأن تضحوا بكل مرتخص وغال لإنقاذ الوطن العزيز من أيدي الصهيونيين، وتطهروا الحرم المقدس منهم، وهو حق لأجدادنا، وقيامًا بالواجب علينا لأنفسنا، وإكراما لخلفنا الذين يأتون من بعدنا حتى نحفظ لخلفنا ما حفظه لنا أجدادنا.

".. أخي وحبيبي، لا يخفيكم البلاء بالصهيونيين والشدة من المحتلين، من المحافظة على هذا الثغر، والعمل لخير المجتمع الإسلامي والخلافة العظمى، قال عليه وآله الصلاة والسلام: "كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ فَإِذَا تَهَاوَنَ أَخُوكَ فَاشْدُدْ أَنْتَ لِئَلَّا يَدْخُلَ الْعَدُوُّ مِنْ قِبَلِكَ".

"ومطلب الخلافة واسطة هذا العقد والسبب في اجتماعه، والعامل المخلص لا تمنعه أحداث قومه وشدائدهم من العمل للأمة الإسلامية جمعاء".

علماء البوسنة والمهرسك يؤيدون الإمام أبا العزائم عليه السلام رئيس جماعة الخلافة
بوادي النيل ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ

عند ورود رد علماء البوسنة والمهرسك اجتمعت اللجنة التنفيذية العليا في يوم الجمعة الموافق الثالث من المحرم سنة ١٣٤٤ هجرية - ٢٤ يوليو ١٩٢٥ ميلادية وترجم الخطاب: وهو موقع باسم محمد أفندي موياجيش رئيس قضاة بوسنة سراي، فكان نصه:

"إني تشرفت بزيارة رئيس علماء البوسنة والمهرسك، حضرة صاحب الفضيلة الحاج محمد جمال الدين أفندي، فناولني رسالة وردت له من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر المحترم الشيخ الإمام محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام، وقدم لي

قانون جماعة الخلافة بوادي النيل، فتلوت الرسالة وفهمت معناها، فشكرت الله تعالى، على أن أظهر في المسلمين مثل هذا السيد، الذي كشف للمسلمين حقيقة الخلافة العظمى، بعد أن كنا لا نعلم أن في مصر رجالا يعملون للخلافة إلا مؤتمر الأزهر (١) المؤيد بالحكومة... أما تلك الجمعية رئاسة حضرة صاحب الفضيلة السيد الإمام محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام فإنها مؤيدة بالحق... فوجود مثل هذا السيد ومن معه أنتج خيرا كثيرا في المجتمع الإسلامي، لأنه أيقظنا بما بينه من الحقائق الشرعية، وهو ما نحن عليه. فنحن نؤيد هذا الإمام ونتحد معه، وقد سرت تلك الروح المؤيدة بروح القدس في قلوب المسلمين كالحياة في الأجسام. فسأل الله تعالى أن يؤيد فضيلة السيد الإمام أبي العزائم عليه السلام حتى تعم آراؤه جميع المجتمع الإسلامي

وقد نشر محضر هذه الجلسة بصحف الأخبار والجمهور والنظام في اليوم التالي لتاريخ انعقادها، كما نشرته مجلة المدينة المنورة.

(١) يلاحظ أن جميع من راسلوا الإمام أبا العزائم عليه السلام من أنحاء العالم الإسلامي ممن ذكرنا أسماءهم كانوا يظنون أن مؤتمر القاهرة الرسمي للخلافة كان متحدا مع الإمام أبي العزائم عليه السلام. وفي هذا الخطاب يشير علماء البوسنة والهرسك بيوغوسلافيا أنهم اكتشفوا حقيقة المؤتمر الرسمي للقاهرة، فعلموا أن جماعة الخلافة الإسلامية برياسة الإمام أبي العزائم عليه السلام هي التي تسير في الاتجاه الصحيح الذي يرضي الله ورسوله ﴿ص وآله﴾ وجميع المسلمين.

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يحبط مساعي الوفد الهندي المزيّف ويكشف
ألاعيبه للملك عبد العزيز آل سعود:

لم يترك الاستعمار البريطاني وسيلة لتفرقة إجماع البلاد الإسلامية لعقد مؤتمر الخلافة بمكة. ومع الدسائس التي يحكيها ضد الإمام أبي العزائم عليه السلام، ولجنة الخلافة في

مصر، عمل على إيجاد الفرقة في الهند، فكون وفدا مضادا لجمعية الخلافة بالهند،
والتي رأسها شوكت علي وأجل خان وغيرهم. ليعمل هذا الوفد في اتجاه مضاد
لتحالف مصر- الهند. وحضر الوفد إلى مصر ليتحد بالمؤتمر الذي أنشأه فؤاد
الأول، فأسرع الإمام أبو العزائم عليه السلام وسبق إلى استقبالهم قبل اتصالهم بأعضاء
المؤتمر، وأوضح لهم حقيقة الموقف وكتب الإمام أبو العزائم عليه السلام عن ذلك إلى
الملك عبد العزيز آل سعود يقول:

".. أيها المجاهد في سبيل الله، إن المنافقين يحبون العاجلة ويدررون وراءهم يوما
ثقيلا، لا يخلو منهم زمان ولا مكان، وأن أنصار الحق هم الأكثر وإن قلوا عددا،
الأقوياء وإن ضعفوا مددا، لأن الله وعدهم النصر قال سبحانه:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم: ٤٧.

"وردت إلى هذا الأسبوع برقية مطولة من الإخوان في الهند، يبينون سوء نية الوفد
الهندي المزيف، ومع أي والحمد لله، أكره نفسي إن مالت إلى تفرقة المسلمين في
وقت إحاطة العدو بنا. كما يعلم الإمام، فكيف أحب غيري إذا عمل هذا العمل؟.
"وصلوا إلى مصر فنشروا ما ظنوا أن يفسدوا به العقائد ويضللوا به الناس، ولكني
أسرعت إليهم ونشرت للجان جماعة الخلافة بوادي النيل وغيرها حقيقتهم،
وأعلنت بالصحف اليومية ما ألفت به نظر الأمة إلى سوء قصدهم. وكان هذا
كافيا لإحباط مساعيهم وانكشفت ألاعيبهم فظهروا على حقيقتهم أعوانا
للمستعمر..."

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يزعم الاستعمار بدقة تنسيقه مع جمعية الخلافة الإسلامية بالهند :

من مجموعة الخطابات التي بودلت بينه وبين زعماء جمعية الخلافة بالهند وهو ما أزعج الإنجليز وتناولته الصحف البريطانية بالتعليق، وأهمها صحيفتي التايمز والديلي كرونكل. يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام في أحد هذه الخطابات.

".. ورد لي خطابكم، فشكرت الله تعالى ودعوت لكم بخير.. " وأبين لكم ما تقتضيه الشريعة المطهرة في هذا الحادث، ملاحظا فيه الحكم الوجودي.

" تعلمون أن مؤتمر الحكومة، يعمل لتكوين الخلافة في مصر لمن تعرفونه (٩٧)، وهذا أمر ضار جدا بالدين والدنيا، لأن الخليفة هو المثل الأعلى لرسول الله ﷺ و آلِهِ ﷺ، فيجب شرعا أن يكون في بلد مستقل تحوطه قوة المسلمين لإقامة حدود الله. وحفظا لثغوره، ودفع المستغلين وقهر دول الاستعمار، ومصر الآن محتلة بالإنجليز، لا فرق بينها وبين الهند في الحقيقة إلا في الاسم. ولكن بعض الرسميين كعلماء الحجاز وعلماء السودان، الذي بايعوا حسين بن علي بالخلافة وكعلماء بني غازي الذي خطبوا ودعوا لملك إيطاليا على المنير في خطبة الجمع.

" والذي يتعين علينا الآن، بقدر ما تقتضيه الشريعة في هذا الشأن، وبه صلاح دينا وديننا وآخرتنا إن شاء الله هو:

أولا: أن نبذل ما في وسعنا من العمل لهذا المنصب الجليل وللحرمين الشريفين وللشئون الإسلامية العامة والخاصة، حتى تخرج من السؤال يوم القيامة المحقق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ النساء: أعاذني الله وإياكم وإخواننا المؤمنين، لأننا إذا عملنا في هذا السبيل وقد علينا الموت متنا عمالا لله وأنصارا لدينه فيحفظنا الله من وعيد هذه الآية.

ثانيا: إن المسلمين أنما أصيبوا بتسليط الأعداء عليهم، لأنهم أهملوا حق هذا المنصب النبوي ، فتفروقا شيعا، وتمكن منهم العو. والواجب علينا يا أخي أعزك الله وجزاك الخير، أن نهتم بالتعارف وجمع كلمة المسلمين، ويقظة قلوبهم للعمل لخيري الدنيا والآخرة، لننال العزة بالله، التي بشرنا بها في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨.

ثالثا: إن مكة في أرض لا مطمع بها لعدو، وهي الحرم الأمين، وفيها بيت الله وكعبتنا في الصلاة، ربها تزلزلات الرحمات، وفيها تشعر القلوب بمواجهة علام الغيوب، لأنه نسب البيت إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران: ٩٧. فالواجب علينا أن نجعل الحجاز حرما آمنا محفوظا من تسلط الظالمين وسلطة الكافرين، ليكون ملجأ المسلمين في مشوراتهم، وفي النظر في شئونهم الدينية والدنيوية، فيكون الحجاز بلد حرا مقدسا، مطهرا من نجاسات الأطماع، ومن دنس الأهواء، يختاره المسلمون رجالا يديرون أعماله، حتى يكون مشرق أنوار العلوم الدينية ومحل العبادة والإخلاص. ويقدم المسلمون للقائمين بإدارة شئون الحجاز من أوقاتهم وتبرعاتهم، كل مايلزم لهم، كما كان في عهد أمير المؤمنين عمر والخلفاء من بعده.

رابعاً: استحسن أن يقوم المسلمون بإرسال وفود إلى البلاد النائية لبيان تلك الحقائق وترسل الرسائل لجميع المسلمين للبيان والدعوة تسهيلاً لتشكيل المؤتمر بمكة، بعد أن يحو الله علينا بن حسين كما محاً أباه.

خامساً: يلزم سرعة تشكيل المؤتمر، ولو بمنتخبين من بعض البلاد الإسلامية، ليمهدوا السبيل لتلك الأعمال الهامة، ويكون صوته مسموعاً عند جميع الأمم الإسلامية وغيرها، لأن العالم يتأثر بالحقائق العملية، أكبر من تأثره بالبيانات القولية. "وهنا أرجو أن تخبروا المجلس الوطني الكبير بأنقره، كي يشترك معنا في هذا العمل الديني، ولو بإرسال ممثلين عن الجمهورية، نظراً لظروفهم الحاضرة التي فيها العذر شرعاً. والواجب علينا أن نعمل بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥ فتحفظ لنا تلك الدولة المجيدة (٩٨) التي هي الآن البقية الباقية لنا. وإن نظر الترك إلى بعض الأمم بعين البغض فإن ذلك من تأثير دعايات الأجانب وسعائاتهم، والواجب على المسلمين المسارعة في إصلاح ذات البين ليكونوا أمة واحداً..

"هذا وإني أرجوكم أن تعتقدوا أن كل الموظفين في البلاد المحتلة. إما أن يكونوا أعماهم الحظ والهوى، وإما أن يكونوا يدارون مداراة لا تليق شرعاً لضعف إيمانهم.."

(٩٧) إشارة إلى تركيا الحديثة. وانظر تجديد التفكير الديني للفيلسوف محمد إقبال.

مخاطبته عليه السلام لقطب من أقطاب الإسلام بالهند السيد محمد بشير الدين بشأن
الخلافة ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ

في ١٢ جمادى الآخرة من عام ١٣٤٤ يخاطب قطبا من أقطاب الإسلام بالهند السيد محمد بشير الدين، وكان على وشك القيام برحلة إلى أوروبا وأميركا فيقول: "أخي إن خلع الترك للخليفة وإلغاء الخلافة حدث خطير أوجب على كل مسلم العمل من أجل إقامة الخليفة وتأييد الخلافة.. وإني أعلم. قدرك في المجتمع الهندي وفي أكثر المجتمعات بأوروبا وأمريكا، فاجعل ما آتاك الله من النعمة معينا لك على ما يحبه الله ورسوله. وإنا قد شكلنا جماعة الخلافة بوادي النيل، واتحد معنا إخواننا جمعية الخلافة بالهند ونجد وجاوا والمغرب وغيرهم.. وأرجو أن تفيدوني عن رأيكم في هذا الشأن.."

رده عليه السلام على رسالة الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن بشأن الخلافة الإسلامية
١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ:

نقتطف من رسالة له للإمام يحيى حميد الدين ردا على ما كتبه إليه فنورد هذه الفقرات والرسالة بتاريخ ٢١ رجب هـ ١٣٤٤:

"... تشرفت اليوم بكتابكم، فنشرته بمجلة المدينة المنورة وبعثت بصور منه إلى اللجان الفرعية في أقاليم مصر، وإلى الهند وجاوا والسودان وجميع الأقطار الإسلامية.."

"وقد وردت إليّ رسالة من السلطان عبد العزيز آل سعود ردا على رسالتي إليه، فسررت بها وعلمت أن الله تعالى أراد أن يعيد إلى العالم النور المحمدي.."

"إن مسألة الخلافة، بعد تقوية الروابط، هي الشغل الشاغل لقلبي لأنها وظيفة النبوة، وهي القوة لدفع الظلمة والغاصبين وإقامة دول الظلم من تفرقة الأمم الإسلامية بإعانة الخوارج."

"..وكم نصحت لحسين بن علي قبل الحرب الأوربية، وأنذرته عاقبة الأمر، فأبت نفسه إلا موالاة أعداء الله ونصرتهم، والله لا يهدي كيد الخائنين.."

(١) يحيى حميد الدين: ١٢٨٦هـ - ١٣٦٧هـ ، ١٨٦٩م - ١٩٤٨م إمام اليمن، حارب الأتراك ١٣٢٦هـ وعُزل الوالي أحمد فيض باشا وعُين حسن تحسين باشا وعُزل ١٣٢٨هـ وعُين محمد علي باشا وتم جلاء الترك ١٣٣٦هـ واغتيل قرارات اللجنة العمومية لجماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ:

جماعة الخلافة الإسلامية

بوادي النيل

قرارات اللجنة التحضيرية العليا (اللجنة العمومية) لجماعة الخلافة بوادي النيل اجتمعت اللجنة العمومية لجماعة الخلافة بوادي النيل رآسة حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد محمد ماضي أبو العزائم ليلة الأربعاء ٢٧ رجب سنة ١٣٤٤هـ. بمرکزها بالحنفي (مصر) وبعد تلاوة محضر اللجنة التنفيذية العليا السابق وإقراره بالإجماع وتلاوة الرسائل الواردة من الخارج سيما رسالة عظمة سلطان نجد وملك الحجاز ورسالة الإمام يحيى حميد الدين لفضيلة رئيس جماعة الخلافة وبعد المناقشات وبعد المناقشات تقرر الآتي:

- ١- عدم صلاحية مصر لانعقاد المؤتمر للخلافة بما للاعتبارات التي بينها سماحة السيد محمد رئيس جماعة الخلافة بوادي النيل في قرارات اللجنة التنفيذية ومقالات اللجنة التنفيذية ومقالاته المنشورة في الصحف وأقره عليها العالم الإسلامي بأسره.
- ٢- وجوب انعقاد المؤتمر العام للخلافة بمكة المكرمة لأنها خالية من النفوذ الأجنبي فإن وجدت موانع فاللجنة لا تعمد بلدا إسلاميا تُجمع عليه الأمم الإسلامية كأنقرة أو الآستانة أوغيرهما من عواصم الممالك الإسلامية الحرة

- ٣- تقرر قيام وفد عن اللجنة التحضيرية العليا مكون من ثلاثة أشخاص لتقديم أعمال اللجنة وليكونوا مع باقي الوفود بمكة تمهيدا للمؤتمر العام للخلافة وترك اختيار الوقت وتعيين الأشخاص لحضرة صاحب الفضيلة رئيس جماعة الخلافة.
- ٤- تقرر أن تكلف اللجنة التنفيذية العليا لعمل اللازم لتسهيل سفر الوفد.
- ٥- تقرر شكر الإمام عبد العزيز بن سعود ملك الحجاز وسلطان نجد والإمام يحيى وأهل جاوا على همتهم وارتباطهم قلبا وقالبا بجماعة الخلافة بوادي النيل.
- ٦- تنكر اللجنة التحضيرية العليا كل عمل يصدر عن هيئة أخرى تخالف رأيها ومبدأها أو تدعي النيابة عنها فإن الخلافة حق عام لكل مسلم.
- ٧- اللجنة العامة المكونة من جميع اللجان تقدم جليل شكرها لحضرة صاحب السماحة السيد محمد ماضي أبي العزائم على ما قام ويقوم به فضيلته من الأعمال الهامة للإسلام والمسلمين وتكرر إعادة الثقة التامة بسماحته وتساءل الله أن يطيل حياته وحياة العاملين معه ليعود للإسلام مجده، وانتهت الجلسة حيث كانت الساعة الواحدة والنصف صباحا

إمضاءات حضرات أصحاب العزة والفضيلة والرفعة من الأعضاء العاملين
كامل عثمان، أحمد السبكي، حسن محمد القليني، محمود ماضي، مفتاح زيدان،
عبد الحليم خفاجي، أمين إبراهيم الأزهري، علي عبد الرحمن الحسيني، إبراهيم عبد الواحد، إبراهيم شعث، سليمان بكيش، محمد قناوي، إبراهيم الخطيب، محمد أبو الريش، علي عبد المنعم، أحمد عبد النبي، مراد شحاته، محمود محمد أبو ريه، عبد المؤمن سلام، عبد الحكيم الخولي، السيد محمد حماد، حسين محمد عبد الله، محمود السيد مدكور، محمود السيد عبد الله، حسن البصري، محمد محمد صالح، محمود عبد الموجود، محمود خلف طبانة، محمد شحاته الهنداوي، محمد حسين الخيري، أحمد سعد العقاد، محي الدين سلام، سالم الريدي، عبد الله محمد عبد الخالق، عبد

الحي عبد الكريم، علي علي شر كس، أحمد مصطفى ، عبد الغفور عبد الرحيم ،
أحمد ماضي ، محمدم الحسن ماضي، أحمد زعويل، محمد حبيب، أحمد علي ، عبد
الخالق حسن، إبراهيم النقاش ، يوسف مرعي ، نبيه محمود سلامة، مأمون عزام،
أحمد عبده، أحمد رمضان، علي أحمد ربيع

رسالته ﷺ لرئيس الجمعية الوطنية الإسلامية ببيروت بشأن الخلافة ١٩٢٦م

- ١٣٤٤هـ:

في أول شعبان ١٣٤٤ بعث رسالة إلى رئيس الجمعية الوطنية الإسلامية ببيروت
جاء فيها:

".. لقد أخذ الغرب في إبادة الشرقيين وخصوصا المسلمين، بتسليط بعضهم على
بعض ، فلما رأوا حياة جديدة تدب في الشرق، أجمعوا أمرهم على أن ينقضوا
عليه، ونحن والحمد لله قد أيقظنا ظلمهم وكيدهم، وأول أمة قامت من رقدة الغفلة
ونومة الجهالة، هي الأمة التركية، فإن رجالها خلعوا الخليفة وألغوا الخلافة، لا بغضا
في الخلافة وإنما فتحا جديدا للإخاء الإسلامي، وعندى أنهم لم يلغوا الخلافة ولم
يخلعوا الخليفة، ولكنهم كشفوا الستار عن الحقيقة، وهو أن الخلافة بمعناها لم يكن
يمثلها أحد .. وإنا نأمل أن يتنبه المسلمون فيختارون خليفة تتوفر فيه الشروط
الشرعية من القوة والعصبية والغيرة للحق والشجاعة والرحمة والعدل، ليعود
للمسلمين ما كان لسلفهم من التمكين في الأرض بالحق. وتقرر لدينا أيضا أن يقوم
وفد منا إلى مكة المكرمة للعمل مع إخواننا رجال الهند في هذا الشأن..

حثه ﷺ لزعماء أندونيسيا للعمل من أجل منصب الخلافة الإسلامية ١٩٢٦م

- ١٣٤٤هـ:

أرسل إلى أندونيسيا كتابا إضافيا بتاريخ ١٣ شعبان ١٣٤٤ هجرية يخاطب كلا من الزعماء محمد فخر الدين، وعمر سعيد، وشكر دامتو، وأحمد هاني ، يحثهم فيه على التكاتف والترابط وإحياء الأخوة الإسلامية، والعمل من أجل منصب الخلافة. ويدعو إلى مقاومة المستعمرين مقاومة سلبية لأن معهم الحديد والنار ، ولأن المسلمين قد استكانوا لهم حتى تمكنوا منهم.

كشفه عليه السلام عن كيد الأعداء الصهاينة للزعيم عبد القادر المظفر ١٩٢٦م- ١٣٤٤هـ"

جاء في رسالة في ذلك التاريخ المذكور موجهة إلى الزعيم عبد القادر المظفر يكشف عن كيد الأعداء، وإظهارهم الباطل في صورة الحق، ويشير إلى أهمية الخلافة قبل إلغائها، وإلى مشكلة فلسطين قبل أن يصبح لليهود فيها دولة، ويتنبأ بما يبنيته الاستعمار لها. فكان كأنما يعاين المستقبل بعين بصيرته، لأن ما جاء بالرسالة خصوصا في فلسطين قد تحقق كله.

مخاطبته عليه السلام للملك نظام الملك للعمل من أجل منصب الخلافة الإسلامية ١٩٢٦ - ١٣٤٤هـ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أقام لإعلاء كلمته وتحديد سنن نبيه ص وآله خيرة أحابه أيدهم سبحانه بروح منه وأعزهم بعنايته وتوفيقه وأذل أعداءهم بتمكين أحابه في الأرض بالحق والصلاة والسلام على من أرسله الله لإقامة الحجة وتوضيح المحجة فمحا بنوره المشرق ظلمات الشرك وقد جيش الظلم وأذل تيجان البغي والعدوان ولا تزال تلك المعجزة الباهرة ظاهرة على أدي من اجتباهم الله تعالى لجمع كلمة المسلمين ومحو البدع المضلة وقهر المتغلبة من المستعمرين وبعد:

فمن خلدتم الفقراء محمد ماضي أبي العزائم إلى القائم للحق بالحق المجدد لنهيج
السلف الصالح سمو الملك المعظم نظام الملك أعلى الله به كلمته وجمع به الأمة
وكشف به الغمة. أيها الملك المؤيد بروحانية رسول الله ﴿ص وآله﴾ إني وإن لم
أركم فقد سمعت خبركم الذي جعل القلوب مطمئنة بما تفضل الله به عليكم من
الغيرة لدينه والعناية بالعلم وأهله ومن إحياء آثار علماء السلف ومن السبق إلى كل
فضيلة فقد سرني أخي وحبيي خدام المسلمين مسبح الملك المجاهد الكبير محمد
حكيم أجمل خان لما لسموكم من الغيرة للحق وصرف الأنفاس في نيل رضاء الله
تعالى ورضاء رسوله ﴿ص وآله﴾ والخير للأمة الإسلامية فعصمكم الله من الناس
بما عصم به أبدال رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يا سمو الملك المعظم إن الله قد أيقظ قلوب المسلمين ثم قلوب الأمم الشرقية وإنما
دعا إلى تلك اليقظة ما ألم بالجمتمع الشرقي من بلاء الاستعمار والعمل على إطفاء
نور الله أو إبادة الأمة كما عمل الأسبان في الأندلس والروس في بولونيا في القرون
الوسطى التي كان بها وما تعمله إيطاليا في طرابلس والصومال وما تعمله الإنجليز في
مصر والسودان والهند وغيرها وما تعمله هولندا في جاوا. المستعمرون ياسمو الملك
المعظم أبادوا الأميريكانيين والأستراليين. شعر الشرق بظلم الغرب وخصوصا
المسلمين فإن المستعمرين يعينون غير المسلمين على المسلمين ليعتدوا القوم على
بعضهم. وأنا الآن ياسمو الملك المعظم نعتقد أن سموكم كالكوكب الذي تسطع
أنواره فتألف القلوب حتى تتحد الأمم الإسلامية اتحادا يرد عنها كيد المستعمرين
وظلمهم، وسمو الملك المعظم حملة الله بأوصاف أئمة الهدى من الغيرة للحق
والمسارعة إلى إحياء آثار الخلفاء الراشدين وأسرار أئمة الهدى من السف الصالح
ولي رجاء في سمو الملك المعظم وهو أن ينظر إلى الغازي مصطفى كمال الذي أذل
الله به دول الظلم وجمع به الأمة التركية بعين العمل بروح الدين فتؤيده معتبرا أن

ما ينشر عنه الأعداء إنما هو لتفرقة الأمة أو ما يعمل به مما ينكره الجهلاء بروح الإسلام إنما هو رعاية للحكم الوجودي الذي هو حكم الشريعة في مثل هذا الظرف وأن تنظر بتلك العين إلى المجاهد الكبير سمو الأمير محمد بن عبد الكريم والمجاهد في سوريا سلطان الأطرش وأن تجعل يا سمو الملك المعظم قسطا وافرا من العناية بالسلطان عبد العزيز بن سعود الذي طهر الحرمين الشريفين من الأعداء ومن الذين والوهم ولمولانا الإمام يحيى حميد الدين في اليمن وإن تتفضل بمساعدة المجاهدين في جاوا بالحكمة النبوية فإن في سيرة النبي ﷺ ملجأنا في مثل هذه الظروف وأقل ما في تلك المساعدة باسمو الملك المعظم إرسال الرسائل ونشر سرورك بأعمالهم وغضبك على المستعمرين. هذا وإني باسمو الملك المعظم على يقين أن الله عز وجل ادخر لكم كنوز ما به يصلح الله حال المسلمين ومآلهم. واعتقادي أنك عماد النهضة الإسلامية في الهند وحضوصا في الخلافة العظمى وقد كتبت لأنصار الحق في الهند وللقام الإمام يحيى حميد الدين في اليمن وللغازي مصطفى كمال وللمجاهد الكبير عبد العزيز بن سعود في مكة وورد لي ماسررت به منهم وكتبت لسمو أمير الأفغان وأنتظر أن يرد لي منه ما يسرني. الخلافة العظمى باسمو الملك المعظم هي منصب النبوة والقوة المعنوية التي تعيد للأمة الإسلامية ما كان لها من الحول والطول وإني وحقكم لأطمع أن الله تعالى يجعل سمو الملك آية كبرى لجمع الأمة وتقوية رابطة الإخاء الإسلامي حتى يعلو صوت الحق فيخفت صوت الباطل ويكون لسمو الملك المعظم من الله الفضل العظيم وعند رسوله ﷺ المقام الأول في هذا العصر. هذا وإني والحمد لله طبعت عدة كتب جمعت فيها ما تفضل الله به علي من روح الإسلام بمطبعتي الحجر والحروف وبقي من مؤلفاتي عشر كتب أرجو الله أن يسهل طبعها لتقدم لسموكم خدمة لما وفقكم الله من العمل للدين والمسلمين ولو تفضلتم سموكم بإرسال ما أحييتكم به الأمة من الكتب

المطبوعة بدار طباعة سمو الملك يكون شرفا ونفعا عاما للمسلمين وفي القريب العاجل بمشيئة الله تعالى سيتشرف بالمثل بين يديكم من يرفع لسموكم ماطع من كتي والله أسأل أن يعصمكم من الناس ويمكن لكم في الأرض بالحق ويمكن بكم دينه الذي ارتضى إنه مجيب الدعاء.

زعماء الهند ومؤتمر الخلافة الإسلامية (٩٩) ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ:

"... وكلنا نعلم أن المسلمين أصيبوا بكارثة إلغاء الخلافة المقتضية خلع الخليفة، فاهتزت أعصاب المجتمع الإسلامي، ولكن الأمة الإسلامية لا تعمد من ينصر دينها ويلم شعنها، وهم أنصار الحق في كل زمان، سر قول المصطفى ﴿ص وآله﴾ " لَا تَرَأُلُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ " (١٠٠) ولهذا رأينا اهتمام زعماء الهند بمسألة الخلافة منشأه القيام بواجب الوقت، المحتم على كل غيور لدينة أمثال الزعيمين العظيمين: سميح الملك أجمل خان والأستاذ الأنصاري. وقد سمعنا حديثهما مع حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد ماضي أبو العزائم رحمته الله رئيس جماعة الخلافة بوادي النيل القائلين فيه: " إن الخلافة مكونة من شطرين، شطر ديني، وآخر للأحكام الدنيوية. وأنهم يعملان على إعادة الخلافة بجميع شروطها، ولا يريدون أن يعاد تمثيل مهزلة خلافة حسين بن علي، أو مأساة وحيد الدين أو الخليفة الذي يريد الفرنسيون والأسبان تنصيبه، فلن يقر هذا مسلم. وكل مطلع على قانون جماعة الخلافة بوادي النيل يحكم أن مبدأ هذين الزعيمين هو بعينه مبدأ جماعة الخلافة برياسة الإمام السيد أبي العزائم رحمته الله. لهذا أقر الزعيمان أعمال جماعة

الخلافة واعتبرا أنهما تعمل مع لجنة الخلافة بالهند يدا واحدة في تكوين مؤتمر في أماكن بعيدة عن النفوذ الأجنبي...

"... فواجهنا الآن أن نعمل جميعا في تنبيه أفكار الخاص العام، بواسطة الخطب في المجتمعات العامة، والمنشورات التي نبين فيها واجب الوقت في هذا الحادث، والعمل في تكوين لجان فرعية حسب النموذج الموضوع في قانون الخلافة، وأن نتحمل في هذا السبيل كل تضحية ليكون لمصر صوتا مسموعا ورأيا محترما لا يخرج عن رأي سلفنا الصالح في مثل هذا الواجب بخصوص هذا الحادث."

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يعلن الملك عبد العزيز آل سعود بأن المؤتمر سيعقد بمكة:

هذه الرسالة من الإمام إلى الملك عبد العزيز آل سعود توصل ما استقر عليه الرأي من العزم على انعقاد مؤتمر الخلافة بمكة المكرمة يقول عليه السلام:

".. وقد تقرر لدينا ولدى إخواننا رجال الهند وسائر الأمم الإسلامية، أن يكون المؤتمر الإسلامي العام للخلافة بمكة المكرمة، للنظر في دعوي المسلمين إلى تقوية روابط الإخاء الإسلامي، والعمل لخدمة الحرمين الشريفين. وأنت تعلم يا أخي أن العامل إذا كان مع الله تعالى والله سبحانه، ظفر بمقصوده وفاز بمرادده ونصره الله وورثته من حيث لا يحتسب."

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يعلن الأمير شوكت علي بالهند مؤيدا لانعقاد المؤتمر بمكة المكرمة:

وفي هذه الرسالة التي بعث بها إلى الأمير شوكت علي وزملائه في الهند ، يؤيد انعقاد المؤتمر الإسلامي بمكة ، برئاسة الملك عبد العزيز آل سعود ومنها:
"تعلمون أن الإمام عبد العزيز آل سعود، أجلى الله به عن الحرمين الشريفين حسيناً وأولاده، وهو في نظرنا خير للمسلمين بما هو عليه من التمسك بالكتاب

والسنة، وهو خير للحجاز الآن من غيره. فإننا يا أخي نعمل أولاً وبالذات لتقوية روابط الإخاء الإسلامي بين الأمم الإسلامية، جمعاً للكلمة ولما للشعث، وأن يشكل مؤتمر الخلافة بمكة المكرمة إن شاء الله تعالى، وعلى أن يكون له الكلمة العليا في تعيين الخليفة ومصير الحرمين الشريفين وبيت المقدس، ووسيلتنا الآن هي أولاً الرضا بما أقره أهل الحجاز من إقامة الإمام عبد العزيز ملكاً عليه، حفظاً من التفرقة، ورعاية لدوام الصفا معهم، وليكون عوناً لنا في تنفيذ الشؤون الإسلامية..".

".. وأنتم تعلمون أن الخلافة هي المنصب النبوي القائم لإقامة حدود الله، وهذا الخليفة يجب أن يكون من خيرة المنتخبين من مجموع الأمة..".

على هذا النحو من الاتصالات، على المستوى الإسلامي العالمي، داخل مصر وخارجها. وعلى هذا النمط من السلوك الأخلاقي الحمدي في إيقاظ همم المسلمين، وبعث نشاطهم وإمكانيتهم وتوجيهها نحو العمل البناء، لإحياء روابط الأخوة والتعاون بين المسلمين، من أجل العمل على سعادتهم وتحقيق الخير العالم لهم، سار الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام فاستطاع في فترة وجيزة لم تتجاوز العامين، منذ إلغاء الخلافة حتى انعقاد المؤتمر، أن يجعل كلمة المسلمين تتوحد في انعقاد المؤتمر الإسلامي الأول في العصر الحديث، بمكة المكرمة في حج عام ١٣٤٤هـ ، وأن يوقف نشاط الملك فؤاد ممثلاً في مؤتمر بالقاهرة. فأصيب هذا المؤتمر بالشلل التام، بعد أن تشكك العالم الإسلامي في نواياه ونوايا فؤاد نحو الخلافة. وكانت أول ضربة وجهت لمؤتمر القاهرة من الداخل هي تلك الضربة التي وجهتها جماعة إحياء الخلافة بوادي النيل التي يترعها الإمام. ثم توالى الضربات من الهند وأندونيسيا والشام وتونس والجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية.

وأمكن للإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام أن يضم إلى جانبه الأقلام أصحاب بعض الصحف اليومية التريهة (١٠١) التي آمنت بما أعلنه الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام من أن تنصيب فؤاد الأول خليفة على المسلمين فيه كل الضرر بالعالم الإسلامي. لأنه يكون ألعوبة في يد الإنجليز، سيما وأن مجلس نواب الأمة لم يتمكن من الاجتماع، بسبب مصادرة حريات الشعب، والعبث بالدستور على يد السراي والإنجليز.

الفصل السادس

مؤتمر الخلافة الإسلامية بمكة المكرمة ١٣٤٤هـ

بعثة الطريقة العزمية للحج

١٣٤٤هـ - ١٩٢٦ م

كانت بهدف بيان أن الخلافة الإسلامية ليست ملكا للأتراك وحدهم بل هي خلافة المسلمين جميعا. وأن المرشحين من الحكام العرب لمنصب الخليفة هما صنيعتنا الاستعمار.

انطوت البلاد العربية تحت لواء دولة الخلافة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ولم يكن العثمانيون في نظر العرب غزاة فاتحين، بل كانوا إخوة لهم في العقيدة وحماة لدار الإسلام، ولذلك كانت حروب الدولة العثمانية في نظر الأمة الإسلامية جهادا في سبيل الله، ويرون أن الدولة العثمانية هي دولة الإسلام وعاصمتها إسلامبول، وكان هذا هو الشعور السائد حتي القرن التاسع عشر. واجهت الدولة العثمانية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي زحفا خارجيا من الدول الاستعمارية عليها كما واجهت تصدعا داخليا، فقد قامت حركة جديدة تعرف باسم: "جمعية الاتحاد والترقي" وكان القائمون بهذه الحركة مشهورين بعدائهم للإسلام، فضلا عما كان يحيط بهذه الجمعية من شبهات فيما يتعلق بصلتها قادتها بالصهيونية العالمية التي مهدت الطريق لتركيا العلمانية حينما عزل السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩م علي أيدي الضباط الاتحاديين.

وسيطر الكماليون علي عاصمة دولة الخلافة العثمانية، وأعلنوا عزل السلطان وحيد الدين، وأعلن مصطفى كمال الجمهورية واتخذ أنقرة عاصمة لها، وأعلن فصل

الدين عن الدولة، وما كان فصل الدين عن الدولة إلا وسيلة للتخلص من سلطان الشريعة والتحرر من قيودها، كما ألغى الخلافة الإسلامية في ١٩٢٤/٣/٢ م. وغمر الحزن الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبا العزائم عندما ألغى مصطفى كمال الخلافة الإسلامية، وهذا المجد الذي بناه المسلمون خلال القرون السالفة، والذي كان يمثل تجمع المسلمين في المشارق والمغارب، فتأثلف عليه قلوبهم، وتلتقي عنده آمالهم ويقوي جنينهم، لأن الخلافة الإسلامية هي العروة الوثقى التي تجمع أمر المسلمين.

وكان رأي الإمام أبي العزائم أن الخلافة التي ألغها الكماليون ليست ملكا لهم وحدهم لأنها خلافة المسلمين. والأترك لا يتجاوز عددهم حزعين من مائة جزء من المسلمين، ونتيجة لإلغاء الخلافة الإسلامية أصبح العالم الإسلامي للمرة الأولى بعد انتقال النبي ﷺ بلا خلافة.

فأخذ ﷺ يحذر المسلمين من الفتن التي يوشك أن يتورط فيها ملوكهم وأمرؤهم حينما يتطلعون لمنصب الخلافة ويتنافسون عليه.

ونبه الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ﷺ المسلمين إلى حاجتهم للخلافة، ونادى بالإسراع في عقد مؤتمر يقرر فيه أمر الخلافة من الوجهة الشرعية، ويحذر المسلمين من الخلاف الذي يؤخر الإسلام ويوهنه.

وذاعت الشائعات التي ترشح الشريف حسين بن علي ملك الحجاز، والملك فؤاد ملك مصر للخلافة، فحذر الإمام المجدد ﷺ من قناعت كل مملكة على جعل الخليفة منها، وبذلك يتعدد خلفاء المسلمين وتذهب ريجهم، وتضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم الدين، خاصة وأن الشريف حسين بن علي، والملك فؤاد هما صنيعتان للإنجليز.

وقد عجب الإمام أبو العزائم عليه السلام من أن مسألة الخلافة لم تثر شيئاً من الاهتمام في أي مملكة من الممالك الإسلامية ذات الاستقلال الحقيقي، إنما تهتم بالخلافة تلك الأمم التي لا تملك أمر نفسها، ويحركها الاستعمار ويقلبها ذات اليمن وذات الشمال، يهتم بالدعوة إلى الخلافة في تلك الأمم رجال من أهل الكرامة الذاتية والشخصية المستقلة، وإنما يهتم بها رجال لا يملكون لأنفسهم أمراً، ولكن يحركهم الاستعمار فيتحركون.

ولذلك لم تنتشر وتروج هذه الرغبة إلا في المستعمرات الإنجليزية، كأنما كتب الله ألا تقوم الخلافة اليوم إلا على أساس من الذل والعبودية، وألاً تنتصر إلا على أيدي حكام أذلاء مأجورين وعملاء للمستعمر.

وأسس الإمام أبو العزائم عليه السلام جماعة الخلافة الإسلامية التي نادى بآرائه واشتد الصراع بين الملك فؤاد والإمام المجدد عليه السلام عندما أعلن الإمام المجدد عليه السلام أن مصر لا تصلح داراً للخلافة لتسلط الإنجليز عليها، فقام علماء الأزهر وعلى رأسهم شيخ الأزهر بموازرة الملك فؤاد وترشيحه للخلافة، وعارض الإمام عليه السلام ترشيح الملك فؤاد لمنصب الخلافة، وقال إن مصر لا تصلح داراً للخلافة، بل ولا تصلح لانعقاد المؤتمر العام للخلافة بها، وأن الملك فؤاد وغيره من الملوك والأمراء العرب وقتئذ لا يصلح أحد منهم أن يكون خليفة للمسلمين، وقال عليه السلام : " إن قوما فقدوا الإسلام في أنفسهم وفي بيوتهم وفي شئوهم الخاصة والعامة لأعجز أن يفيضوه على غيرهم، وفاقد الشيء لا يعطيه". ودعا لوجوب انعقاد هذا المؤتمر في مكة المكرمة بعد أن آل أمرها إلى السعوديين.

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يعلن على العالم كله موعد انعقاد مؤتمر الخلافة الإسلامية بمكة المكرمة ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ:

حدث هذا خلال عامين اثنين وبينما الحكومة تجري اتصالات وتبذل الكثير من الجهود والمال لينعقد مؤتمر الخلافة بالقاهرة، يقوم الإمام أبو العزائم عليه السلام متحدا مع الهند وسائر البلدان الإسلامية ويعلنون على العالم كله موعد ومكان انعقاد أول مؤتمر إسلامي عام ينظر في مسألة الخلافة بمكة المكرمة لعام ١٣٤٤ الهجري الموافق التاسع من يونيو لعام ١٩٢٦ الميلادي، برئاسة الملك عبد العزيز آل سعود عاهل الحجاز.

وتشخص الوفود الممثلة في هذا المؤتمر إلى جده ميممة وجهها شطر المسجد الحرام بمكة، وتسارع الصحافة المصرية فتبعث بمندوبيها لحضور المؤتمر، وخاصة جريدة الأهرام وجريدة الاخبار، الذي مثلها الأستاذ الكبير أمين الرافعي.

وخرج الإمام أبو العزائم عليه السلام محرما بالحج من داره، ومن ورائه أربعمائة من خاصة أتباعه، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يحج فيها الإمام، ولكنها كانت الأولى من نوعها لأنه خرج ممثلا لمصر. كما أقر المؤتمر ذلك عند انعقاده، ولأنه خرج في عدد كبير من مريديه فكانت مهمة دينية ومهمة سياسية، انطبق عليها قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ الحج:

٢٨.

لم يسع الملك فؤاد الأول إلا أن يأمر بمقاطعة المؤتمر منذ بدء انعقاده ظنا منه أن هذا يعرقل سيره ويعرضه للفشل (١٠٢).

(١٠٢) أنظر مجلة (الكاتب) ابتداء من عدد أغسطس ١٩٧٠م والأعداد التي تليه، ومجلة المدينة المنورة الأعداد التي صدرت أثناء وبعد انعقاد المؤتمر. وانظر (مذكرات في السياسة المصرية) للدكتور هيكال الجزء الأول.

وكانت هذه الحجة هي الحجة الأخيرة في حياة الإمام الحافلة، فلقد تبلورت جهوده واتصالاته مع جميع البلاد العربية والإسلامية، عن عقد المؤتمر الإسلامي العام، للنظر في موضوع الخلافة الإسلامية بمدينة مكة المكرمة.

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام يقوم بوسيلة التعارف فيما بين وفود مؤتمر الخلافة الإسلامية ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ:

في ٥ يونيو من ذلك العام التأمّت الوفود بالبلد الحرام. وقام بوسيلة التعارف فيما بينهم أبو العزائم عليه السلام. وكانت الاجتماعات التي كانت بمثابة اللجان التحضيرية للمؤتمر تعقد بداره قبل انعقاد المجلس برئاسة الملك عبد العزيز آل سعود في موسم الحج من عا ١٩٢٦م.

وقام مندوب الأهرام بإرسال البرقيات منذ اليوم الأول لوصول الوفود إلى مكة، وكانت أولى رسائله بتاريخ ٥ يونيو ١٩٢٦م حيث تحدث عن أسماء أعضاء الوفود التي وصلت يومذاك، والبلد الذي يمثلونه، ووصف السراي التي أعدت لانعقاد المؤتمر. وتحدث عن الخطاب الملكي الذي سيلقيه الملك عبد العزيز آل سعود معلنا بد أعمال المؤتمر الخطير.

رسالة من القدس إلى الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام بمكة المكرمة ١٩٢٦م - ١٣٢٤هـ:

وفي رسالته بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٩٢٦م يقول: "..واليوم توجهنا لزيارة حضرة الشيخ محمد ماضي أبو العزائم بداره فقابلنا بإكرامه المعهود، وقد عرفنا في مجلسه بحضرات أعضاء الوفد السوري، يتقدمه حضرة الأستاذ عبد الغني الكعكي صاحب جريدة الشرق الغراء، والسيد أمين المنيري عضو مجلس الشورى. وأثناء الحديث وردت على الشيخ البرقية الآتية:

من القدس إلى مكة ٣ يونيو ١٩٢٦م الشيخ ماضي أبو العزائم.

"سورية المجاهدة تناشدكم الإخاء الإسلامي المقدس ألا تفرطوا عقد المؤتمر قبل

اسماع العالم صوت استنكار واستفظاع العالم الإسلامي من أعمال التخريب

والتنكيل التي تقوم بها السلطات الفرنسية بسورية وتستصرخ المسلمين لمد أيدي

المساعدة لألوف الثاكلات والأيتام والجرحى(١٠٣)

"فأثرت هذه البرقية في الحاضرين، ثم استأذنت بالانصراف فأذن الشيخ أبو العزائم

بعد أن دعانا للحضور بعد صلاة العصر لحضور اجتماع يحضره بداره جميع أعضاء

المؤتمر العالمي الإسلامي.

"وفي الوقت المعين، ذهبت إلى دار الشيخ أبي العزائم، وبعد التحية أخذت مكاني في

القاعة. وقد أخذ الأعضاء يجلسون الواحد بعد الآخر حتى تم جمعهم ثم وقف وفد

الخلافة الهندية ورئيسه الشيخ سليمان العدوي ووكيله الزعيمان الشهيران،

شوكت علي، ومحمد علي، وسكرتيره شعيب قرشي، ووفد سورية يتقدمه صاحب

جريدة ضياء الشرق الغراء، ووفد فلسطين وأمامه الأستاذ أمين الحسيني، ووفد

السودان ورائده الشيخ محمد مدثر ووفد جاوا ويمثله السيد عمر سبيد، وغيرهم

من حضرات العلماء المصريين وغير المصريين وقد قام بالتعارف بينهم فضيلة الشيخ

أبو العزائم.

وقد شرف بالحضور حضرة نائب المدينة، والسيد يوسف ياسين محرر "جريدة أم

القرى" ثم أخذوا مجالسهم. وبعد تناول المرطبات افتتحت الجلسة بآي الذكر

الحكيم، وأخذ الشيخ أبو العزائم يفسر للحاضرين ما يقرأه المقرئ. وكان الأستاذ

كامل عثمان الفندي المحامي يترجم ما يقوله الشيخ إلى الإنجليزية لزعماء الهنود

وجاوا.

"ثم انتقل الشيخ إلى التكلم في مسألة المؤتمر وأدلى بآدابه الواجب اتباعها في أداء هذه المهمة الإسلامية باتحاد وتضامن، وأثنى كثيراً على ملك الحجاز ثم تناقش الأعضاء اقتراحاته، وكان رد الشيخ بأنه يجب التكاتف لرفع كلمة الإسلام والمسلمين وحفظ شريعة رسول الله وهذا هو الغرض الأسمى".

افتتاح المؤتمر الإسلامي العام بمكة المكرمة ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ:

وكان يوم ٩ يونيو سنة ١٩٢٦م، هو يوم افتتاح أولى جلسات المؤتمر الذي افتتحه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، بخطاب ملكي موجه إلى المؤتمرين خاصة وإلى العالم الإسلامي عامة، وقد بعث مندوب الأهرام برسالة مطولة إلى صحيفته بالقاهرة، وصف فيها الاحتفال وقدم الملك واصطفاف الحرس الملكي، إلى أن انتهى الملك من إلقاء الخطاب، فبدأ المؤتمر أعماله بعملية انتخاب الرئيس والوكلاء والأعضاء ولندع مندوب الأهرام يتحدث عن ذلك.

".. وبعد قراءة هذا الخطاب الملكي، قام صاحب الجلالة ونطق قائلاً: "أسأل الله تعالى التوفيق وأن ينصر الإسلام ويعلي كلمة الدين". ثم ودع جلالته المؤتمر".

"وتم في الحال انتخاب الرئيس ونائين للرئيس، فأسفر ذلك عن انتخاب شريف باشا عدنان ونائبه سليمان العدوي الهندي، وصفاء الدين أفندي من مسلمي روسيا. وتشكلت لجنة لتدقيق مضابط أعضاء المؤتمر وقد بلغ حضرات أعضاء المؤتمر ٥٩ عضواً رسمياً. وكانت وفود من جاوا، وتركيا، وسورية، وفلسطين، والسودان، والعسير، ونجد، والحجاز، وروسيا، والهند، وأفغانستان.. وغيرهم.

وقد حضر عن مصر الشيخ أبو العزائم رئيس جماعة الخلافة بوادي النيل ومعه وفد من المصريين. وقد عقد المؤتمر جلسة أمس وجلسة اليوم. وأهم الأعمال ما عرضته اللجنة التنفيذية حيث تفضل الشيخ حافظ وهبه بتلاوته وأخذ رأي المؤتمر فيه باسم الملك عبد العزيز آل سعود.

وقد سمي المؤتمر باسم "المؤتمر الإسلامي" وغايته:

١- تعارف المسلمين بعضهم مع بعض وتوحيد كلمتهم تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠.

٢- النظر والسعي في ترقية شئون المسلمين اجتماعياً وأديباً واقتصادياً.

٣- النظر والسعي في توطيد الأمن في الأراضي المقدسة والعمل على تعميم الوسائل الصحية وتسهيل المواصلات وتسهيل أمور الحج وإزالة كل عقبة في سبيل أداء الفريضة وضمان سلامة الحجاز وحفظ حقوقه.

٤- يكون انعقاد المؤتمر في مكة كل عام في موسم الحج فإذا تعذر ذلك فيكون في بلد مستقل وإذا تعذر ذلك فيكون كما قال تعالى: ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

التغابن: ١٦.

ويتألف المؤتمر من:

(أ) مندوبي الحكومات المستقلة الإسلامية.

(ب) مندوبي اللجان الفرعية لهذا المؤتمر.

(ج) ممثلي الشعوب الإسلامية تمثيلاً صحيحاً حسب أفضل الطرق التمثيلية وصحتها الممكنة في هذه البلاد.

"وبعد الاستراحة عادت الجلسة وقام حضرة السيد يوسف ياسين عضو لجنة المضابط وقرأ تقرير اللجنة الخاص بصحة وثائق الوفود الممثلة والاعتراض على بعضها وذكر سيادته عن مصر أنها ليست ممثلة تمثيلاً رسمياً ولكن المؤتمر اعتبر الشيخ محمد ماضي أبو العزائم رئيس جماعة الخلافة بوادي النيل حاضراً عنها.

الإمام المجدد أبو العزائم رحمته الله يقترح للمؤتمر أربعة عشر اقتراحاً لصالح الإسلام والمسلمين:

قد حضر الإمام المجدد عليه السلام مؤتمر الخلافة الإسلامية الذي انعقد بمكة في موسم حج عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦ وصاحبه في هذه الرحلة أبناء الطريقة العزمية الذين يمثلون جماعة الخلافة الإسلامية وتحدث عليه السلام في المؤتمر عن أهمية منصب الخلافة الذي هو حجر الزاوية في انتظام شئون المسلمين، وقيام شريعتهم، وسلامة دينهم، وتماسك بنيتهم، واجتماع كلمتهم، منبها إلى كيد الدول الاستعمارية للإسلام، ومحذرا المسلمين من المخططات الاستعمارية، كاشفا الستار عن حليها وأساليبها السابق عرضها، وأن شعار استقلال البلاد العربية وإحياء الخلافة في دار العروبة كان خديعة كبرى من دول الاستعمار للملوك والأمراء العرب للتمرد على دولة الخلافة العثمانية وإسقاطها، ولم تحصد الدول العربية ثمنا لذلك إلا خيبة الأمل، والاحتلال.

وقدم الإمام المجدد عليه السلام للمؤتمر أربعة عشر اقتراحا (١٠٤) لصالح الإسلام والمسلمين، وانتهت جلسات المؤتمر بالفشل، رغم الجهود التي بذلها الإمام المجدد عليه السلام لإحياء الخلافة وإعادة منصبها، لأن السياسة الاستعمارية كانت من وراء القصد.

كبار علماء البلاد الإسلامية ورؤساء المؤتمر ينصبونه الإمام المجدد أبا العزائم عليه السلام خليفة للمسلمين بمسجد نمرة يوم الأحد ٩ ذي الحجة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م:

في هذا اليوم العظيم اجتمع لفيف من زعماء وكبار علماء البلاد الإسلامية ورؤساء وفود المؤتمر الإسلامي الذين وصلتهم دعوة الملك عبد العزيز بن سعود لعقد المؤتمر العام الإسلامي بمكة في موسم الحج سنة ١٣٤٤هـ هجرية وأجمعوا أمرهم على أن يلقي خطبة عرفة على الحجاج بمسجد نمرة مولانا صاحب السماحة السيد محمد

(١٠٤) راجع قانون جماعة الخلافة الإسلامية بوادي النيل.

ماضي أبو العزائم فالتمسوا منه ذلك فأجاب ملتمسهم بعد أن أقاموه خليفة عن رسول الله ﷺ ﴿ص وآله﴾ حيث قال لهم: (هذا مقام لا ينبغي إلا لرسول الله ﷺ ﴿ص وآله﴾ أو لخليفته) فارتفعت أصواتهم جميعا بقولهم: (قد أقمنك ورضيناك خليفة عن رسول الله ﷺ ﴿ص وآله﴾ فخطب خطبة تفوق وصف الواصف فصلينا الظهر والعصر وراءه جمع تقدم كما هي السنة، ثم قمنا متوجهين إلى الوقوف بعرفة. وفي حال وجوده بمسجد نمرة أملى علينا:

يَوْمَ مَعْرِفَتِي بِهِ نَلْتُ الْفَلَاحَ	أَحْضُرِي وَأَسْتَحْضِرِي فَالْوَجْهَ لَا خَ
يَوْمَ عَرَفَةَ طَيْبُهُ فِي الْكَوْنِ فَاحَ	مَسْجِدَ الْمُخْتَارِ بَيْتَ قِيَامِهِ
فِيهِ خَيْرُ الرُّسُلِ حَيُّ عَلَى الْفَلَاحَ	أَحْضُرِي رُوحِي فَهَذَا مَسْجِدُ
نِعْمَةٍ تُعْطَيْنَ فَضْلًا لَا جُنَاحَ	أَحْضُرِي رُوحِي سَلِي مَا شِئْتَ مِنْ
تَشْهَدِينَ الْفَضْلَ وَالْوَجْهَ صِرَاحَ	أَسْأَلِي اللَّهَ الْمُجِيبَ عِنَايَةً
أَرْتَجِي الْعَفْوَ مَسَائِي وَالصَّبَاحَ	رَبِّ رَحْمَاكَ فَإِنِّي مُذْنِبٌ
أَعْطِنِي الْإِحْسَانَ مِنْ خَيْرِ مُبَاحَ	رَبِّ فَأَقْبَلْ تَوْبَتِي أَعْطِ الرِّضَا
وَأَعْفُ عَنِّي طَالَ خَوْفِي وَالتُّوْاحَ	رَبِّ يَا تَوَّابُ فَأَقْبَلْ تَوْبَتِي
أَيِّدْنِي مِنْكَ وَأَسْقِ الرُّوحَ رَاحَ	رَبِّ مُضْطَرُّ فَقِيرٌ عَائِدٌ
عَبْدَكَ الْمُسْكِينَ فَضْلًا بِأَنْشِرَاحَ	رَبِّ أَشْهَدْنِي الْجَمَالَ وَيَدُنْ
مَنْ يُجِيبُ السَّائِلِينَ لَدَى الصِّيَاحَ	رَبِّ أَهْلِكَ عَصَبَةَ الْكُفَّارِ يَا
نَاصِرًا لِلْكَلِّ وَأَمْنَحْنَا الصَّلَاحَ	رَبِّ جَدِّ سُنَّةَ الْمُخْتَارِ كُنْ
مِنْهُمْ يَارَبِّ بِالْفَهْرِ الصَّرَاحَ	رَبِّ أَوْرُبَا فَأَهْلِكْهَا أَنْتَقِمُ
كَانَ لِلْأَصْحَابِ مِنْ خَيْرِ الْمِلَاحَ	رَبِّ وَاجْمَعْنَا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي
جَاءَنَا بِالنُّورِ قَدْ عَمَّ الْبِطَاحَ	رَبِّ جَدِّ سُنَّةَ الْهَادِي الَّذِي

رَبَّنَا يَارَبَّنَا يَارَبَّنَا

أَظْهَرَ الدِّينَ بِحَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ

السياسة الاستعمارية كانت وراء فشل مؤتمر الخلافة الإسلامية:

نحيل في شأن تفاصيل جلسات المؤتمر وما تمخض عنه إلى صحف القاهرة التي صدرت في الفترة من أول يونيو إلى أوائل أغسطس من عام ١٩٢٦ م ، وخاصة صحيفتي الأخبار والأهرام العدد ١٥٠١٧ الصادر يوم الأربعاء ٥ ذي الحجة ١٣٤٤ هـ الموافق ١٦ يونيو عام ١٩٢٦ م ومجلات مطبعة المدينة المنورة. والملاحظ أن المؤتمر، الذي ظل المسلمون يعملون دائيين مدة عامين بهمة ونشاط لا تعرفان الكلل، رغم ما تعوض له زعمائهم وقادتهم من كيد المتجبرين وعسف المحتلين، والذي كان الغرض الأساسي من انعقاده النظر في موضوع الخلافة وتعيين الخليفة، قد انصرف منذ اللحظة الأولى التي ألقى فيها الملك عبد العزيز خطابه عن الهدف الأسمى إلى مسائل فرعية بحثة، تاركا مسألة الخلافة، وقد بدأ الانقسام في صفوفه منذ الجلسة الأولى عندما تغيب رئيسه عن الحضور، ثم فترت جلساته شيئا فشيئا، وما هذا إلا بفعل القوى المعادية لائتلاف الشعوب، فهل فترت هممة الداعين إلى عقد مثل هذا المؤتمر؟! وهل دب اليأس في نفوسهم؟!

من مؤلفات الامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

في جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن " .

٢ تفسير سورة القدر .

في جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها .

في جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول (ﷺ وآله) .

٢- صيام أهل المدينة المنورة .

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

في جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبي (ﷺ وآله)

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله (ﷺ وآله).

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمصرف والفاقد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠ - مصطلحات الصوفية

١١ - آداب أل العزائم

١٢ - دروس تزكية النفوس

١٣ - موارد أهل الصفا

١٤ - قيس من المضمون

١٥ - الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

فهرس كتاب "السياسة فى الإسلام"

مقدمة

السياسة فى الإسلام:

السياسة:

المعنى اللغوي:

السياسة :

السياسة المدنية:

السياسة الاقتصادية:

الحقوق السياسية:

السياسي:

المعنى الاصطلاحي:

مفهوم السياسة فى الإسلام:

السياسة قداسة عند السلف الصالح... والسياسة نجاسة عند السلف الطالح...

السياسة عند السلف الصالح...

والسياسة عند السلف الطالح...

السلف الصالح...

أما السلف الطالح...

أهل السياسة الحكيمة...

وأهل السياسة الغشيمة...

لماذا يزور السلف الصالح روضات أهل السياسة الحكيمة من الأنبياء والأولياء؟!

الباب الأول

الدولة الإسلامية

الفصل الأول

أسس بناء الدولة الإسلامية

١- بناء مسجد رسول الله ﷺ ﴿ص وآله﴾

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

٣- كتاب رسول الله ﷺ ﴿ص وآله﴾ بالمواذعة بين المسلمين واليهود

٤- أسس النظام الاقتصادي للإسلام :

الفصل الثاني

كشف الأسرار و الحكم التي تضمنها فتح مكة المكرمة

" معاملة الأسرى "

الفصل الثالث

خطبة الرسول ﷺ ﴿ص وآله﴾ في حجة الوداع

" سور الأمن وحسن الأمن للدولة الإسلامية "

الباب الثاني

مفهوم السياسة في فكر الإمام علي

(عليه السلام)

الفصل الأول

عناصر السياسة في فكر الإمام علي (عليه السلام)

المساواة في التوزيع والعطاء والحقوق والواجبات وأمام القانون.

الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية ورعاية إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها.

حفظ حقوق الأقليات المخالفين في الرأي والدين والعرق والمذهب بإحسان الفتنة في مهدها حتى يتم

التلاحم بين مختلف الطبقات من مواليين للحاكم ومعارضين له وللنظام القائم.

حفظ حق الحياة للمعارضين له.

حفظ حق الملكية الفردية للمعارضين له.

حفظ حق الحرية الشخصية وحرية الحركة للمعارضين له.

حفظ حقوق الأقليات الدينية يقول عليه السلام: إني نظرت في كتاب الله فلم أجد فضلا لولد

إسماعيل على ولد إسحق..... إذ آدم لم يلد عبدا ولا أمة..... إن الناس كلهم أحرار.

المساواة في العطاء من بيت المال بين المسلمين وغيرهم

المساواة بعدم شمول الضريبة لغير العفو أي ما يفيض عن مئونتهم وشئون عملهم وكسوتهم كذلك

إعفاء الفقير والمحتاج من دفع الضريبة.

حق الحرية الشخصية لغير المسلمين.

حق الملكية الفردية لغير المسلمين.

حق التقاضي أمام محاكمهم الخاصة.

الفصل الثاني

رسالة الإمام علي (عليه السلام) لجميع حكام العالم

١- تَقْوَى اللَّهَ وَطَاعَتَهُ وَأَتْبَاعَهُ وَنَصْرَهُ وَجِهَادُ النَّفْسِ:

٢- السَّيْرَةُ الْحَسَنَةَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَجِهَادُ النَّفْسِ:

٣- الرِّحْمَةُ بِالرَّعِيَّةِ:

٤- التَّحْذِيرُ مِنَ الْكِبَرِ:

٥- الْإِنْصَافُ مِنَ النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْخَاصَّةِ وَعَدَمُ الظُّلْمِ:

٦- خَيْرُ الْأُمُورِ الْأَجْمَعُ لِرِضَا الرَّعِيَّةِ:

٧- الْوِشَايَةُ قَبِيحَةٌ وَلَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً:

٨- أَلَا سُبْحَانَهُ لِأَهْلِ إِحْسَانٍ الظَّنُّ بِاللَّهِ:

٩- الْوُزَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ:

١٠- الْإِحْسَانُ لِلْمُحْسِنِ وَالْعُقُوبَةُ لِلْمُسِيءِ:

١١- الْإِحْسَانُ لِلرَّعِيَّةِ حُسْنُ ظَنٍّ بِهِمْ:

١٢- الْعَمَلُ بِالسُّنَّةِ:

١٣- مُدَارَسَةُ الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَاقَشَةُ الْحُكَمَاءِ:

١٤- طَبَقَاتُ الْمُجْتَمَعِ:

١٥- الْأَسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَلُزُومُ الْحَقِّ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ:

- ١٦- صِفَاتُ قَادَةِ الْجُيُوشِ:
- ١٧- رِعَايَةُ الْقَادَةِ:
- ١٨- حُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَى الْقَادَةِ:
- ١٩- الرُّجُوعُ لِلْمَصَادِرِ الشَّرْعِيَّةِ وَخُصُوصًا عِنْدَ الشُّبُهَاتِ:
- ٢٠- اخْتِيَارُ الْقَضَاةِ:
- ٢١- اخْتِيَارُ الْعُمَالِ وَالْوَلَاةِ:
- ٢٢- عُقُوبَةُ خِيَانَةِ الْأَعْوَانِ:
- ٢٣- الْخَرَاجُ وَمَالِيَّةُ الدَّوْلَةِ:
- ٢٤- عِمَارَةُ الْأَرْضِ:
- ٢٥- صِفَاتُ الْكُتَّابِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانِ:
- ٢٦- صفات فادة الكتاب:
- ٢٧- الرِّفْقُ بِالْتُّجَّارِ وَمَنْعُ الْإِحْتِكَارِ:
- ٢٨- الرِّحْمَةُ بِالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ:
- ٢٩- الإِجْتِمَاعُ بِأَصْحَابِ الْحَاجَاتِ وَالْمَصَالِحِ:
- ٣٠- كَيْفِيَّةُ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ:
- ٣٠- واجبات الولي المبشرة:
- ٣٢- الْمُحَافَظَةُ عَلَى آدَاءِ الْفَرَائِضِ:
- ٣٣- التَّحْذِيرُ مِنَ الْإِحْتِجَابِ عَنِ النَّاسِ فَهُوَ قِلَّةٌ عِلْمٌ بِالْأُمُورِ:
- ٣٤- الْإِنْصَافُ مَعَ الْخَاصَّةِ وَالْحَاشِيَةِ:
- ٣٥- إِعْلَامُ الرِّعْيَةِ بِالْأُمُورِ لِإِعْدَالِ طُنُونِهِمْ عَنْهُ:
- ٣٦- مُعَاهَدَاتُ الصُّلْحِ مَعَ الْعَدُوِّ وَالْوَفَاءُ بِهِ:
- ٣٧- التَّحْذِيرُ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حِلِّهَا:
- ٣٨- آدَابُ عَامَّةٌ:
- ٣٩- الْأَمْنُ وَالتَّزْيِيدُ وَالْوَعْدُ:
- ٤٠- التَّحْذِيرُ مِنَ الْعَجَلَةِ بِالْأُمُورِ:
- ٤١- التَّحْذِيرُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ وَالتَّعَايِي:
- ٤٢- الْحِلْمُ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ:
- ٤٣- الْإِقْتِدَاءُ بِالسَّابِقِ الْعَادِلِ:
- ٤٤- الْخَاتِمَةُ:

الباب الثالث

مفهوم السياسة في فكر الإمام أبي العزائم

(عليه السلام)

الفصل الأول

الإسلام والسياسة

السياسة: تحمل معنيين اثنين:

أولاً: السياسة الحكيمة:

ثانياً: السياسة الغشيمة:

السياسة الظالمة الطاغية...والسياسة العادلة الرحيمة...

أولاً: السياسة الظالمة:

ثانياً: السياسة العادلة:

ثالثاً: أمثلة على السياسة الطاغية والسياسة الرحيمة:

الإسلام والسياسة :

الفصل الثاني

تعريف الإمامة وصفة الإمام

تعريف الإمامة:

المبحث الأول: في وجوب نصب الإمام:

صفة الإمام عند من أوجب تنصيبه عقلاً:

قول من أوجب تنصيب الإمام عقلاً في صفته:

القول في عصمة الإمام:

صفة الإمام العادل:

قول علماء النفس في صفة الإمام العادل:

انتخاب الإمام:

الواجب على الإمام والواجب له

الواجب على الإمام الأعظم:

لذة الإمام الأعظم:

مثال الإمام الأعظم:

الواجب للإمام على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم:

كل مسلم مطالب بسلامة جماعة المسلمين:

الإيمان بيوم الحساب:

وجوب طاعة الأمير:

لا طاعة للأمر في معصية الله:

لا طاعة على المسلم للأمر إلا فيما استطاع:

مفارقة الجماعة مفارقة للدين والخروج على الإمام خروج من الدين:

الصبر على الإمام الظلوم خير من فتنة تدوم:

الخروج من طاعة السلطان خروج عن المحجة ورفض البيعة رفض للإيمان:

الإمام لا يكون إلا واحدا شرعا:

إِنَّمَا يُؤْمَرُ مَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهَا لَا مِنْ طَلِبِهَا:

سعادة الإمام المقسط:

تحرز الإمام من بطانة السوء:

هول يوم القيامة على السلطان المخالف :

آداب عمومية للراعي والرعية وردت في أحاديث حسان :

الفصل الثالث

الأمراء والمفتون

محادثة العلم والعلماء:

الأمراء هم المفتون:

احتياج الأمراء إلى المفتين:

المفتون والقضاة في الصدر الأول:

المفتي فوق أمير المؤمنين:

شتان بين مفتي الهدى ومفتي الردى:

الفصل الرابع

من أسرار القرآن في السياسة

سياسة أوروبا وأمريكا: ظاهرها إصلاح وفرح... وباطنها إفساد وترح...

الغرب يملك أما بالقهر أو السياسة الباطلة:

فائدة علم سياسة المجتمعات:

السياسة الحكيمة من أنواع التقوي..

والسياسة الغشيمة هي الخديعة..

السياسة الخرقاء:

السياسة العوجاء:

العقل لسياسة المجتمعات لا للغيب المصون

أنواع سياسة المجتمعات:

السياسة الحكيمة:

السياسة القوية والسياسة العقيمة:

الحرب حكمة وسياسة:

سياسة الرفق وسياسة الفتك:

حقوق أهل الذمة المواطنون للمسلمين:

علم السياسة وعلم النواميس:

الله تعالى علّم رسوله ﴿ص وآله﴾ الكتب السماوية والسياسة الملوكية:

الفائدة الدينية من علم سياسة المجتمعات:

رجال الرأي:

السياسة الظالمة تدعو والسياسة الطاغية تقضي:

الفصل الخامس

السياسة في جهاد النفس وفي جهاد العدو

سياسة الزوجة والأولاد محمودة:

حسن التدبير من السياسة الحكيمة:

الفصل السادس

معرفة النفس وتربيتها ... والسياسة

معرفة النفس:

تربية النفس أصل النجاة:

صفاء النفس:

السياسة مرض في النفوس:

الفصل السابع

دروس في قصة قصيرة

السياسي والحكيم والغشيم

السياسة:

الحكمة :

الغشم:

الغشيم:

السياسي:

السياسي:

الحكيم:

الغشيم:

الحكيم:

السياسي:

الباب الخامس

دور الإمام المجدد عليه السلام

الجهادي ضد الاستعمار في العالم الإسلامي

الفصل الأول

دور عليه السلام الجهادي .

جهاده عليه السلام ضد الاستعمار في العالم الإسلامي .

الإمام المجدد عليه السلام يندد بالدعوة الماسونية ١٣٢٤ هـ .

الإمام المجدد عليه السلام يتحدى اللورد كرومر ١٣٢٤ هـ .

تأثير الإمام المجدد عليه السلام على ثورة الهند ١٣٢٤ هـ .

قيام الإمام المجدد عليه السلام بعمره سياسية ١٣٢٥ هـ .

تأييد الإمام المجدد عليه السلام لثورة تونس وضيافته لزعمائها ١٣٢٦ هـ .

- الإمام المجدد عليه السلام يقف بجانب الثورة التركية ١٣٢٦ هـ .
- الإمام المجدد عليه السلام يؤيد الثورة الليبية ويؤوي ثوارها ١٣٢٩ هـ .
- أثر الإمام المجدد عليه السلام على يقظة شباب أندونيسيا ١٣٢٩ هـ .
- الإمام المجدد عليه السلام في مواجهة الحاكم الإنجليزي وينجت ١٣٣٣ هـ .
- قرار إقصاء الإمام المجدد من وظيفته عليه السلام ١٣٣٣ هـ .
- إقصاؤه من وظيفته عليه السلام ١٣٣٣ هـ .
- إبعاده عليه السلام من السودان ١٣٣٣ هـ .
- أثره عليه السلام في أهل السودان ١٣١٧ هـ — ١٣٣٣ هـ .
- رأي المستشرقين في الإمام المجدد عليه السلام .
- تصحيحه عليه السلام الفكرة الخاطئة عن التصوف وشهادة المستشرقين بذلك .

الفصل الثاني

- الإمام المجدد عليه السلام يربي شباب ثورة ١٩١٩ م
- ويجتمع بزعمائها وقادتها
- دعوته عليه السلام في المنيا بعد إبعاده عليه السلام عن السودان ١٣٣٣ هـ —
- ١٣٣٤ هـ
- عودته عليه السلام إلى القاهرة ١٣٣٤ هـ
- دعوته عليه السلام في القاهرة ١٣٣٤ هـ
- الإمام المجدد عليه السلام يمد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعلومه وتراثه
- ١٣٣٦ هـ
- الإمام المجدد عليه السلام يكشف نوايا الصهيونية ١٣٣٦ هـ

الإمام المجدد عليه السلام يقف بجانب الثورة التركية للمرة الثانية ١٣٣٦ هـ
الإمام المجدد عليه السلام يندد بعميل الصهيونية الحسين بن علي ١٣٣٦ هـ
الإمام المجدد عليه السلام يجمع توقعات للزعيم سعد زغلول أعقاب مؤتمر
الصلح ١٣٣٦ هـ

الإمام المجدد عليه السلام يصدر لسان حال دعوته .. مجلة المدينة المنورة
١٣٣٧ هـ

دوره عليه السلام في ثورة ١٩١٩م — ١٣٣٧ هـ
مطابعه عليه السلام كانت مطابع اليد السوداء في ثورة ١٩١٩م — ١٣٣٧ هـ
اعتقاله عليه السلام للمرة الأولى ١٣٣٨ هـ
اعتقاله عليه السلام للمرة الثانية ومواجهة مع حكمدار الأمن الإنجليزي رسل
باشا ١٣٣٨ هـ

تلاميذه عليه السلام يشعلون ثورة ١٩١٩م — ١٣٣٨ هـ
مساندته عليه السلام للثورة الفلسطينية ١٣٣٨ هـ — ١٣٣٩ هـ
موالته عليه السلام للثورة المغربية ١٣٣٩ هـ
تلاميذه عليه السلام كانوا الشرارة الأولى في وقود الثورات السودانية
١٣٣٩ هـ

الفصل الثالث

الإمام المجدد عليه السلام يدعو

إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

بعثة الطريقة العزمية للحج ١٣٤٠ هـ .

الإمام المجدد عليه السلام يحذر الطاغية حسين بن علي من موالاة الاستعمار
١٣٤٠ هـ .

الإمام المجدد يدعو الله لنصرة أبطال الأناضول والمولى سبحانه يستجيب
١٣٤٠ هـ .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام رجل لا يقاس بالرجال ١٣٤٠ هـ .
مؤازرته عليه السلام للزعيم عبد العزيز جاويز بالآستانة ١٣٤١ هـ .
كشفه عليه السلام للأسباب الحقيقية الخفية لاختلاف زعماء الأمة
١٣٤١ هـ .

الإمام المجدد عليه السلام يشدد على الزعيم سعد زغلول ١٣٤١ هـ .
الإمام المجدد عليه السلام يشد أزر الزعيم سعد زغلول ١٣٤١ هـ .
تأييده عليه السلام للحزب الوطني .

موالاته للمصريين المغتربين في أنحاء أوروبا .

مخاطبته عليه السلام لجمعية الطلبة المصريين في أوروبا بشأن العلاقة بين
الاشتراكية والإسلام .

الإمام المجدد عليه السلام يتصدى للثورة التركية عندما انحرفت عن جادة
الصواب .

الإمام المجدد يدعو الدول العربية إلى الاتحاد ونبذ التفرقة ٢٨ محرم
١٣٤٢ هـ .

جهود عليه السلام في جمع الأمة المصرية أعقاب ثورة ١٩١٩ م .

نصائح الإمام المجدد عليه السلام لزعيم مصر السياسيين .
يا سعد اتق الله في اثني عشر مليوناً من المصريين الأحرار .
حصنوا أنفسكم بالأخلاق الإسلامية .
الدين النصيحة .
إلى رجال الحكومة .
يا أيها العلماء من هذه الأمة .
يا طلبة العلم .
يا أيها التجار .
أيها العمال والصناع .
يا رجال الأمة جمعاً .
الأحزاب أحزان .
إلى الأمة المصرية .
النصيحة أغلي ما يباع ويوهب .
إلى الأمة المصرية الكريمة .
إلى الزعماء .
إلى الأحزاب .

الفصل الرابع

الإمام المجدد عليه السلام يؤسس جماعة

الخلافة الإسلامية ١٣٤٢ هـ

تحقق رجاءه عليه السلام في تطهير الأراضي المقدسة من رجس الطاغية حسين

بن علي وأولاده ١٣٤٢هـ.

الإمام المجدد عليه السلام يخاطب الزعيم كمال أتاتورك في أمر الخلافة

الإسلامية ٩ شعبان ١٣٤٢هـ.

الإمام المجدد عليه السلام يؤسس جماعة الخلافة الإسلامية ١٤ شعبان

١٣٤٢هـ.

رسالة الإمام المجدد عليه السلام للملك فؤاد : "أبو العزائم عليه السلام لا يجب أن يراك".

مراحل تطور الخلافة الإسلامية.

الإمام المجدد عليه السلام يفتح مؤتمر الخلافة بدراه عليه السلام ١٣٤٢هـ.

الغرض من الاجتماع.

قرار اللجنة التحضيرية.

قانون جماعة الخلافة.

شعار الجماعة.

المبادئ.

اللائحة الداخلية.

الجماعة العمومية.

الرئيس.

اللجنة العليا.

اللجنة التنفيذية.

اللجنة الشرعية.

لجنة السكرتارية وأمانة الصندوق.

اللجان الفرعية.

مال الجماعة.

نادي الجماعة

صحف الجماعة

الوفود.

أحكام عمومية.

ملحق قانون جماعة الخلافة.

صورة تذكارية لجماعة الخلافة.

الفصل الخامس

الملك فؤاد يجارب مؤتمر الخلافة.. والإمام المجدد يوحد كلمة المسلمين

ويعقد المؤتمر بمكة المكرمة

الظواهري يقود الأزهر لتزكية الملك فؤاد خليفة على المسلمين ضلالا

وطغيانا ٢٦ رمضان ١٣٤٢هـ.

الملك فؤاد يجارب جماعة الخلافة الإسلامية.

الإمام المجدد يتخذ من الأمير عمر طوسون درعا واقيا لجماعة الخلافة.

الصحف تنصدي لجماعة الخلافة.

الأمير عمر طوسون يتصدى للصحف.

رد الأمير عمر طوسون يضع جميع الهيئات الرسمية في حرج.

الزعيم أحمد السنوسي بطل طرابلس يؤيد جماعة الخلافة.

السيد أحمد توفيق يتحد مع الإمام المجدد ويتراأس لجنة الخلافة بتونس

١٣٤٢هـ.

تقويته عليه السلام لعزيمة الجاهد عبد القادر المظفر لسرعة عقد مؤتمر الخلافة
١٣٤٢هـ.

السلطات تمنع اجتماعاته عليه السلام فينسق مع المجاهد الفلسطيني خالد
الحسيني ١٣٤٢هـ.

حثة عليه السلام للسيد سليمان القاضي للعمل للخلافة الإسلامية ١٩٢٤م-
١٣٤٢هـ.

الإمام المجدد يحذر علماء البوسنة والهرسك من مؤتمر الأزهر للخلافة
المؤيد من الملك.

الإمام المجدد يعلن الملك عبد العزيز آل سعود بانعقاد المؤتمر الإسلامي
العام بمكة المكرمة ١٣٤٣هـ.

الملك عبد العزيز آل سعود يخاطب الإمام المجدد بأن الأمور ستكون
وفق مايرضاه ١٣٤٣هـ.

جريدة الديلي كرونكل اللندنية تهاجم جماعة الخلافة.

الاستاذ كامل عثمان يرد مزاعم الصحيفة ١٣٤٣هـ.

مخاطبته عليه السلام لأمر نجد سلطان بن عبد الحميد لسرعة عقد مؤتمر
الخلافة.

مخاطبته عليه السلام للملك عبد العزيز آل سعود بشأن الخلافة.

تحذيره عليه السلام للزعيم الفلسطيني خالد بك الدردار من دسائس

الصهيونية وحثه عليه السلام إياه للعمل للخلافة ١٥ شعبان ١٣٤٣هـ.

علماء اليوسنة والهرسك يؤيدون الإمام المجدد رتيس جماعة الخلافة
بوادي النيل ٣ الحرم ١٣٤٤هـ.

الإمام المجدد يحبط مساعي الوفد الهندي المزيف ويكشف ألاعيبه
للملك عبد العزيز آل سعود.

الإمام المجدد يزج الاستعمار بدقة تنسيقه مع جمعية الخلافة بالهند.
مخاطبته عليه السلام لقطب من أقطاب الإسلام بالهند السيد محمد بشير الدين
بشأن الخلافة ١٣٤٤هـ.

رسالته عليه السلام لرئيس الجمعية الوطنية الإسلامية ببورتو بشأن الخلافة
غرة شعبان ١٢٤٤هـ.

حثه عليه السلام لزعماء أندونيسيا للعمل من أجل منصب الخلافة ١٣ شعبان
١٣٤٤هـ.

كشفه عليه السلام عن كيد الأعداء الصهاينة للزعيم عبد القادر المظفر ١٣
شعبان ١٣٤٤هـ.

زعماء الهند ومؤتمر الخلافة الإسلامية شعبان ١٣٤٤هـ.

الإمام المجدد عليه السلام يعلن الملك عبد العزيز آل سعود بأن المؤتمر سيعقد
بمكة المكرمة.

الإمام المجدد يخاطب الأمير شوكت علي بالهند مؤيدا انعقاد المؤتمر بمكة
المكرمة.

الفصل السادس

مؤتمر الخلافة الإسلامية بمكة المكرمة ١٣٤٤هـ

بعثة الطريقة العزمية للحج

١٣٤٤هـ - ١٩٢٦ م

كانت بهدف بيان أن الخلافة الإسلامية ليست ملكاً للأتراك وحدهم بل هي خلافة المسلمين جميعاً. وأن المرشحين من الحكام العرب لمنصب الخليفة هما صنيعة الاستعمار.

الإمام المجدد يعلن على العالم كله موعد انعقاد مؤتمر الخلافة الإسلامية بمكة المكرمة ١٣٤٤هـ.

الإمام المجدد يقوم بوسيلة التعارف فيما بين وفود مؤتمر الخلافة ٢٣ ذي القعدة ١٣٤٤هـ.

رسالة من القدس إلى الإمام المجدد بمكة المكرمة ٢٤ ذي القعدة ١٣٤٤هـ.

افتتاح المؤتمر الإسلامي العام بمكة المكرمة ٢٨ ذي القعدة ١٣٤٤هـ.

الإمام المجدد يقترح للمؤتمر أربعة عشر اقتراحاً لصالح الإسلام والمسلمين ٢٩ ذي القعدة ١٣٤٤هـ.

كبار علماء البلاد الإسلامية ورؤساء المؤتمر ينصبونه عليه السلام خليفة للمسلمين ٩ ذي الحجة ١٣٤٤هـ.

السياسة الاستعمارية كانت وراء فشل مؤتمر الخلافة الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم
مصادر كتاب السياسة في الإسلام

الموضوع	المصدر
المقدمة	مقدمة الفرقة الناجية بتصريف
الباب الأول الفصل الأول الفصل الثاني الفصل الثالث	النجاة في سيرة سيدنا رسول الله ص ٢٧٤/١٢٠٧، ٩١٤، ٢٨٨
الباب الثاني الفصل الأول الفصل الثاني	نهج البلاغة
الباب الثالث الفصل الأول الفصل الثاني الفصل الثالث الفصل الرابع الفصل الخامس الفصل السادس الفصل السابع	محكمة الصلح / وسائل نيل المجد الإسلامي ص ١٣٨/١٣٩ /النور المبين ص ١٧٣/٢٠٠ /الصوفية والتصوف /وسائل نيل المجد الإسلامي ص ١٨٠/١٤٨، ١٨٢/١٩١، ١٤٩، ١٩٢، ٨٣/٦٦، ٨٦/من أسرار القرآن ج ١، ج ٢، ج ٤ الجهاد ص ١٨/١٩ دروس في تركية النفوس دروس في قصص ص ١٣/١٩
الباب الرابع الفصل الأول الفصل الثاني	حياة الإمام أبي العزائم عليه السلام الباب الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس